تحزيب القرآن

١٤٣٠هـ

د. عبد العزيز بن علي الحربي
أستاذ القراءات والتفسير المشارك
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دار ابن حزم

تحزيب القرآن

د. عبد العزيز بن علي الحربي
أستاذ القراءات والتفسير المشارك
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

تحزيب القرآن

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ISBN 978-9953-81-947-1

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

مُقَـدّمة

الحمد لله الذي جعلنا من حملة كتابه ، والصلاة والسلام على رسول الله وأصحابه ، وأتباعه ومن اهتدى به ... أما بعد :

فإن الله أنزل هذا القرآن وجعله نورًا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام إلى دار السلام ، قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى:٥٢] فالناس من غيره في ظلمات لا نور فيها ، وجعله روحًا يحيون به ، فالناس من غيره كالأموات لا روح لها ، قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] وجعله شفاء يستشفي به الناس ، قال عز وجل : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

فالناس من غيره مرضى ، وهم من غيره في نقمة وعمه ، وعمىً وضلال ، وعوج ومرج ، وجهالة وضلالة ، وشقاء وضعف وإبلاس ، وخسارة وإفلاس ، وذلة وقلة ، وغفلة وعلة ، ولهو وسهو ، وغمرة وسكرة ؛ لأنه رحمة وبصائر ، وذكر وهدى ، وقيِّم وشرف ، وموعظة وذكرى ، وبيان وبشرى .

فسبحان من جعله أحسن الحديث وسلكه ينابيع في صدور الذين أوتوا العلم ، وفتح به أعينا عميًا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا .

أين يذهب العالم عن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢]؟ الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤٢] المصدق لما بين يديه المهيمن عليه ، القيم الذي لا عوج فيه ، الذي هو سر السعادة ، وإكسير الحياة ، وقوت القلوب ، وحياة النفوس ، فيه الزجر الذي يقرع المسامع ، والوعيد الذي يجافي جنوب المتقين عن المضاجع ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] وفيه الترهيب من غضب الجبار ، وعذاب النار ، وفتنة الكفار ، وموادّة الفجار ، أين يذهب العالم عن كتاب ربهم الذي لا نور لهم إلا به ، ولا هداية إلا به ، ولا عزّ إلا به ، ولا قوة لهم إلا بالإيمان به والتمسك بمنهجه ، واتباع تعاليمه ؟

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

أين يذهبون عن القرآن ، وهو شرفهم ، ورفعتهم ، ومجدهم ومكانهم ؟ فإن تعاليمه تنادي بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب بأن المنتسبين إلى منهجه وتعاليمه يجب أن يكونوا صفوة العالم ، وأصفياء الخلق ، والمثال العالي بين البشر ، وأنهم هم ذووا الشمائل الكريمة ، والأخلاق السامية ، وأنهم هم أهل القوّة والسيادة ، والعزة والرِّيادة ، وأنهم من دونه أذلّة في سفال ، وانحطاط ، ووبال ، ويحيون وهم أموات في ظلام ، ويخبطون في ظلام ومصيرهم إلى ظلام .

من هذا الذي يريد أن يكابر الحقائق ، ويجهد أن يجحد أثر القرآن في عقل الإنسان ، وأنه معجزة في حقائقه التاريخية ، ومعالجة أمورهم الاجتماعية

.. إن أهل اليقين من علماء الإسلام والمنصفين من غيرهم يعلنون أنه الكتاب الذي يحقق سعادة البشر ، وأنه الوسيلة لاستبقاء العلوم ، وتصديق ما صدق منها ، وإبطال ما بطل من ظنونها وميونها ؟

واليوم تتوالى الدراسات تلو الدراسات والبحوث تلو البحوث ، ويصل أصحابها بعد إعمالهم وسائلهم التي سخرها الله لهم ، وأقدرهم على تسبيبها إلى حقائق في علم الطّب وخلق الإنسان ، وعلم النبات وسائر الحيوان ، وعلوم الأرض وخزائنها ، والبحار وكنوزها ، والكواكب والنجوم ، والهواء والماء ، وكل ما بين الأرض والسماء . ولو ترى حالهم وحين يعلمون أن القرآن قد سبقهم إلى تقرير ذلك ، فانبثق لهم منه ما لم يهجس في أذهانهم ، ولا حدثتهم به ظنونهم . ولو شئنا لضربنا لذلك ستّين مثلا ، وصرَّفنا في ذلك سبعين دليلا ، ولكن لذلك مصنفات مفردَة و كتب مبسوطة .. هذا والقرآن قبل ذلك وبعده كتاب هداية ، وموعظة ، وبلاغ ، ونذارة ، وبشارة .

ولهذا كان تأثيره على القلوب والعقول وحياة الناس ومعرفتهم شيئًا عظيما ، ولو لم يكن القرآن لكان العالم اليوم غير العالم ، والعقول غير العقول، والتاريخ غير التاريخ ، ولما كانت اللّغة العربية تصدح في سمع الزمان محفوظة مصونة لا يدخل عليها دخيل ، ولو دخل عليها وتسلل إليها لكشف عن نقابه وجرّد من ثيابه ، ولولا القرآن لما كان للعرب هذا الشرف ، وذلك الذكر ، وتلك الحضارة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الزخرف: ٤٤ ، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

القرآن الكريم هو الكتاب الذي يتلى في كل لحظة ، ويسمع في كل لحظة ، ويصلى به في كل لحظة ، هو أكثر الكتب قراءة في العالم ، وأكثرها استماعا إليه في العالم ، وأكثرها طباعة في العالم ..

أخبروني - أيها الناس - هل هنالك كتابٌ تصدع كلماته في جنبات الكون كالقرآن ؟ وتصدح آياته في سمع الزمان كالقرآن ؟ وتؤثر معانيه ومراميه التي تطلع إلى الأفئدة كالقرآن ؟ نبئوني بعلم .. نبئوني بعلم .

هل في الكون كتاب يتلى بترتيل وأداء بإحسان بأصوات عذبة حِسان ، يراعى في ذلك مخارج الحروف ، ومواضع الوقوف ، بدقة وإتقان ، كالقرآن ؟ نبئوني بحق ، هل هنالك كتاب في أكثر من ست مئة صحيفة ، حفظه ملايين من الرجال ، والنساء ، والولدان كالقرآن ؟ حفظه العربي والعجميّ ، الصغير والكبير ، الذكر والأنثى ، وتعلموا تلاوته وتجويده ، ورتّلوه ترتيلا ، وأتقنوا متشابهه ، وحذقوا وقوفه ، وضبطوا حروفه ..

فما لكم - أيها الغافلون - لا تتلونه حق تلاوته ، ومالكم تنشغل ألسنتكم عن خير الكلام ، وأصدق الحديث ، وأحسنه ، وتضيع أعماركم من بين أيديكم ولم ترحموا أنفسكم بكتاب الهدى والرحمة .

*** فيا ضيعة الأعمار تمشي سَبهللا ***

لقد أقسم ربنا - سبحانه - أنه يسرَّ القرآن للذكر ، قال عز وجل :
﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧] قال العلماء : سهلناه

للحفظ والقراءة ، قال سعيد بن جبير : « يسرناه للحفظ وليس شيء من كتاب الله كتابا يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن »[1]

والسّر في ذلك - والله أعلم - أنه أنزله بلسان عربي مبين - واللسان العربي أفصح الألسنة - وفصله تفصيلاً ، وأنزله قولا ثقيلا ، له وزن ورجحان ، وإن كان خفيفا على اللسان ، وله أثر في النفس ، ووقع في القلب حتى على من لا يفهمه ، ولا من لا يعرف العربية ، بل إنّ الأمر أكبر من ذلك وأجلّ ، لو أنزل هذا القرآن على جلامد الصخور ، والصمّ الصلاد ، لانشقت وتصدّعت ، واهتزت هناك ، وتفتّتت ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١].

وصرّف فيه من الوعيد ، وضرب فيه الأمثال ، وقال فيه سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الدخان: ٥٨] وحينما يسره الله سبحانه أمرنا أن نقرأ ما تيسّر منه ، قال عز وجل : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [المزمل: ٢٠] وأن نرتله ترتيلا ، وأن نقرأه على مكث ، وأن نتدبّر آياته ، ونتذكر بهداه وعظاته ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

(١) تفسير الخازن : ٦ / ٢٧٥ .

فضل تلاوة القرآن الكريم

ورد في الكتاب العزيز آيات بيّنات في فضل تلاوة القرآن ، والحث على ذلك ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠] ورد هذا الثناء المصحوب بحسن الجزاء بعد التنويه بالعلماء ، العارفين بربهم ، أهل الخشية ، وقبل المصطفين الأخيار الذين اصطفاهم الله من عباده ، وأورثهم الكتاب ، ووعدهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فهم – ولا شك – أهل العلم ، والله يقول : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وهم – ولا ريب – من أهل الاصطفاء ، سابقهم ، ومقتصدهم ، وظالمهم ، كيف لا وقد ملأ قلوبهم خشية الله ، وتعطرت ألسنتهم بتلاوة كلام الله ، وتنورت أبدانهم بإقام الصلاة ، وتطهرت نفوسهم بالإنفاق في الآفاق ، فهم جامعون بين عمل القلب واللسان وعمل الأبدان .

وتأمل كيف أخبر الله عنهم أنهم يرجون بتجارتهم وأعمالهم تجارة لا خسارة فيها ولا غبن ؛ لأنهم يتاجرون مع الله الذي يضاعف أعمالهم ، ويُربي صدقاتهم ، فهم أولوا الألباب الذين يذكرون ويتفكرون ، وفيه تعريض بمن يتلو كتاب الله ليشتري به ثمنًا قليلاً ، وبمن ينفقون أموالهم رياء وسمعة ؛ لأنهم أرادوا العاجلة ، ولم يريدوا الآخرة ، ولا سعوا لها سعيها ، ومن كان كذلك فهو أحمق ضعيف التمييز .

وما أكثر القراء الذين أصابهم حظّ وافر من هذا المعنى ، وقرءوا كتاب الله ، وأحكموا تلاوته ، وأتقنوا أحكام حروفه وتجويده ، ولكنهم جاهلون بالقرآن ومعانيه ، بعيدون عن فقه أحكامه وحكمه ، شغلهم الشيطان بالقرآن عن القرآن ، وألهاهم بأحكام حروف المباني عن روح المعاني ، وفهم القرآن والسبع المثاني .

القرآن الكريم أفضلُ الذكر

وإذا كان القرآن كلامَ الله ، وكلامُ الله أفضلَ كلام ، فالقارئ لكلام الله قارئ لأفضل كلام ، وما تقرب العبد بكلام أحب إلى الله من كلامه ، قال سفيان الثوري - ﷺ - : « سمعنا أنّ قراءة القرآن أفضل الذكر إذا عُمِل به »[1].

وعن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الكلام بعد القرآن - وهن من القرآن - أربع ، لا يضرك بأيتهن بدأت ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »[2] .

ففي هذا الحديث ما يفيد أن هذه الكلمات من أفضل الكلام ، وأنه لا يفضلها إلا القرآن ، فهن أفضل الذكر بعد القرآن ، وقد سمى الله كتابه ذِكرا ، فقال : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۞ ﴾ الأنبياء: ٥٠

وسئل ابن عباس : أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : ذكر الله أكبر ، ما جلس قوم في بيت من بيوت الله تعالى يدرسون كتاب الله ويتعاطونه بينهم إلا كانوا

---

(١) يشتمل هذا السِّفر على كثير من الأخبار ، فإذا كان الخبر عن رسول الله ﷺ تثبتنا من صحته ، ولم نتساهل في روايته ولو كان في الترغيب والزهد والوعيد لما ورد في التحذير في ذلك أو سقناه بلفظ (روي) إن كان ضعيفا أو في سنده مقال ، فإن كان الخبر عمن دونه من الصحابة والتابعين ومن دونهم تساهلنا ؛ لأنه لا يبنى عليه حكم ولا تبنى عليه سنة ، وهي أقرب إلينا من أخبار بني إسرائيل التي أذن لنا بالتحديث بها وروايتها . . والإنسان حين يجد خبرا من الأخبار المذكورة عن واحدٍ ممن دون رسول الله ﷺ بعثته همته إلى العمل .

(٢) رواه أحمد بسند صحيح حديث (١٩٢٤٨) و (١٩٢٦٧) وانظر مجمع الزوائد : ٨٨/١٠ وأصله في صحيح مسلم .

أضياف الله تعالى ، وأظلت عليهم الملائكة بأجنحتها ما داموا فيه حتى يخوضوا في حديث غيره[1] .

ومثل هذا لا يقال بالرأي ، ولكنه في معنى أحاديث صحيحة صريحة ، والقرآن مع فضله هذا هو من أخف العبادات على المرء ، وقد قيل لعبد الله بن مسعود : إنك لتقّل الصّوم ، قال : يضعفني عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحبّ إلي[2] .

وفي هذا من الفقه : أن الأفضل للمرء هو الأحبّ له ؛ لأن الكلف بالعبادة أحضر للقلب وأشدُّ وطأ ، وأقوم قيلا .

وفيه : أن العبادتين إذا إحداهما تضعف العمل الأحبَّ إليه ، وتورث فتور النفس ، فرّغ القلب للأحب إلى النفس واشتغل به .

يقول الشاطبي رحمه الله ، في الحث على قراءة القرآن وفضله :

رِوَى القلب ذِكرُ الله فاستسقِ مُقبلاً ... ولا تعدُ روضَ الذاكرين فتُمحِلا

و آثـرْ عـــن الآثار مَثراةَ عــذبه ... ومــا مثلُه للعبد حصنا وموئلا

ولا عمــــلٌ أنجى له من عذابِـــه ... غداة الجــزا مــن ذكره مُتنفِّلا

ومن شَغَل القــرآن عنـــه لسانَه ... ينلْ خيرَ أجرِ الذاكرين مكمَّلا

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٦٧ ، عند قوله تعالى :﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] والدر المنثور : ٤٦٧/٦ .

(٢) فضائل القرآن لابن سلام : ٦٢ .

وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه مع الختم حِلاًّ و ارتحالا مُوصَّلا[1]

و كيف لا يكون ذكر الله رِواءً للقلب وسُقيا وبهاء ورِئْيا ؟ وكيف لا يكون أفضل الذكر هو القرآن كلام الله ؟ وكيف لا يكون كلام الله هو النجاة ؟ فطوبى لمن شغل القرآن منه الجنان ، والعقل واللسان ، وبشرى له بالرَّوح والريحان .

[1] حرز الأماني ووجه التهاني ، باب التكبير ، من البيت ذي الرقم (١١٢١).

آيات وأحاديث في القرآن الكريم وفضل قراءته ، وقارئه

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١].

وقال سبحانه : ﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقال سبحانه : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٦].

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال سبحانه : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ

لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦ - ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان: ١ - ٣].

وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤] .. والآيات في ذلك كثيرة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدا ، والصحيح منها كثير ، وقد أفردت بمصنفات منها كتاب ((فتح المعين في أحاديث الأربعين)) لملاًّ علي قاري ، ومن تلك الأحاديث :

الحديث الأول :

عن عثمان بن عفان ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[1] ، ورواه ابن أبي داوود عن ابن مسعود ، بلفظه : « خياركم من قرأ القرآن وأقرأه » .

الحديث الثاني :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفًا من كتاب الله ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ، ولكن ، ألف حرف ، ولام حرف ، و ميم حرف »[2] .

الحديث الثالث :

عن عمر بن الخطاب ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ، ويضع به آخرين »[3].

الحديث الرابع :

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٩) وأبو داوود (١٤٥٢) وأحمد (٥٠٠) وفي رواية لابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص (٢١٨) : « خياركم » ، وفي البيهقي في شعب الإيمان (٢٢١٢): ((خيركم من قرأ القرآن وأقرأه)).

(٢) رواه الترمذي (٣١٥٨) ، قال : حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم برقم (١٣٥٣) وأحمد (٢٢٦) وابن ماجه (٢١٤) .

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » .

وفي رواية : (مثل الفاجر) بدل (المنافق)[1].

الحديث الخامس :

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق ، فله أجران » .

وفي رواية : « الذي يقرأ القرآن ، وهو يشتد عليه له أجران »[2] .

الحديث السادس :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((اقرءوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ..))[3] .الحديث.

الحديث السابع :

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٣٢) ومسلم (١٨٩٦) وبقية السبعة .

(٢) هذا لفظ مسلم (١٣٢٩) ، والحديث أخرجه البخاري أيضا (٤٥٥٦) ، وأحمد (٢٧٠٥٠) وأصحاب السنن .

(٣) رواه مسلم (١٢٣٧) .

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله هذا الكتاب ، فقام به آناء الليل ، وآناء النهار . ورجل أعطاه الله تعالى مالا ، فتصدق به آناء الليل ، وآناء النهار »[١] .

الحديث الثامن :

عن أبي هريرة ﷺ قال : عن رسول الله ﷺ قال : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ويقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ويقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه . فيقال : اقرأ ، وارق ، ويزداد بكل آية حسنة »[٢] .

الحديث التاسع :

عن أبي ذر ﷺ قال : « قلت : يا رسول الله أوصني : قال ﷺ : عليك بتقوى الله ؛ فإنها رأس الأمر كله ، قلت : يا رسول الله زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض ، ونور لك في السماء »[٣] .

الحديث العاشر :

عن سهل بن معاذ الجهني ، عن أبيه ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قال : «من قرأ القرآن ، وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عمل هذا؟»[٤]

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٧) ومسلم (١٣٥٠) .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (٢٨٣٩) والحاكم في المستدرك (١٩٨٧)

(٣) رواه ابن حبان ، وصححه في حديث طويل (٣٦٢) ، والطبراني في الدعاء (١٧٤٦) وابن الضريس في فضائل القرآن (٦٦).

(٤) رواه أبو داوود (١٢٤١) ، وأحمد (٥٠٩١) وفي إسناده مقال .

الحديث الحادي عشر :

عن أبي هريرة ﷺ قال : « بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثًا ، وهم ذو عدد ، فاستقرأهم ، فاستقرأ كلَّ رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنًّا ، فقال : ما معك يا فلان ؟ قال : معي كذا ، وكذا ، وسورة البقرة . قال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم . فقال : اذهب ، فأنت أميرهم . فقال رجل من أشرافهم : والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها . فقال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن ، واقرؤوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه ، فقرأه ، وقام به كمثل جراب محشو مسكًا ، يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه ، فيرقد ، وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك »[١].

الحديث الثاني عشر :

عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم لا ترجعون إلى الله تعالى بشيء أفضل مما خرج منه - يعني القرآن - ظهر منه »[٢].

الحديث الثالث عشر :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن ، فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي

(١) رواه الترمذي ، واللفظ له (٢٨٠١) ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه مختصرا (٢١٣) وابن حبان في صحيحه (٢١٦٠) .

(٢) رواه الترمذي (٢٨٣٦) والحاكم (١٩٩٧) والطبراني في الكبير (١٥٩٢) .

لصاحب القرآن أن يجد مع جد ، ولا يجهل مع جهل ، وفي جوفه كلام الله تعالى »[1].

الحديث الرابع عشر :

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[2].

الحديث الخامس عشر :

عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم ، فإن الشيطان لا يدخل بيتًا يقرأ فيه سورة البقرة »[3] .

الحديث السادس عشر :

عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن ، وفينا الأعرابي والعجمي ، فقال : « اقرؤوه فكلٌّ حسنٌ ، وسيجيء أقوامٌ يقيمونه كما يُقام القدحُ ، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه »[4] .

الحديث السابع عشر :

عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ؛ اقرؤوا الزهراوين : البقرة

---

(١) رواه الحاكم (١٩٨٦) ، وقال : صحيح الإسناد ، والحق أن الحديث ضعيف الإسناد .

(٢) رواه الترمذي (٢٩١٤) ، وأبو داوود (١٤٦٤) ، وأحمد (٦٧٩٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٦٧) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الحاكم (٣٠٢٩) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(٤) رواه أبو داود (٣٨٠) بسند صحيح .

وسورة آل عمران ؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فِرقان من طير صوافّ ، تحاجّان عن أصحابهما ؛ اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرةٌ ، ولا يستطيعها البطَلَةُ »[1] .

الحديث الثامن عشر :

عن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه »[2] .

الحديث التاسع عشر :

عن عبد الرحمن بن شبل ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن ، ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به »[3] .

الحديث العشرون :

عن عائشة مرفوعا : « إن أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله »[4] .

عن عائشة ، عن فاطمة - رضي الله عنهما - مرفوعا : « إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر

---

(1) رواه مسلم (٨٠٤) والبطلة : الحرة .

(2) رواه البخاري (٤٧٧٣) ومسلم (٢٦٦٧) وأحمد (١٨٨٣٦) .

(3) رواه البيهقي في الشعب (٢١٤٥) وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٣١٧) بإسناد ضعيف .

(4) رواه أحمد (١٥٥٦٨) وأبو يعلى (١٥١٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣/٤) : رجال الجميع ثقات .

أجلي ، وإنكِ أول أهل بيتي لحاقًا بي ، [فاتقي الله ، واصبري ، فإني نعم السلف أنا لكِ] »[1] .

الحديث الحادي والعشرون :

عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، قال : سمع عمرو بن العاص ﷺ رجلا يقرأ آية من القرآن ، فقال : « من أقرأكها ؟ » قال : رسول الله ﷺ ، قال : فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا ! فذهبا إلى رسول الله ﷺ ، فقال أحدهما : يا رسول الله آية كذا وكذا ، ثم قرأها ، قال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت ، فقال الآخر : يا رسول الله فقرأها على رسول الله ﷺ ، فقال : أليس هكذا يا رسول الله ؟ قال : « هكذا أنزلت » ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأي ذلك قرأتم أحسنتم (وفي رواية : أصبتم) ولا تماروا فيه ، فإن المراء فيه كفر » .

[1] أخرجه البخاري (٣٤٢٦) .

القرآن الكريم في رأي المنصفين من غير المسلمين

حين يشهد أهل الإسلام من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام على أن هذا القرآن كتاب هداية وإعجاز ، وشرف وإعزاز ، لا تكون شهادتهم ذات غرابة ؛ لأنها شهادة من أشرب قلبه بالإيمان ، والإيمان والقرآن لا يفترقان ، لكن المدهش حين نجد من يشهد من الأعداء الذين لا إيمان لهم على عظمة القرآن وإعجازه ، وأنه يخاطب البشر كلهم ، وأنه أحكم وأرحم تشريع عرفه العالم ، وإعلان الخصوم على فضل شيء لدى خصومهم دليل على صحة هذا الإعلان ، وأنه شهادة حق وصدق ، وهذه الشهادات المنقولة عن فلاسفة الغرب والشرق وعظمائهما .

هي كما قال السريّ الرفَّاء :

وشمائلٍ شهد العدوّ بفضلها والفضلُ ما شَهدت به الأعداءُ[1]

وهؤلاء الشهداء ، منهم الشاهد الكائد ، والشاهد الجاحد ، والشاهد المحايد .

- **فهذا المستر « غلاد تستون » وزير المستعمرات البريطانية يقول : لن نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا القرآن عندهم ، فقام أحد الحاضرين وأخذ مصحفًا ومزّقه أمامهم ، فقال له غلاد تستون : يا أحمق ! ما أردت تمزيق أوراقه ، إنما أردت تمزيقه من صدور المسلمين ، وقد قال هذا الكلام عن حنق ويأس ، فإنه يعلم أنه لا يمكن تمزيقه من صدور المسلمين إلاّ باستئصالهم ،**

[1] ديوانه : ١ / ١٨ .

وهذا غير ممكن ، ولئن كان يحفظه آلاف من المسلمين في الوقت الذي قال المستر مقولته تلك ، فإن الحفظة اليوم يقدرون بمئات الآلاف في أنحاء شتى من بلاد المسلمين وغير المسلمين .

وبقي القرآن يصدح في سمع الزمان على مَوجات الأثير ، حتى في إذاعاتهم هم ، وأما الاستعمار فقد طوي بساطه ، وصار من دفائن الغيب ، وانكشف – ولله الحمد – قناع الريب ، بلا ريب ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الرعد: ١٧

واليك - أيها القارئ - شهادات أخر لأساطينهم وزعمائهم :

– شهادة الفيلسوف الفرنسي « ألِكْس لوازون » حيث يقول : « **خلّف محمد[ﷺ] للعالم كتابًا هو آية البلاغة ، وسجل الأخلاق ، وكتاب مقدَّس ، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثًا مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية** » .

– شهادة « لويس سيديو » ، حيث يؤكد على ما فعله القرآن العظيم في مجال شدِّ أواصر الشعوب التي انتمت للإسلام ، بمنحها اللغة المشتركة والمشاعر الواحدة ، حيث يقول : « **فممَّا يجدر ذِكرُهُ أن يكون القرآن ، بين مختلف اللغات التي يتكلم بها مختلف الشعوب في آسيا حتى الهند ، وفي أفريقيا حتى السودان ، كتابًا يفهمه الجميع ، وأن يربط هذه الشعوب المتباينة الطبائع برابطة اللغة والمشاعر ..** » .

– شهادة المستشرق الألماني « د. شومبس » ، حيث قال : « **.. وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة ، فقد درستُ القرآن ،**

فوجدت فيه تلك المعاني العالية ، والأنظمة المحكمة ، والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي ، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات ، هذا - ولا شك - أكبر معجزة أتى بها محمد ﷺ عن ربه » .

- شهادة الباحث الفرنسي « الكونت هنري دي كاستري » ، حيث يتعَجَّبُ من التناقض بين أمِّية الرسول ﷺ وإعجازِ الأداء القرآني ، ويقول : « إنَّ العقل يَحَار كيف يتأتّى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أُمِّي ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بها لفظًا ومعنى » .

- شهادة « جيمس متشيز » ، حيث قال : « لعلّ القرآن هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم ، وهو بكل تأكيد أيسرها حفظًا ، وأشدُّها أثرًا في الحياة اليومية لمن يؤمن به ، فليس طويلا كالعهد القديم ، وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشِّعر منه إلى النثر ، ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه وتزداد إيمانًا وسموًا » .

- شهادة الباحث العربي النصراني « نصري سلهب » ، حيث تحدَّث عن النبي ﷺ فقال عنه إنه : « لا يقرأ ولا يكتب ، فإذا بهذا الأمي يَهدي الإنسانية أبلغَ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ منذ كانت الإنسانية . ذاك كان القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله هدًى للمتقين » .

ثم يقول : « فالواقع إن هذا القرآن لَسِحْرٌ حلال ، .. وإنه لَمِنَ المستحيل على غير العربي ، أو على غير الُملِمّ باللغة العربية ، أن يُدرك ما فيه مِنْ جمال » .

ويتحدَّث عن عالمَيَّة القرآن ومخاطبته للبشر جميعًا ، فيقول : « القرآن لا يخاطب المسلمين فحَسْب ، ولا يُعنى بشؤونهم فحسب ، إنه يخاطب البشر

على إطلاقهم ، ويُعنى بشؤونهم جميعا ، فلو أقبل عليه البشر وعبُّوا من أحكامه وتوصياته ، فارتووا منها وعملوا بها ، لكانت البشرية في وضع أفضل بكثير مما هي عليه » .

ويتوقَّف عند التأثير القرآني في الشِّعر ، ويقول : « فإذا كُنَّا بالأمس واليوم ، نطرب لروائع الشِّعر العربي .. سواء في بيروت ، أو دمشق ، أو القاهرة ، أو بغداد ، أو تونس ، أو في أيِّ صِقْعٍ من أصقاع العروبة ، فإنما الفضْلُ في ذلك يعود للقرآن ، والقرآن وحده » .

- شهادة الأمريكي « د. سدني فيشر » ، حيث يصف القرآن بأنه : « صوت حي يُرَوِّعُ فُؤادَ العربي ، وتزداد روعتُه حين يُتلى عليه بصوت مسموع ..» .

- شهادة المستشرق « سيل » ، حيث قال : « إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، وفي كثير من نواحيه نجد الأسلوب عذبًا وفخمًا ، وبخاصة عندما يتكلَّم عن عظمة الله وجلاله ، ومن العجيب أن القرآن يأسر بأسلوبه هذا أذهان المستمعين إلى تلاوته ، سواء منهم المؤمنين به أو المعارضين له » .

- شهادة « كوبولد » ، حيث يقول : « القرآن هو الذي دَفَعَ العرب إلى فتح العالم ، ومَكَّنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير ، والإمبراطورية الرومانية سعةً وقوةً وعمرانًا وحضارةً .. » .

ويضيف قائلا : « هذا هو الكتاب الذي خَلَقَ العرب خلقا جديدًا ، ثم وَحَّدَ صفوفهم ودفعهم إلى العالم ، فاقتحموه وحكموه .. » .

- شهادة الدكتورة « لورا فيشيا فاغليري » ، حيث قالت : « إن عظمة الإسلام الكبرى هي القرآن .. ولا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن

الإلهي ، هذه الحقيقة هي أنَّ نصَّ القرآن ظل صافيًا غير محرَّف طوال القرون التي ترامت بين تنزيله وحتى يومنا هذا ، إن هذا الكتاب الذي يتلي كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أيما إحساس بالملل ، على العكس إنه طريقة التلاوة المكررة يُحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يومًا بعد يوم .. ، حتى إننا لنجد اليوم - على الرغم من انحسار موجة الإيمان - آلافا من الناس قادرين على ترديده عن ظهر قلب .. وفي مِصْرَ وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها » .

وتُرتِّب على هذه الشهادة نتيجتها فتقول : « إنَّ انتشار الإسلام السَّريع لم يتم ، لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشِّرين الموصولة ، إنَّ الذي أدَّى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدَّمه المسلمون للشعوب المغلوبة ، مع تخييرها بين قبوله ورفضه ، كتاب الله ، كلمة الحق » .

- شهادة « المسيوبيرك » في بعض خطاباته في البرلمان الإنجليزي ، حيث قال : « إن تعاليم القرآن أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ » .

- شهادة « هير شفيلد » ، حيث قال : « وليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه ، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي » .

- شهادة اللبناني النصراني « د. جورج حنَّا » ، حيث يؤكِّد ويقول : «إنَّه لا بد من الإقرار بأن القرآن فضْلا عن كونه كتابَ دينٍ وتشريع ، فهو أيضًا كتاب لغة عربية فصحَىٰ » .

«للقرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة ، ولطالما يعود إليه أئمة اللغة في بلاغة الكلمة وبيانها ، سواء كانوا هؤلاء الأئمة مسلمين أم مسيحيين » .

«وإذا كان المسلمون يعتبرون أن صوابيَّة لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن مُنزَّلا ولا تحتمل التَّخطئة ، فالمسيحيون يعترفون أيضا بهذه الصوابيَّة ، بقطع النظر عن كونه منزلا .. ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة ، كلَّما استعصى عليهم أمرٌ من أمور اللغة » .

- شهادة « وليم جيفورد بالكراف » ، حيث يتمنَّى زوال القرآن بقوله : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه » .

- شهادة « الحاكم الفرنسي في الجزائر » ، فقد قال في ذكرى مرور مئة سنة على احتلال الجزائر : « إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم » .

- شهادة « وزير المستعمرات الفرنسي لا كوست » ، فقد قال حين عجز عن فَرْسَنَة الجزائر : « ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا »[1] .

---

(١) معظم ما ذكرته من شهادتهم ملخص من كتاب « عظمة القرآن الكريم » لمؤلفه محمود بن أحمد الدوسري من ص ١٣٥ وما بعدها .

شرف حامل القرآن الكريم

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته الذين اصطفاهم واختارهم ، أورثهم الله الكتاب ، وأعلى شأنهم ، وأحسن ذِكرهم ، وأهله هم الذين يتلونه حق تلاوته ، الذين يتلونه آناء الليل وآناء النهار ، ولم يهجروا لفظه ، ولا تدبره ، ولا العمل به ، وليس من شرط ذلك أن يكونوا من الذين يحفظونه عن ظهر قلب .

إنّ الذي يقرأ القرآن ويتلوه حقّ تلاوته له منزلة خاصّة ، ومحلٌّ أرفع ، مع السفرة الكرام البررة .. إنّ من تعلَّم القرآن وعلّمه الناس هو خير الناس وأفضلهم ، كما صرّح بذلك النبي ﷺ إذ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » إن مثلَ قارئ القرآن العامل به مثلُ الأترجّة ، طعمها حلو وريحها طيب ، وحياته في الدنيا حياة طيبة ، وأستأنس لشرح ذلك بأمرين :

أحدهما : ما جاء في هذا المثل الذي شبّه فيه المؤمن القارئ بالأترجَّة المحبوبة لدى الناس ظاهرا وباطنا ، وكذلك المؤمن القارئ مقبول لدى الناس في الظاهر والباطن ، بل الفاجر المنافق الذي يقرأ القرآن له حظّ من الذكر الحسن والرِّضا وقبول الناس لظاهره ؛ من أجل القرآن الذي يقرأه ، وقد شبهه النبي ﷺ بالريحانة ، ريحها طيب وطعمها مرّ ، فالريح الطيبة ملازمة لقارئ القرآن سواء كان مؤمنا أم منافقا ، والريحانة لا يعلم حقيقة طعمها إلا بالحكّ والذوق ، وكذلك المنافق لا تعلم حقيقته إلا بالاختبار والاحتكاك ، وقال ابن حجر في شرح الحديث : « قيل : خصَّ صفة الإيمان بالطعم وصفة التِّلَاوة بالرِّيح لأَنَّ الإيمان أَلْزَم للمؤمن من القرآن ؛ إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة ، وكذلك الطعم ألزم للجوهَرِ من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى

طعمه ، ثُمَّ قِيلَ : الحكمة في تخصيص الأترجّة بالتمثيل دون غَيرهَا من الفاكهة التي تجمع طيب الطَّعم و الريح كالتفاحة لأنَه يتداوى بِقِشْرِها ، وهو مُفْرِح بالخاصيَّة ، ويستخرج من حبها دُهْن له منافع ، وقيل إنَّ الجنّ لا تقرب البيت الذي فيه الأترُجّ ، فناسب أن يمثِّل به القرآن الذي لا تقربه الشَّيَاطِين ، وغلافُ حَبّه أَبيَض ، فيناسب قلب المؤمن ، وفيها أيضًا من المزايا كِبَر جِرْمها ، وحسن منظرها ، وتفريح لونها ، ولين ملمسها ، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ، ودباغ معدة ، وجودة هضم[1] .

الثاني: ما يمنحه القرآن من البركة على صاحبه في دينه ودنياه وآخرته، فإن الله عز وجل وصف القرآن بأنه مبارك ، قال سبحانه : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] وكان بعض العلماء يقول : ما زالت البركة تحوطنا مذ اعتصمنا بهذا الكتاب المبارك ، والواقع يصدّق هذا ، فحامل القرآن محل إكبار الناس وإيثارهم له على غيره ، ولم يعلم في غابر الأزمان التي توالت فيها المجاعات موت عالم جوعا ، والشأن أن يكون حامل القرآن من أولي العلم .. والناس - وإن ضلوا - لا يدعون العالم والوليّ الصالح في النكبات العامَّة ، ويرون أن غوثه من القربات ، ولرجائهم في استجابة دعائه ، وأن بقاءه خير بقاء ؛ لأنه مداد الحياة ، ومعه نور يمشي به ويبدّد به الظلمات .

يقول الأمير الصنعاني - رحمه الله - في قصيدة له ينصح بها عالما قَبِلَ منصبَ القضاء في وقته ، ويعظه في ذلك ، ويطمئنه بأن أسباب الرزق كثيرة ، وأن العالم لا خوف عليه من غوائل الفقر والحاجة :

---

[1] فتح الباري : ٩ / ٦٦ .

ذبحت نفسك لكن لا بسكّينِ كما رويناه عن طه وياسينِ

ثم قال له :

وحيث قد صرتَ مذبوحاً فخذ جُمَلا في النصح ما بين تنبيهٍ وتبينِ

ما مات والله جــوعاً عالــم أبدا سلِ التواريخ عنه في الدواوينِ[1]

ومن لطيف ما حضرني وأنا أستشهد في هذا المقام بقوله عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] أن أهل القرآن يدخلون في معنى الآية دخولاً أوّليا ، وكأنهم المقصودون بذلك ، وكأن سعادتهم وحياتهم الطيبة كانت بإيمانهم وعلمهم بالقرآن وعملهم به وتلاوتهم، من ثَمَّ ناسب أن يأتي بعده مباشرة قوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] والله أعلم .

وترى حامل القرآن مبجّلا حيثما حلّ ، إذا جلس في مجلس كان له الصدارة ، ولحظته العيون ، فإن لم يكن له الصدارة في المجلس ؛ لصغره أو غير ذلك كان له الصدارة في القلوب ، وإذا حضرت الصّلاة كان إمامهم ، إن كان الحاضرون ممن يعلم السُّنة ويعمل بها ، والعوام يدركون ذلك بالفطرة ، وإنما يستنكف من ذلك من لاخلاق له . فيقدّمون الأوجه أو الأشهر ، وإن كان أقل علما ، أو كان من الجاهلين ، وربّما قدّموا صاحب المال ؛ لغناه .

---

[1] أورد هذه الأبيات والقصيدة كلها الشوكاني في البدر الطالع : ٢ / ٨٢ .

وتجد حامل القرآن يعيش بين الناس ومعه شفيعه ، فإن وقع في عثرة ، قال الناس : أقيلوه واتركوه ؛ لأنه يحفظ كلام الله .. وإن ضُيِّق عليه القبول في معهد أو جامعة ، وكان للقبول مجال قالوا : قدِّموه ؛ لأنه يحمل كتاب الله .. وإن قلَّتْ درجاته واحتاج إلى جَبْر قالوا : اجبروا نقصه ؛ لأنه من أهل القرآن .

وإن زكاه مزكٍّ كتب في صدر تزكيته التنويه بحفظه للقرآن . . وإن عرِّف به قال القائل : هو من حفظة القرآن ، فله الصدارة في كل شيء حتى في القبر ؛ فإن المقدَّم هو القارئ ، وكان النبي ﷺ يقدم الأقرأ حين دفن شهداء أحد ، كما سيأتي .

وتجد حامل القرآن في ميدان رحب ، إن ضاقت به سبل التوظيف وجد له مسلكا إلى الإمامة ، أو التعليم ، أو القراءة ، أو التصحيح ، كأنما يحمل شهادة عليا ، والقرآن أعلى من كل شهادة .

ومن شرف حامل القرآن تقديمه في الإمامة في الصلاة على غيره .

قال عليه الصلاة والسلام : « يؤم القوم أقرؤوهم لكتاب الله..»[1] .
وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم الناس في المدينة قبل مقدم النبي ﷺ ؛ لأنه كان أكثرهم قرآنا ، وكان يصلي خلفه المهاجرون الذين قدموا من مكة[2] ، فانظر كيف رفعة القرآن ، وفضله في هذا المقام ، وألغى كلّ فارق من الفوارق المعتبرة في قوانين الجاهلية وأعراف القبائل . بل إنَّ حَمْلَ القرآن مؤهلٌ من مؤهلات الاستخلاف والإمارة ، وكان ذلك معروفا لدى أصحاب النبي ﷺ ..

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٦٧٣) عن أبي مسعود الأنصاري .

(٢) انظر: صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب إمامة العبد والمولى (٦٩٢) وفي رواية أبي داوود : « ومنهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد » سنن أبي داوود : (٥٥٠) .

قصَّ عامر بن واثلة : أن نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان - وكان عمر يستعمله - على مكة ، فقال عمر : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : عبد الرحمن بن أبزى ، قال : من عبد الرحمن بن أبزى مولى من موالينا ، قال عمر: استخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض ، قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين »[1] ، وكان عمر وقّافا عند كلام الله وكلام نبيه ﷺ لا يجاوزهما .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة: ١١] والعلم بكتاب الله هو أعظم ما يرفع إلى الدرجات العلى والأولى .

وكان ابن أبزى واليا على خراسان أيام خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ، ولم يكن سؤال عمر مستغربا ولا منكرا ؛ لأن أمر الولاية أمر متعلق بأمر الدنيا وأمر الآخرة ، يُحتاج فيه إلى مراعاة أعراف الناس ومنازلهم عند أنفسهم ؛ لأن النفوس لا تقبل أن يكون المولى سيدًا على أسياده .. وهذا ميزان يعمل به حينما تستوي الرءوس ، لكنه يختلف حين تختلج النفوس ، ويكون ذلك المولى من أهل القرآن وخاصته ، الذين هم من أولي العلم ، فإن هذا الفارق يلغي ما في صدور الناس من نظر إلى الجاه والمال والنسب ، بل ينسون ذلك حتى بطبعهم البشري ؛ لأن العلم يجلب الجاه والمكانة ، والدرجة الرفيعة ، وما شيء يكسر غطرسة أهل الدنيا أكبر من العلم الذي يحمله علماء الآخرة .

---

(١) رواه مسلم (٨١٦) باب فضل من سيؤم بالقرآن ويعلمه ، قال ابن حجر في فتح الباري (٢ / ٢٤١) : « وكانت إمامته لهم قبل أن يعتق » .

وقد كان الأغنياء يحتقرون أنفسهم في مجلس سفيان الثوريّ ؛ لأن الجلالة عنده للعلم وأهله .

وكان القراءُ هم أصحابَ مجلس عُمر و مشاورته ، كهولهم وشبانهم[1] .

وإذا كان صاحب القرآن له الصدر بين العالمين في الدنيا بقدر الله الشرعي ، فكذلك له التقدم في البرزخ ، وله الدرجات العلى في الآخرة ؛ فعن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - قال : كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، ثم يقول : « أيهم أكثر أخذا للقرآن » فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد[2] .

وأما في الآخرة فإن منزلته عند آخر آية يقرؤها ، كما ثبت في الحديث الصحيح .. وقد روي أن منازل الجنة بعدد آي القرآن ، فأهل القرآن هم الأعلون منازل ، غير أن هذا لا يصح من طريق ثابتة .

وإن صاحب القرآن الذي لم يعرض عنه وعن العمل به ، ولم يغلُ فيه ، بأن يتجاوز الحدّ في العمل والبحث في متشابهه لَيُجلّ ويكرم إجلالا لله ، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن من إجلال الله إكرامة ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط »[3] .

(١) انظر : صحيح البخاري ، (٦٤٢) كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٥٣) ، كتاب الجنائز .

(٣) أخرجه أبو داوود (٤٨٤٣) وفي إسناده ضعف ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود (٤٠٥٣) .

تعلُّم القرآن الكريم ، وتعليمه

قال العلماء : تعلّم القرآن ثم تعليمه أفضل الأعمال ؛ لأن فيه إعانة على الدين وفهمه ، وقد قال النبي ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وبعث الله جبريل عليه السلام ليعلّم النبي ﷺ ، وقال سبحانه : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم: ٥] وعلم النبي ﷺ صحابته ، وصحابته علَّموه من بعدهم ، فكان لهم الشرف في ذلك .

وروى مسلم في صحيحه[١] عن عقبة بن عامر ، قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصّفّة ، فقال : « أيكم يحب أن يغدُو كل يوم إلى بُطحَانَ أو إلى العقِيقِ فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم » فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك ، قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلّم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الإبل » .

قال القرطبي : وإنما استنقص الناس المعلمين لمعنيين :

أحدهما : أنهم يقصرون زمانهم على معاشرة الصبيان الذين لا عقول لهم ، فيؤثر ذلك على تطاول الأيام في عقولهم ، كما يزاد في عقل من عاشر الحكماء . وأبو عبد الرحمن السلمي وأشباهه لم يكونوا بهذه الصفة ، وإنما كانوا يلقّنُ الواحدُ بعد الواحدِ آياتٍ فيأخذها وينصرف ، ثم يجالس الكبراء ويستفيد منهم .

---

(١) رقم الحديث (٨٠٣) .

والوجه الآخر: ما يجري منهم من الأطماع الكاذبة ، وأخذ الأشياء من الصبيان ، فلم يوقَّروا ؛ لوجود الشره منهم ، ومن استحقر معلمًا لأجل تعليمه خيف عليه ، وقد بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ليُعلِّم النبي ﷺ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم: ٥] وما تعلمه أول من تعلمه من الأمة إلا من النبي ﷺ ، وقد كان الأولون الذين ذكرنا أنهم كانوا يعلمون القرآن بمعزل عن هذه الرذائل ، فلذلك استحقوا المدح [1] .

---

(١) التذكار : ١٤٤.

آداب قراءة القرآن الكريم

لقراءة القرآن آداب كثيرة نذكر منها على سبيل الإيجاز هذه الآداب :

١ - أن يقرأه على طهارة وأن لا يمس القرآن إلا وهو طاهر(١) .

وكان السلف الطيب يحرصون على ذلك ويتعاهدون أحوالهم بالوضوء والتطهر عند القراءة.

٢ - أن يستاك قبل القراءة وينظف فمه .

لأنه طريق القرآن ، قال يزيد بن أبي مالك : إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم(٢).

---

(١) جمهور العلماء يرون أنه لا يجوز مس المصحف للحائض والجنب . والأدلة التي استدل به في ذلك على قسمين:

أدلة صحيحة غير صريحة كآية: {لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } [الواقعة٧٩] فهذه في الكتاب المكنون الذي في اللوح المحفوظ، بدليل قوله : {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ }[الواقعة٧٨] ثم هو خبر ، لا نهي ، ثم إنه قال : { الْمُطَهَّرُونَ } ولم يقل : (المتطهرون) كما قال : { فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ - مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ - بِأَيْدِي سَفَرَةٍ } والآية بعد هذا مكية ، وانظر : التفسير القيم لابن القيم : ٢ / ١٩٠ ، وقد يكون فيها إشارة إلى أن المصحف الذي بأيدينا كذلك ، غير أن المراد بغير المطهرين في الآية الشياطين ، وكذلك حديث : « لا يمس القرآن إلا طاهر » من يصححه ممن يرى جواز مس المصحف لغير المتطهر يقول : بأن الطاهر هو المسلم ولا يصح أن يقال عن المسلم : نجس لا حقيقة ولا مجازا.

أدلة صريحة غير صحيحة لا يصح الاستدلال بها ولا تبلغ درجة الاحتجاج .

(٢) ذكره القرطبي في التذكار:١٧٥ ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «نظفوا أفواهكم فإنها مجاري القرآن » رواه الديلمي.

٣- أن يجتنب أكل الثوم والبصل قبل القراءة .

قال مجاهد: « كانوا يكرهون أكل الثوم والبصل من الليل » وقال قتادة : « ما أكلت الثوم منذ قرأت القرآن ».

٤- استحب بعض السلف أن يتطيب القارئ للقرآن ويتهيأ له .

كما يلبس للدخول على الأمير ؛ لأنه يناجي ربه بكلامه إذا قام الليل .

٥- أن يستقبل القبلة[١] .

٦- أن يمسك عن القراءة إذا تثاءب إجلالا للقرآن وتعظيما له .

روي معنى هذا عن مجاهد وعكرمة .

٧- أن لا يقرأه في مجالس اللّغو واللغط ومجامع السفهاء .

ألا ترى أن الله أثنى على عباد الرحمن الذين قال عنهم : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢] ، هذا مرورهم بأنفسهم ، فكيف إذا مرّوا بالقرآن تلاوة بين أهل اللّغو والسفه .

٨- أن يقف عند آيات الوعد ، ويسأل الله من فضله ، ويرغب إلى الله ، ويقف على آيات الوعيد ، ويستجير بالله من عذابه وعقابه .

٩- يستحب إذا مرّ بآية سجدة أن يسجد .

ومواضع السجود معروفة ، لها علامات مميزة في المصحف ، وضع

(١) استأنس بعض العلماء في ذلك بحديث: « خير المجالس ما استقبل به القبلة » وهو حديث لا يصح ، أخرجه الحاكم (٧٧٠٦) والطبراني في الكبير (١٠٧٨١).

على لفظ السجود خط مستطيل ، وفي هامش الصفحة بيان أنه موضع سجدة .. وكلها متفق على السجود فيها بين الأئمة إلا السجدة الثانية من سورة الحج ، وسجدة ص والنجم والانشقاق والعلق[1] .

١٠- أن يقرأه بالتفخيم .

أي : على قراءة الرجال ، ولا يخضع بالصوت فيه فتكون قراءته مثل قراءة النساء .

١١- أن يقرأه قراءة واضحة بينة مرتلة .

يراعي فيها إخراج الحروف من مواضعها ويمدّ في موضع المدّ ، ويقف في موضع الوقوف ؛ لأن ذلك أعون له على فهم المعاني والتدبر .

١٢- أن يفرغ للقراءة ولا يقطّعها بكلام الناس .

كأن يجلس بين أناس يتحدثون فيفتح المصحف ويتلو في سره ويسمع كلامهم وينشغل به ، فهذا مما يجعل قراءته كلا قراءة ، فإما أن يجمع حواسه للقراءة ، أو يفرغ لكلامه وعمله .

١٣- واستحب القراء إذا ختم القرآن وانتهي من سورة الناس أن يفتتح القرآن ثانية بقراءة الفاتحة وأول سورة البقرة إلى قوله : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥].

---

(١) والأحاديث في الصحيح تثبت أن النبي ﷺ سجد الثلاث الأخيرة ، وثبت أن سجدة «ص» من مواضع السجود ، وقال ابن عباس : «ليست من عزائمه» وأما السجدة الثانية في سورة الحج ففي حديثها ضعف.

ليكون ذلك أدعى لمواصلة القراءة والمواظبة على قراءة حزبه ثانية ، ويُستدل لذلك بما روي أن رسول الله ﷺ : سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى ؟ فقال : « الحالّ المرتحل »[1]، والحال والمرتحل هو الذي كلما ختم افتتح ، وكلما حَلَّ ارتحل .

١٤- أن يُجلَّ المصحف من كل ما يعرضه للامتهان .

وأن يضعه على حجره إذا قرأ أو على شيء بين يديه .

١٥- أن يكون ختمه يوم الخميس إذا أمكنه ذلك ، أو يوم الاثنين .

وكان عثمان بن عفان ﷺ يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس .

وقال الإمام الغزالي : « الأفضل أن يختم ختمة بالليل ، وأخرى بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدها ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وآخره »[2] ، ولعل السلف لحظوا في ذلك عرض العمل ؛ لما قد ثبت أن الأعمال تعرض يومي الاثنين والخميس .. وفي سنن الدرامي عن سعد بن أبي وقاص : « إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإن وافق ختم القرآن آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي » قال الدرامي : هذا حسن

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٧٢) بإسناد فيه ضعف تفرد به صالح المرّي ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٠٤٥) وصححه ، ولم يوافقه الذهبي .

(٢) الأذكار للنووي : ١٧٦ .

عن سعد[1] .

١٦- أن لا يتكلف في قراءته ولا يتنطّع في إخراج حروفه .

كما يفعل بعض القراء .

١٧- أن يجتنب القراءة بألحان الغناء ، ولا يشتغل بمراعاة مقامات الألحان .

وتكلُّفها بدعة بدأت تحيا من جديد ، وتنتشر في الأوساط ، ويتعلمها الحفاظ وذووا الأصوات الحسنة ، وسمعت بعض من يتكلف المقامات يلحِّن لبعض الأئمة الآيات ويناسب بين خواتيمها وبين التكبير في الركوع والتسميع والتحميد وبينها وبين التسليم .. وهذه البدعة ونحوها من خدع إبليس وتزيينه للقراء ، فيتوهم أصحابها أنها من العناية بكتاب الله تعالى وتحسين الصوت والتغني بالقرآن ، ومن عادة إبليس أنه إذا أيس من صرف المؤمن عن العبادة والاشتغال عنها صرفه إلى الابتداع فيها بالزيادة أو النقص ، وأوهمه أنه شغله بها .. وأحفظ جملة عظيمة تنسب إلى ابن العربي ، وهي : « إن إبليس حين لم يستطع أن يشغل الناس عن القرآن شغلهم به عنه » ، أي : أنه جعلهم يشتغلون بشيء فيه لا ينفعهم في معادهم يشغلهم عما ينفعهم في دينهم وآخرتهم .

١٨- استحبّ بعض أهل العلم أن يكون يوم ختمه صائمًا .

---

(١) سنن الدرامي برقم (٣٥٤٧) ونازعه الحافظ بن حجر في تحسينه بأن في سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف الحفظ ، ومحمد بن حميد مختلف فيه .. وكأنه حسنه لشواهده السابقة وأراد الحسن اللغوي . نقله محقق الأذكار عبد القادر الأرناؤوط.

إلا أن يصادف يومًا نَهَىٰ الشرعُ عن صومه ، كيوم العيد ، وتخصيص يوم الجمعة بصوم ، وصوم يوم الشك ، قال النووي : « وقد صح عن طلحة بن مصرِّف والمسيّب بن رافع ، وحبيب بن أبي ثابت من التابعين الكوفيين ، رحمهم الله أجمعين ، أنهم كانوا يصبحون صيامًا في اليوم الذي كانوا يختمون فيه »[1].

١٩- ومن الآداب : أنه إذا كان يقرأ بحضرة من يصلي أو يقرأ القرآن أن لا يجهر به كيلا يشوش عليهم .

فقد خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يصلُّون ، وقد علت أصواتهم ، فقال ﷺ : « إنّ المصلّي يناجي ربّه فلينظر بما يناجيه ، ولا يجهر بعضكم على بعض »[2] ، وهذا النهي عن الجهر في الصلاة دون غيرها، لقوله : « إن المصلّي يناجي ربّه » وبهذا قال السلف الطيِّب .

فإذا كان الجهر بالقرآن مما يشوش على المصلين ، ويقلق مناجاتهم لله ، فكذلك كلُّ ما يحدث لهم ذلك من رفع الصوت بالكلام والصياح ، فكيف إذا كان الجهر عليهم بأصوات الهواتف الجوّالة ونغماتها المزعِجة المقلقة ؟!

وترى كثيرًا منهم يسارعون في إصمات هواتفهم حين يدخلون على كبير من كبراء الدنيا وساداتها ، ولكن أذهانهم أبعد ما تكون عن تذكّر ذلك إذا دخلوا المسجد للقاء الله رب العالمين أعظم الأعظمين ، فيشوِّشون على

---

(١) الأذكار : ١٧٧.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١ /٨٠) وأبو داوود ، حديث (١٣٣٤) باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، والحاكم في المستدرك (١ / ٣١١) .

أنفسهم وعلى النّاس ، فهذا هاتف يهتف بالأذان ، وذاك هاتف يهتف بالموسيقى والألحان ، وثالث بضحكات طفل من الناس ، ورابع برنة أجراس ، فلا تسل حينئذ عن اختلاج القلوب ، واضطراب النفوس ، وتشويش الأذهان ، وأما الخشوع فطائر قد نفره الخاطرات ، وبنات الصدور ، فلا معنى للسؤال عن هذه الأمور .

ترتيل القرآن

قال الله عز وجل : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤] الترتيل : القراءة في ترسُّل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات ، فشرّ القراءة الهذرمة التي يجعل فيها القارئ حتى يخلط بين الحروف ويسقط بعضها ، وسمع علقمة رجلا يقرأ قراءة حسنة ، فقال : لقد رتل القرآن ، فداه أبي وأمي[1] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي : أنزلناه على مكث أي : مهل ، ولتقرأه على مكث .

ومما يروى عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله : « التجويد : معرفة مخارج الحروف ومعرفة الوقوف » فأمّا إخراج الحروف من مخارجها فهذا هو التجويد (التحسين) المتعلّق باللفظ ، وأما معرفة الوقوف فهذا متعلق بالمعنى ، والجزء الأول هو الذي حذقه عامة من يرتّلون القرآن ويحفظونه ، فيؤدونه بإحسان ، ويجودونه بإتقان ، ولكنهم غائبون عن معانيه ، وإن أتقنوا مبانيه ، ولا يقدر على معرفة الوقف إلا من فقه المعنى ، وعرف التأويل ، وهم في ذلك مراتب ، ومنهم من يقف حيث شاء ويستأنف حيث يشاء ، لا يبالي كيف كان وقفه ، وعلى أي لفظ ، وقد سمعت واحدا من القرّاء المشهورين أصحاب الأصوات الحسنة ، يقف على لفظ ﴿ تَجْرِى ﴾ في : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، وفي هذا من فساد المعنى ما هو ظاهر ، وسمعت عمن

---

(١) تفسير القرطبي: ١٩/ ٣٨.

وقف - وهو لا شكّ من الجهلة - على قوله عز وجل : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ﴾ [يوسف: ١٧] فانظر إلى آثار هذه الوقوف القبيحة ، وكيف أبطلت المعنى ، وخلخلَت المبنى وأفهمت معنى فاسدا ، وقد نبه مصنفو التجويد على بعض الأوقاف القبيحة ، كالوقوف على : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] بالوقف على ﴿ لَا يَهْدِى ﴾ ، وكذلك لفظ ﴿ إِلَٰهَ ﴾ من قوله عز وجل : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، فهذا وأمثاله من الأمور الواضحة التي يقع فيها من تمكنت منهم الغفلة ، ولم يفطنوا إلى ما يقرءون ، أو كانوا من الناطقين بغير اللّسان العربيّ .

ومنع مثل هذا الوقوف والزجر عنها ليس من التكلف والتنطع ، والمبالغة والتزيد في باب الوقف ، بل هذا مما يوجبه التدبّر ولوازم الترتيل ، ولهذا لا نرى بأسا من الوقف على كل لفظ تم معناه ولو تعلق بما بعده ، كالوقوف على لفظ الجلالة في : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] والوقوف على : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] والوقوف على : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [البقرة:٢] ولا مانع من الاستئناف بعده ، وإن أوجب قرّاؤنا ومشايخنا الرجوع إلى اللفظ السابق وربطه به ، فهذا من كمال الأداء ، وليس مما يوجبه الترتيل الذي أمرنا به ، و إلا لم يَجز الابتداء بـ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣] ولا فرق بينه وبين ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ في ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلا كونه رأس الآية ، وهذا لنا لا علينا ، وبيان ذلك أنه لو لم يجز الابتداء بما تعلق بما قبله في اللفظ والمعنى لما جعل رأس آية وسن لنا الشارع الوقوف عليه ، وكم من آية في القرآن الكريم تتضمن هذه العلاقة ، وأكثر آيات الفاتحة كذلك ، وكثير

من آيات الشعراء ، والصافات ، والذاريات ، والطور ، والنجم ، وأكثر سورة المفصل ، آياتها مترابطة تتعلق الآية الثانية بالأولى في الإعراب فاعلا ، أو مفعولا ، أو حالاً ، أو تمييزا ، أو جرّا ، أو تبعيّة ، أو غير ذلك .

بل إن هناك ما هو أكبر من هذا ، وأصحابنا من القراء لا يرون العمل به ، وهم ينهون عنه وينئون عنه ، وهو القطعُ قطعُ القراءة عند آخر الآية إذا كان لها تعلق بما بعدها .. وحاججناهم بفعل النبي ﷺ إذ أوقف ابن مسعود عند قوله سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] وهو متعلق بما بعدها تعلّقًا قويًا لفظا ومعنى ، وهو قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤٢] فإن قيل : كان ذلك لعارض ، قلنا : العارض نوعان ، عارض يمنع من القراءة وعارض لا يمنع ، وقد كان القارئ ابن مسعود ، لا رسول الله ﷺ ، فلو كان قطع القراءة في نحو هذا غيرَ جائز لما أوقفه النبي ﷺ ، ولم يكن العارض مانعًا، ولا كان هو القارئ .

ولا نرى المبالغة أيضا في مخارج الحروف ، كما يفعله بعض القراء ، ويشقّون فيه على أمة محمد ﷺ ، ويمكث المتعلم عند بعضهم مدّة يَلْوِي شدقَه ولسانَه ويعطف شفتيه لتصحيح النطق بالاستعاذة ، يمكث في ذلك مدّة ، وفي البسملة مدّة ، وبعدها يأذن المقرئ له بالانتقال إلى قراءة السورة ، يأذن له في ذلك على مضض ، فمن القراء من يمكث عنده المتعلم العربي الفصيح الأيام ذوات العدد في تلقين الاستعاذة ، يعلمه كيفية النطق بكل حرف ، وكيف يفتح فمه ، ومتى لا يفتحه ، فيلقنه مع ذلك الوسوسة والتنطّع .

وكان بعض مشايخنا يخبرنا عن شيخه أنه كان لا يجيز قراءة قارئ ينطق الهمزة من غير أن يحرك شفتيه ، فإذا قرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ وجب عليه أن يحرك آخر شفته إلى جهة أذنه ، ونسيت هل قال : اليسرى أم اليمنى ، أكبر ظني أنها اليسرى ، ويرى أن تحريك الأخرى خطأ لا يجوز .. وقلت في منظومة وجيزة لي في التجويد في هذا المعنى :

ما دَخْلُ همز " إنَّ " يا مشيختي　　　في ليّ شِدقٍ وانعطافِ شفةِ

ويالَحسنِ ما قاله السخاوي في منظومته النونية في التجويد ، التي حذر فيها من التكلف والمبالغة المذمومة ومراعاة الألحان على حساب الحروف ومخارجها ، والخروج عن موازين الأداء الصحيح .. يقول - رحمه الله - :

لا تحسب التجويد مدًّا مفرطًا　　　أو مَدَّ مـــالا مدَّ فيه لـــوانِ

أو أن تشـدّد بعد مدٍّ همـــزةً　　　أو أن تلوك الحرف كالسكرانِ

أو أن تفـــوه بهمـزةٍ متهوّعا　　　فيفـرَّ سامعهــا من الغثيـــانِ

للحرفِ ميـزانٌ فلا تك طاغيًا　　　فيـــه ولا تك مخِسـر الميزانِ

فإذا همـــزتَ فجئْ به متلطفــا　　　مــن غير ما بَهـــر وغير تــوانِ

وامدد حروف المدِّ عند مسكنٍ　　　أو همزةٍ حسنا أخا إحـــــسانِ[1]

والقصيدة تزيد على ستين بيتا .

---

(١) انظر قصيدته النونية المطبوعة مع قصيدة الخاقاني الرائية ، تحقيق : د. عبد العزيز قارئ ، والأبيات موجودة في السخاوي المسمى جمال القراء : ١٧٩ ونقلها عنه تلميذه أبو شامة في كتابه المرشد الوجيز : ٢١٢ .

وقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) : « حدّ التحقيق في القراءة أن يوفي الحروف حقوقها من المدّ والهمزة والتشديد والإدغام والحركة والسكون والإمالة والفتح إن كانت كذلك من غير تجاوز ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف »(١) .

والعناية مركزة في هذه الأزمان على إقامة الحروف ومراعاة الأحكام وتطبيقها تطبيقا يخضع له مادام جاريا على سنن القراءة التي لا تجاوز فيها ولا إفراط ، ولكن المتدبرين منا قليل والعاملين به المتخلقين به الواقفين عند حدوده أقلّ .. وقد صح عن النبي ﷺ : أنه خرج على أصحابه ومنهم العجمي والأعرابي ، فقال : « اقرءوا فكل حسن فسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القِدْح ، يتعجّلونه ولا يتأجلونه »(٢) أي : يتعجلون ثوابه في الدنيا ، ولا يتأجلون ثواب الآخرة ، وقد قال الله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى: ٢٠].

وفي قول الصحابي : وفينا الأعرابي والعجمي : ما يفيد أن فيهم من لا يحسن القراءة كإحسان العربي الذي ليس بعجمي ولا أعرابي ، وفي قول النبي ﷺ : « اقرءوا فكلٌّ حسَن » إقرار بما هم عليه ، وأن كلّ من يقرأ – ولو لم يتقن – محسن ، ولم يثرِّب رسول الله ﷺ على أحد منهم .. وإنما ذم قوما آخرين لما يلحقوا بهم يتقنون أداءه غاية الإتقان ، ولكنهم يتأكلون به ويطلبون به العاجلة ويذرون الآخرة .

---

(١) نقله عنه في المرشد الوجيز : ٢١١ .

(٢) رواه أحمد (١٤٧٣٥) وأبو داوود (٧٠٦) عن جابر بسند صحيح ، والقدح بكسر القاف : هو السهم قبل أن يراش .

ومثل هؤلاء كمثَل من ذمهم الله في كتابه من أهل الكتاب الذين لا يعرفون من التوراة إلا اسمها ، ولا يعلمون من تعاليمها إلا رسمها ، يقرءونها وهم عنها معرضون ، قال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨] أي : منهم من لا يعلم من الكتاب إلا القراءة ؛ لأن تمنّى في لغة العرب لها معنيان ، أحدهما : قرأ ، والثاني : من التمني المعروف في النفس ، وكلا المعنيين يمكن إعماله ، وفي التمني بمعنى القراءة ، يقول حسان بن ثابت ﷺ :

تمنَّى كتاب اللهِ أوّلَ ليله   تَمَنِّيَ داوودَ الزبورَ على رِسْلِ

أي : قرأ كتاب الله ، كقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] أي : إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته .

والقصد : أن المطلوب في القراءة : الترتيل بقراءة واضحة بينة ، ليس فيها هذّ ولا إسقاط للحروف ، ولا خروج عن القراءة بالتمطيط وألحان الغناء التي تخرج القراءة إلى ما ليس بقراءة .

و للغزالي كلام حسن في هذا المقام ؛ فقد بيّن الموانع التي تحول بين القرآن وقلب قارئه وجعلها أربعة حُجُب :

أولها : أن يكون الهمُّ منصرفا إلى تحقيق الحروف ومخارجها ، قال : وهذا يتولى حفظَه شيطانٌ وكِّل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ، يخيل إليهم أنه لم يخرج من

مخرجه ، فهذا يكون تأمله مقصورًا على مخارج الحروف ، فأنى تنكشف له المعاني ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعًا لمثل هذا التلبيس .

ثانيها : أن يكون مقلدًا لمذهب سمعه ، وجمد عليه ، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتبّاع للمسموع منه من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه ، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفًا على مسموعه ، فإن لمع برق على بعد ، وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه الشيطان التقليد حملة ، وقال كيف يخطر هذا ببالك ، وهو خلاف معتقد آبائك ؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان ، فيتباعد منه ، ويحترز منه ، ويحترز عن مثله ، ولمثل هذا قالت الصوفية : إن العلم حجاب ، وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم ، فأما العلم الحقيقي فلا يكون حجابا بل هو منتهى المطلب .

ثالثها : أن يكون مصرًا على ذنب ، أو متصفًا بكبر ، أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع ؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه ، وهو كالخبث على المرآة ، فيمنع الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون ، وكلّما كانت الشهوات أشدَّ تراكمًا كانت معاني الكلام أشدَّ احتجابًا ، وكلّما خفَّ عن القلب أثقالُ الدنيا قَرُب تجلِّي المعنى فيه ، فالقلب مثلُ المرآة والشهوات مثل الصدأ ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء

للمرآة ، ولذلك قال ﷺ : « إذا عظَّمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام ، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي»[1]

قال الفضيل : يعني حرموا فهم القرآن ، وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير ، فقال تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٨] وقال عز وجل : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر: ١٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩] فالذي آثر غرور الدنيا على الآخرة فليس من ذوي الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب .

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرًا ظاهرًا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ، ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي منهي عنه ، فهذا أيضًا من الحجب العظيمة[2] ..

هذا خلاصة كلام الغزالي ، عليه الرَّحمة ، وهو كلام يستحق أن يكتب بماء الذهب ، ولهذا الإمام معرفة صائبة بأمراض القلوب وبأسرار النفوس ومداواتها ، والشبه النفسية وأجلائها ، وهذه الحجب الأربعة التي ذكرها يكتنفها الجهل والهوى ، فهذان هما الداء العضال الذي يطمس البصيرة .

ولا يظن ظان أننا ذممنا ما جهلناه ، فإنني قطعت دهورًا من عمري في القراءة والإقراء ، وجمع القراءات ، وتحرير الروايات ، وأخذت عن أقطاب

---

(١) قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا معضلا في كتاب الأمر بالمعروف من حديث الفضيل بن عياض ، قال : ذُكر عن نبي الله . المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء : ٣٥٦ .

(٢) إحياء علوم الدين : ١ / ٢٨٤ وما بعدها .

هذا الفن وأَجزتُ وأُجِزتُ ، ولكنني منذ الرشد ونفسي نافرة من طريق المتشددين الذين يقفون صخورًا مانعة من تعلم كتاب الله والفقه في الدين بالتعسير على الناس .

صفة قراءة النبي ﷺ

كان لرسول ﷺ حزب يقرؤه كل يوم ، وكانت قراءته مدّا ، ولم يكن يعجل بالقراءة ولا يهذّها هذًّا ، قال قتادة : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ ، فقال : كان يمدّ مدًّا ، ثم قرأ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يمد ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم [1] .

ووصفت أم سلمة قراءته بأنها كانت مفسَّرة حرفا حرفا ، وقالت : كان يقطِّع قراءته آيةً آيةً ، ويستعيذ في أول قراءته ، وكان عليه الصلاة والسلام يُرجِّع صوته به أحياناً ويتغنّى ، كما رجّع يوم الفتح وهو على دابته ، وقرأ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١﴾ الفتح: ١ وحكى راوي الحديث ، وهو عبد الله بن مغفَّل كيفية ترجيعه بأنه قال : « آ آ آ » ثلاث مرات[2] .

<u>والظاهر</u> أن هذا كان اختيارًا منه ، ولم يكن اضطرارًا بسبب ركوبه على الدابة وحركتها ؛ لأن الراوي حكاه وفعله لبيان التأسّي به ، ولو كان اضطرارًا ما احتاج إلى ذلك[3] .

<u>والظاهر</u> من هذا الحديث ، ومن حديث أنس السابق الذي بيّن فيه أنّ قراءة النبي ﷺ كانت مدّا : أنه تجوز الزيادة على القدر الذي حدّه القراء في المدّ الطبيعي لاسيما في أواخر الألفاظ ، نحو ﴿ حَكِيمًا ﴾ و ﴿ مُّبِينًا ﴾ والحديث صريح في ذلك ، فقد مدّ النبي ﷺ لفظ ﴿مُّبِينًا ﴾ ثلاث ألفات .

(١) أخرجه البخاري ، فضائل القرآن : ٩ / ٩١ ورواه بقية السبعة سوى مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن : ٩ / ٨٩.

(٣) انظر زاد المعاد: ١/ ٤٨٣ ، وقال ابن كثير : كان ذلك للحاجة ، فضائل القرآن : ٢٤١ .

فإن قال قائل : إن ذلك صدر من حركة الدّابة تحته ، فلم يكن له فيه اختيار ، ومثل هذا يغتفر للحاجة كما تغتفر الصلاة على الدابة ، ولو توجهت إلى غير القبلة ، فالجواب أن حركة الدابة لها أثر في الاهتزاز وترجيع الصوت ، وأما زيادة المدّ ، فلا يحدثه حركة الدابة ولا اهتزازها .. وكنت عرضت هذا الحديث من صحيح البخاري على مشايخنا في القراءات ، ومنهم الشيخ محمود سيبويه البدوي ، والشيخ أحمد عبد العزيز الزيات ، رحمهما الله ، فكان من جوابهم أنّ القرآن وصل إلينا مجّودا دون زيادة في المدّ الطبيعي وما أخذ حكمه .

ولم يشفني هذا الجواب ، ولا أجد جوابا يسير على سنن القراء والمجوِّدين - وإن كنت واحدًا منهم - إلا القول بجواز الزيادة على القدر الذي حدّه القراء للمد الطبيعي ؛ لأن النبي ﷺ لو كان يمدّ لفظ ﴿ ٱللَّهَ ﴾ و ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مدّا يساوي حركتين - وهو القدر الذي يمكن فيه النطق بذات الألف - لما احتاج أنس ﷺ أن يصف قراءته عليه الصلاة السلام بأنها كانت مدّا ، ولكان كلام أنس لغوًا لا حاجة إليه ، ولكان معناه - إن لم يمد - إسقاط الألفات جملة ، وهذا غير ممكن ولا متصور وقوعه من عربي .. ولكن لا يلزم أن تكون هذه الزيادة زيادة مفرطة تصل إلى ثلاثة ألفات ، بل يتحقق معنى ذلك ولو بزيادة يسيرة .. وهكذا الترجيع الذي حكاه عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ في قراءته في سورة الفتح ، لا يلزم أن يكون بمقدار ثلاث ألفات ، بل يمكن أن يكون بمقدار ثلاث حركات ، أي : قدر ألف ونصف ، والله أعلم .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا وعلى جنب ، ويقرأه متوضئًا وغير متوضئ ، وكان يحب أن يسمعه من غيره ، واستمع إلى

قراءة أبي موسى الأشعري ، وأمر ابن مسعود أن يقرأ القرآن وهو يستمع إليه وقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » .

ولم يكن النبي ﷺ متكلفا في أي شيء ، وقد قال الله له : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص: ٨٦] .

أحسن الطرق وأخصرها لحفظ القرآن الكريم

أوصي من كان كبيرًا ، وأعني بالكبير : من جاوز البلوغ ، ولو كان عمره خمسين سنة أو أكثر - إذا أراد حفظ القرآن - أن يفرُغَ من كلِّ شغل يشغل ذهنه، ويتجرّد مدّة لحفظ القرآن في عزم وقوة ، ولا يترك وقتًا من الأوقات لا يحفظ فيه ويراجع ، وليستعن بالسماع والتسميع والقراءة بصوت عالٍ حين يمكنه ذلك ، وليدأب على ذلك ، والأولى أن يكون له مقرئ يعود إليه ويعرض عليه ما يحفظه قبل أن يحفظه ، وليستعن بالله ويصبر ، وقد وجدنا أن أكبر الأسباب التي يبذلها الإنسان في تحقيق ما يريد هو العزم المصمّم ، فقوة العزم تذلِّل المصاعب ، وترفع المتاعب ، وتطرد الكسل ، وتقرب الأمل .

وإني لأعرف شيخًا كان قد جاوز الستين فانقطع لحفظ القرآن وقال لي: أريد أن أموت وقد حفظت القرآن ، فحفظه في خمسة أعوام حفظا متقنا ، حفظه على الطريقة التي وصفتُ ، ولم يكن يسوقه سوى العزم الأكيد للوصول إلى الغاية الشريفة التي استقرت بها نفسه ، وانشرح لها صدره ، وهي أن يلقى الله وكلامه في صدره ، ومن وراء ذلك كلِّه توفيق الله وعونه .

وأخبرت عن رجل حفظ القرآن بعد السبعين .. وعن رجل في زماننا تفقد نعم الله عليه في جسده ، ووجد من أعظمها نعمة البصر ، وكان قد ضعف ، فسأل الله أن يعينه على حفظ القرآن حتى يكون أنيسه ونوره ، إن أظلمت عليه الدنيا وفقد بصره ، فوفقه الله لحفظ القرآن ، وابتلاه بضعف بصره حتى ذهب جملة ، فملأ عليه قلبه وحياته ، وصار استيحاشه أنسا ، وخلوته سرورا ، وظلامه نورا . وأعرف من حفظ القرآن وهو في الكهولة من الرجال والنساء ، وفيهم من لا يميزه ذكاء ظاهر ، ولا عرف بقوة حفظه ، ولم يكن إلا

تيسير الحق عز وجل للناس هذا القرآن الذي قال فيه : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [القمر: ١٥].

ومن خصائص القرآن أن من دأب على حفظه بإرادة وعزم يسر له ذلك ، ولو كان من أبلد الناس ، وأنه لا يحذقه من لم يجهد ويدأب في حفظه وتعاهده ، ولو كان من أذكى الناس ، هذا أمر عرفناه وشاهدناه واقعا ملموسا. فسبحان من يسّر القرآن للذكر .. وقد كُتبت في عصرنا كتيِّبات في بيان الطرق الميسرة لحفظ القرآن الكريم ، أشهرها حفظ صفحة واحدة كلَّ يوم من المصحف ، ليتم حفظه فيما يقارب عامين مع المراجعة كل يوم .. والطريقة الصحيحة في هذا الباب أن لكلّ صنعة لبوسا ، ولكل امرئ ما يناسبه ، فعلى كل من أراد حفظ القرآن أن يكون جادّا في وضع منهج له ينتهجه وخطّة يعمل بها ، وليختر ما يريحه ويتفق مع قدرته في الحفظ ومع تفرّغه ، وليستعن بالله ولا يعجز ، ثم ليستعن بعد ذلك بأمور ، منها :

- حافظٌ يعرض عليه حفظه .
- أن لا ينشغل بحفظ شيء آخر .
- أن يكون حرصه على حفظِ حفظِه أكبرَ من حرصه على حفظ شيء جديد .
- أن يثبت حفظه بقراءته في صلاته والقيام به ، وسيأتي بعد هذا تفصيل ذلك .

- أن يستمع إلى من يعجبه من القراء ؛ فإنه ينتفع بذلك في حفظه وتلاوته ، والتسميع والصلاة هما أقوى وسيلتين لتثبيت القرآن ، وقد يسر الله هذا القرآن للناس قراءة وحفظا وتدبّرا وتفسيرا .

والإنسان حينما يصنع لنفسه خطّة مفصّلَة لحفظه ومراجعته على ما يوافق مراده ويناسب رغبته وعمره ووقته خير له من أن يعمل بخطة غيره التي تصلح لأناس ولا تصلح لآخرين ، فالنائحة غير المستأجرة ، وأكبر ما يُوصَى به: الأخذ بما رسمه لنفسه بقوة ، وأن لا يعجَل ، وأن يحافظ على ما حفظه ، فإن من الحماقة الجري وراء ربح جديد وتضييع رأس المال .

من وسائل التثبيت

أخصر طريق ، وخير وسيلة لتثبيت حفظ القرآن هو قراءته في الصلاة إمامَةً ، هذا أمر معلوم لدى الأئمة الحفاظ ، فمن أراد أن يقرأ القرآن عن ظهر قلب ، ويشربه شرب الماء ، فعليه أن يصلّي به في الناس جهرًا ، ولست أعني أن تتصدر للإمامة لتخطئ ما شئت ليثبت القرآن في قلبك من بعد ذلك ؛ فإن هذا نوع من الاستهانة التي تحمل على الإزراء بك ، ولكنني أرشدت إلى ذلك لأمرين :

أحدهما : أن صلاتك بالناس تحملك على الاستعداد التام والمراجعة المتكررة قبل صلاتك بهم ، فكل عاقل يتحاشى أن يقع في موقع الذم ، لاسيّما في هذا المقام ، وإن كنا قد وجدنا من خلق الله من هو حامض الوجه ، قد طرح المبالاة جملة ، فلا يبالي بخطأ دق أو جلَّ ، كثر أو قلَّ ، وقد صليت مرة خلف إمام ، والناس يلقمونه ما يقرأ ، آية بعد آية ، ومن غفلة بعضهم أنه يظن أن ليس من ورائه أحد يحفظ ما يقرأ ، فيذهب إلى آيات تحدثه نفسه أن هذا هو أَوانُ قراءتها لتثبيتها ومراجعتها ، وشأنه كشأن من يصلّي وحده أو بمن يعلم يقينا أنه لا يحفظ مما سيقرؤه آية واحدة ، فيقرأ بما يشاء ، ويخطئ كما يشاء ، كما قال أبو الطيب :

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ   طلبَ الطَعن وحده والنزالا

وفي أمثال العرب : « الذئب خاليًا أَسَد » .

الثاني : أنّ أخطاءك التي وقعت منك حال الإمامة وفتح من وراءك عليك فيها ستكون محلّ ذُكر منك ، وستكون يقظتك لها بعد ذلك أكبر ، ووقوعك فيها مرّة ثانية أقلّ ، والذهن إنما يضبط بالتنبّه ، وسمعت - ولم

أتحقق من صحة ذلك - أن الأصل في كل ذهن أنه يستوعب كلَّ ما يرد إليه قراءة ، أو حفظا ، أو مشاهدة ، أو سماعا ، أو غير ذلك من أنواع الإدراك بحيث لا يفوته شيء ، وأن الناس في ذلك سواء ، إلا أن الواردات التي ترد على الذهن من الخارج هي التي تحدث خللا وتخطيا ، والناس متفاوتون في هذا الأمر ، وإنما يتمايزون باليقظة وحضور القلب ، ولذلك تجد مواقف الدهشة والفجأة والإعجاب أثبت وأضبط ، وتجد أن ذاكرة الإنسان في كثير من الأحيان تسعفه فيما يحب ، و تخذله فيما لا يحبّه ، فلا يصلح أذكياء المهن أن يكونوا في العلم بتلك الكفاءة ، ولا في الشعراء أن يكونوا صُنَّاعا ، فالشاعر يندر أن يتقن عملا بيده يبدع فيه ، ولا يكون الشعراء مصلحين ؛ لأن الإصلاح عمل في هدوء ، وبناء في اطمئنان ، وحزم ، وصبر ، وأناة .

ومن طرق التثبيت : عرض القرآن على حافظ ، فإن كان ممن تهابه أو تستحيي منه فهو أدعى للنفع وأقوم ، وقد فعلت ذلك ، فكنت أختم القرآن كلَّ خميس عرضًا حولين كاملين في كل يوم خمسة أجزاء ، ولا أعرض شيئا في يوم الجمعة حتى لم أكد أخطئ بعدها ، ولم أكن قبلها أعد نفسي حافظا .. ووجدت كثيرا من الحفاظ المشاهير يختار هذه الطريقة ، ويرى أن المراجعة من خلالها أنفع وأثبت ، والسبب في ذلك أنّ الإنسان يزداد ثقة إذا كان يستمع إليه غيره ، وينبهه إذا أخطأ ، فيكون في مأمن من الغفلة والخطأ الذي لا يعلمه حين يراجع وحده .

ومن طرق التثبيت : كتابة القرآن ، ولا يزال أهل المغرب واليمن وغيرهما في البادية يحفظون باللوح ، يكتبون ويمحون ما يحفظون ، ومعلوم أن هذه الطريقة مثبتة للحفظ في وقت الحفظ لا في حين المراجعة ؛ فإنها لا

تستعمل حين ذاك ، وبهذه الطريقة يتعلم الطالب الكتابة والرّسم العثماني مع ما يحصل له من الحفظ الراسخ .

ومن الناس من يظن أن من طرق التثبيت فهمَ المعاني الآيات ومعرفةَ تفسيرها ، وهذا غير صحيح ، فالقرآن من دون سائر الكلام لا يتقنه من أراد إتقانه إلا بترداده ومراعاة ضبط ألفاظه ، ولا يعدو الفهم أن يكون وسيلة لاستيعاب ما اشتملت عليه الآية أو الآيات ، فليس هو مما يروى بالمعنى أو اللفظ الذي لا يُخلُّ فيه إبدال كلمة مكان كلمة ، وقد يكون فهم معناه نافعًا في ضبط المتشابه ، ومعرفة علة الزيادة والنقص في بعض ألفاظه ، كزيادة اللام في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣] ونقصها في قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧] فإنه لما اجتمع مع الصبر المغفرةُ في آية الشورى حسن التوكيد باللام مع التوكيد بـ﴿ إِنَّ ﴾ وأما آية لقمان فليس فيها إلا ذكر الصبر فأكد بمؤكد واحد ، فالحافظ حين يفطن إلى هذا المعنى لا يقع في الخطأ ، ومثله زيادة (الواو) في قوله في الإخبار عن جنة المتقين : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] وقوله عن نار الكافرين : ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧١] من غير (واو) ، فإن (الواو) في أبواب الجنة تفيد أن الأبواب مفتوحة لهم قبل وصولهم إليها زيادة في إكرام كما يعامل الضيف الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [ص: ٥٠] وأما الكافرون فإن

الأبواب تفتح لهم حين يصلون إليها كما يفعل مع من يقاد إلى السّجن ، فالمقام حينئذ مقام إهانة وإذلال ، لا مقام إكرام وإجلال [1] .

وكذلك خواتم الآي ؛ فالفطن الحاذق يدرك - مثلا - أن آيات الوعيد والعقاب لا تختم بالرحمة والمغفرة ، كقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

فهذا وأمثاله لا ننكر أن يكون فيه نفع لضبط شيء من المتشابه اللّفظي ، وقد يصعب على من كان بطيء الإدراك ، فلا يمكنه إدراك الفارق في وقت وجيز ، وربما أنساه طلب المعنى ما هو فيه فلا هو أدرك المعنى ، ولا هو ضبط اللفظ .

ولقد بَعُد عن الصواب كثيرا من أراد ضبط متشابه القرآن بحفظ متن من متون النظم في ذلك ، كمنظومة السخاوي ، ومنظومة الخضري ، ومنظومة الشنقيطي التي اشتملت على نظم ما تشابه لفظه في القرآن ..

ولقد قلت لواحد رأيته جاهدا في حفظ منظومة السخاويّ : لماذا تكلف نفسك بحفظها وضبطها ؟

فقال : لضبط المتشابه .

فقلت له : إن معاناتك في حفظها ، وتكلفك ذلك يحتاج منك إلى وقت وجهد لو بذلته في ضبط القرآن ومراجعته لكان خيرا لك وأعظم أجرا ، فإن هذا كلام الله المتعبّد بتلاوته ، وذلك كلام بشر ، وكم من الوقت تحتاج إلى مراجعته بعد حفظه ، فهل الأفضل أن تحفظ مثلا قول السخاوي :

---

(١) وفي زيادة الواو قولان آخران أحدهما : أن الواو واو الثمانية ، والآخر : أن الواو زائدة وهو قول ضعيف .

(خالقُ كلِّ) قبلَه التهليلُ　　في سورة الأنعام لا تحـــويلُ

لكنه في غافر بالعكسِ　　فاعلمهُ يا صاحِ ، فدتك نفسي(١)

وقوله :

في النملِ والأعرافِ جاءت (عاقبة)　　للمجرمين فيهما مُصاحِبَة(٢)

وقوله :

وبعدَ لا تتخذِوا (بطانه)　　(ها أنتمُ أولاءِ) صُنْ مكانَهْ

وفي سواها جاء (هؤلاءِ)　　ثانية من غير ماخفاءِ(٣)

هل الأفضل أن تحفظ هذه الأبيات وتفهم معناها ، وتضبط محترزاتها وما يدخل في معناها وما يخرج منها ، أم أن تجمع حفظك هذا وعناءك لضبط الآيات وحفظها كما أنزلت ، وعدم تشتيت الذهن وتنقله بين القرآن والنظم

---

(١) يشير إلى قوله سبحانه في سورة « الأنعام » : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقوله في سورة « غافر » : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٦٢].

(٢) يقول جاءت عاقبة مصاحبة للمجرمين في موضعين في سورتي الأعراف والنمل ، وما عداهما : عاقبة الظالمين ، وعاقبة المكذبين ..

(٣) يعني : أن قوله سبحانه : ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ﴾ [آل عمران: ١١٩] الذي جاء بعد قوله : ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ [آل عمران: ١١٨] اقترن به لفظ ﴿أُولَاءِ﴾ من غير هاء وما عداه اقترن به لفظ ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ البقرة: ٣١.

ومعنى ما اشتمل عليه واستدعاء الحفظ الذي قد يطرأ عليه النسيان فتجمع عناء إلى عناء ؟؟ ..

وشيء آخر ؛ هو : أنك حين تقرأ في الصلاة أو خارجَها سوف تحتاج إلى استحضار ما تحفظه من نظم مع قراءتك وسوف يكون قلبك مشغولا بهذا وهذا ، وأما تدبّر ما تقرأ فلا محلّ له حينئذ ، ولهذا لم يكتب لتلك المنظومات قبول لدى الناس ، والذي لا يستطيع أن يتقن حفظ كتاب الله إلا بحفظ كتاب آخر فلن يتقن ، وما وجدنا المتقنين الضابطين متقنين إلا بحفظهم للقرآن وتعاهدهم له .

وكلما كان الحافظ مجتمع الذهن على حفظ القرآن كان ذلك أدعى للضبط ، ولهذا تجد المشتغلين بعلوم أخرى - لاسيما ما كان منها مما يكون فيه عمل الفكر أكثر - تجدهم أقلّ إتقانا من غيرهم .

وأما من يشتغل بالشعر صناعة وحفظا ، فهذا أكثر من يلتبس عليه متشابه القرآن ، ولا يكاد يجتمع ضبط الشعر وضبط القرآن في قلب واحد إلا لقلّة من الناس ، يكون تعاهدهم للقرآن أكثر ، ولهم تميز في الحفظ ، و سألت كثيرا ممن يقول الشعر ، ويحفظ القرآن كله أو بعضه ، فأجاب بما يؤكد ما قلته، ولقد كنت مولَعًا بالشعر وصناعته لاسيّما في بعض أغراضه ، فلما علمت ذلك تركت الإكثار منه ، وأما اطراحه جملة فلم أقدر عليه .

عشر وصايا لحفظ القرآن وتثبيته

هذه وصايا موجزة لحفظ القرآن ومراجعته وتثبيته وفهم معانيه :

١- وجّه ملكتك كلّها نحو الحفظ .

ولا تشتت ذِهنك وتفرق ملكة حفظك في أمور أخرى تنشغل بحفظها أو بإجهاد الذهن فيها ، فالقرآن يحتاج منك إلى أن تجمع حافظتك وتوجهها إليه .

٢- فرغ قلبك من الشواغل وأخل عن نفسك الصّوارف .

فإن لم تخرج تلك الشواغل والصوارف من قلبك ونفسك ابتداءً فأخرجها بالانكباب على القرآن ، فهو ربيع القلب وجلاء الهَمّ ، فإذا شغلت نفسك بالقرآن وداومت على ذلك لم يبق لتلك العلائق مكمن ، ومن تلك الشواغل والصّوارف التعلق بالشهوات ، والاشتغال بالشعر حفظا وصناعة ، والهمّ بالرزق فيما فوق الكفاف .

٣- حافظ على وقتك .

وكن ضنينا ببذله في غير ما ينفعك ، واستعن على ذلك بتنظيمه ومعرفة هدفك وشرفه والسعي إلى تحقيقه .

٤- اجعل الإخلاص وصدق النية أساسًا تبني عليه عملك وتحقق فيه هدفك .

فإن هذا مما يبارك في وقتك ، وعلامة على أن الله أراد لك الخير « والله إذا أراد بالعبد خيرًا أعانه بالوقت ، وجعل وقته مساعدا له ، وإذا أراد به شرًّا

جعل وقته عليه وناكده وقته ، فكلما أراد التأهّب للمسير لم يساعده وقته »[1] ولا تشتغل بالسوابق والهمّ بها ، ولا باللواحق والخوف منها ، فقد قالوا : « العارف ابن وقته ، ولا ماضي له ولا مستقبل » .

٥- هنالك أوقات وأحوال مباركة توافق صفاء ذهنك وانشراح صدرك ، فاغتنم هذه الأوقات والأحوال .

كثلث الليل الآخِر ، وبعد صلاة الفجر ، وحين قيامك من النوم ، وبين الأذانين في المسجد ، وعند راحة البال ، وبعد فراغك من الصّلاة ، ومن الناس من يكون الصوم أوفق له ، والجوع أنشط له .

٦- اجعل لك منهجًا وارسم لنفسك خطّةً توافق قدراتك وتناسبك حالك .

وإياك أن تخلّ بما ألزمت به نفسك ، فإن أخللت بها فعاقبها بما يردعها، اجلدها بسياط من الجَلَد والدَّأَب ، وليس بلازم أن تأخذ بما رسمه سواك ، وأن تركب مطيّة غيرك ، إلا إذا وجدت ما رآه غِيرك ورسمه مناسبا لك موافقا لهواك .

٧- أذكرُ لك طريقةً حسنةً سهلة .

إن رأيتها موافقة لك فخذ بها ، أو اجعلها منارا تهتدي به ، وتشق لك من خلالها طريقا أخرى ومسلكا مناسبا ، والطريقة هي :

أن تحفظ في كل شهر جزءا من القرآن ، تحفظ في كل يوم صفحة من المصحف الذي يكون الجزء فيه عشرين صفحة ، كمصحف المجمّع ، فإذا تمّ

---

(١) هذا النص لابن القيم في باب الوقت من مدارج السالكين : ٨١٢

لك حفظ الجزء في عشرين يوما جعلت بقيّة الشهر للمراجعة التي ترسّخ ذلك الجزء وتثبته في قلبك .. ومن طرق ذلك / التسميع على غيرك - خاصة إذا كان حافظًا تهابه أو تستحي منه - والقراءة به في الصلاة - خاصة إذا كنت إماما - .

٨- اجتهد في أن يكون حفظك من مصاحف غير مختلفة في الطبعات.

ولا يكن حفظك من أيّ مصحف اتفق لك الحصول عليه ؛ لأن مواضع الآيات ترتسم في ذهنك ، وهذا يعينك على التذكر ، وينبهك إلى عدم ترك بعض الآيات ؛ لأنك تعلم مثلا أن قوله سبحانه : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء:١٤٨] في أول الصفحة اليُسرى، فلن تقرأ مكانها آية أخرى من وسط الصفحة ، أو أول الصفحة اليمنى مثلا ..

٩- الحفظ فنّ وبراعة .

فأعمِل الحيلة في فنون من التحفّظ تكون كفيلة بدفع الملَل ، وإجمام الخاطر ، وتطرية النفس ، كالحفظ بطريقة التكرار بصوت عال ، أو بالقراءة الصامتة ، أو السماع ، أو الكتابة ، أو بالتسميع على غيرك قبل الحفظ المتقن وتكرار التسميع لديه إلى أن تبلغ درجة الإتقان .. واعرف حافظتك من أي نوع هي ، أهي سمعية أم بصرية ؟ فإذا عرفت من أي نوع هي فلا تهمل الثانية بل قوّها بتدريبها حتى تكون عونا لأختها ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[البقرة: ٢٨٢].

١٠- اعلم أنّ من خصائص القرآن الكريم أنه سهل حفظه ، سهل نسيانه .

كما أخبر الله وأخبر رسوله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٥] وقال ﷺ : « تعاهدوا القرآن ، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل في عقلها » فلا تحبط حين تجد جهدًا في تثبيت القرآن ، وحين تجده يتلفت منك مع قرب العهد به ، لاسيَّما في الشهور الأولى من حفظك ، واعلم أن ذلك كلّه خير لك ؛ لأن تردادك لما حفظته عبادة تؤجر عليها .

فضل القارئ الحافظ على غيره

قال الله عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

أخبر سبحانه أن كتابه العظيم آيات حفظها أولو العلم و وعتها قلوبهم ، ويفهم من ذلك أن حافظ القرآن من أهل العلم إذا كانت معانيه بينةً عنده ، وهذا القيد ألمحه من قوله ﴿ بَيِّنَٰتٌ ﴾ إذا كان الجار والمجرور في قوله ﴿ فِى صُدُورِ ﴾ متعلقًا به[١] ، وإلا فالآيات في ذاتها بينات ، والقرآن قرآن مبين ، وكتاب مبين ، كما أخبر الله عن ذلك في آيات من كتابه .

وصدر حافظ القرآن كالبيت المعمور المحكم الذي لا يتخلخل فيه موضع لَبِنَة ، وأمّا « الذي ليس في جوفه شيء من القرآن فكالبيت الخرب »[٢]

ومثل من يحفظ القرآن ومن لا يحفظه كمثل رجلين أحدهما نقوده معه متى ابتغى شيئا وجده ، والآخر نقوده مع غيره لا يحصل عليها ، إلا بطلبه ، ولا يستوي من كان مستودعُه صدرَه ومن كان مستودعه في الخزانة والورق ، وكان

---

(١) يحتمل - والله أعلم - الثناء على كلّ من الحافظ العارف بمعاني القرآن ، والعارف بها فقط ، وإن لم يحفظها و الحافظ لها ؛ لأننا إذا جعلنا الجار والمجرور ﴿ فِى صُدُورِ ﴾ متعلقا بـ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ فالمراد : الحافظون ، وإذا جعلناه متعلقا ببينات فالمراد العارفون بمعاني الآيات ، وإذا جعلنا الصفة والموصوف كالذات الواحدة « آيات بينات » فالمراد : الحافظون العارفون ، وهذا أمر أستنبطه ولا أجزم به ، والله أعلم بمراده .

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح (٢٩١٣) والحاكم في المستدرك (١٩٩٥) .

ابن تيمية يقول : « أنا جنتي وبستاني في صدري أنى ذهبت فهي معي » يريد نصوص الوحي .

يقول الجنيد : من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا العلم ؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة [١] .

ومن بلاغات الحسن قوله : بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أُمِر حفظتُه أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله[٢] .

وبوّب أبو عوانة في مستخرجه : « باب الدليل على فضيلة من يحفظ القرآن على من يقرأه ولا يحفظه »[٣] وأورد فيه حديث : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال »[٤] .

وكم من الأوقات والأحوال لا يكون الإنسان فيها قادرًا على قراءة القرآن في المصحف ، مثل أن يكون أو يريد أن يكون في مكان مظلم ، أو كان به ضعف في البصر ، أو لم يجد مصحفا ، أو كان ماشيا في الطريق ، وانظر - إن شئت - الذي يطوفون بالبيت ومصاحفهم في أيديهم كيف يتعثرون في مشيهم وهم ينظرون إلى المصحف ، وكيف يكون حالهم في شدة الزحام !!

إن للحفظ شرفًا عظيما ، وله لذة تجلو الهموم ، وتبيد الغموم ، إذا كان الحافظ يردّد ما يحفظ ويترنم به ، ولهذا قال سهل بن عبد الله التّستري لبعض

(١) طبقات الأولياء : ١ / ٢٠ .

(٢) تفسير القرطبي : ٣ / ٦٨.

(٣) مستخرج أبي عوانة : ٨ / ٧٩.

(٤) سيأتي تخريجه في فضائل السور.

طلابه : أتحفظ القرآن ؟ قال : لا ، قال سهل : واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن ! فبم يترنم ؟! وبم يتنغَّم ؟! وبم يناجي ربه ؟!

نسيان القرآن الكريم

النسيان الذي هو غياب الأشياء عن الذاكرة نعمة ونقمة ، وقلة النسيان في العلم وفيما ينفع الإنسان نعمة محضة ، والناس يتفاوتون في ذلك .. والدراسات تقول : إن النسيان عملية تخريبية تسير مع القراءة جنبا إلى جنب ، فإنك حين تنتهي من قراءة موضوع ، وحاولت أن تتذكر ما قرأته ، فسوف لا تتذكر أكثر من خمسين بالمئة ، وبعد مضي يوم كامل على تلك القراءة لا تتذكر أكثر من ثلاثين بالمئة ، ثم يكون النسيان بعد ذلك بطيئا وهذا في الأعم الأغلب، وهناك طرفان خارجان عن هذا الاعتبار ، ثم إن المسألة تعود أيضا إلى طول الموضوع وقصره .

اتفق العلماء على أن من نسي القرآن بعدما حفظه وهو قادر على التذكار بالتكرار ، فإنه مسيء ، وأنه على خطر .

وصرّح النووي بأن نسيانه كبيرة من الكبائر[1] . وسئل الرَّملي : عن من نسي القرآن .. هل يجب عليه حفظه ؟ وهل تركه كبيرة ؟ فأجاب : إن نسيه وهو بالغ تهاونًا وتكاسلاً كان نسيانه كبيرة ، ويجب عليه حفظه إن تمكّن منه للخروج عن المعصية[2] .

وعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : « ما من رجل تعلّم القرآن ثم نسيه إلاّ لقي الله وهو أجذم »[3] .

---

(١) حكاه عنه في الإتقان : ١ /٢٩٥ .

(٢) فتاوى الرملي ٦ / ٢٥١ .

(٣) المرجع السابق ، والحديث رواه أحمد في مسنده (٢٣١٣٨) وفي إسناده مقال ، وانظر : فتح الباري : ١٤ / ٢٥٨.

وأمر النبي ﷺ بتعاهده حتى لا يتفلت ، وضرب لذلك مثلا فقال : « تعاهدوا القرآن فوا الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها » .

ونسيان القرآن مضيبة من المصائب العظام على من نسي القرآن بكل حال ، وقد قرأ الضحاك بن مزاحم قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] ، ثم قال : « وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن » ، وقال : « ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب »[1] .

وقد استدل بعض العلماء من المفسرين وغيرهم بقوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦] ، استدل بذلك على أن من نسي حفظ القرآن متوعد بهذا الوعيد الشديد ، ولو كان مسلمًا ، والمحققون على أنّ المراد بذلك من أعرض عن التصديق والعمل بالقرآن ، بدليل قوله بعد ذلك : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٧].

وأما من نسي لفظه مع إيمانه والعمل به فهو - وإن كان عاصيا - لا يقع عليه معنى الوعيد .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٧ / ٢٠٩ .

قال الآلوسي : « وليس في الآية دليل -كما يتوهم - على عدّ نسيان القرآن ، أو آية منه كبيرة ، كما ذهب إليه الإمام الرَّملي ... ومن عدّ نسيان شيء من القرآن كبيرة ، أراد بالنسيان معناه الحقيقي »[1] .

ومن جعل من السلف نسيانه كبيرة من الكبائر استدل أيضا بما رُوي عن أنس مرفوعًا : « عُرِضت عليّ ذنوب أمتي ، فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها »[2].

قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وذاكرت به البخاري فاستغفر به .

وثبت بإسناد صحيح من طريق ابن سيرين : أنهم كانوا يكرهون من نسي القرآن ، ويقولون فيه قولاً شديدًا.

قال القرطبي : « من حفظ القرآن أو بعضه فقد علتْ رتبتَه ، فإذا أقلَّ بهاتيك المرتبة حتى خرج عنها ناسب أن يعاقب ، فإنَّ تركَ تعاهد القرآن يفضي إلى الجهل ، والرجوعُ إلى الجهل بعد العلم شديد »[3] .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : « إني لأمقت القارئ أن أراه سمينا نَسِيًّا للقرآن »[4] .

---

(١) روح المعاني : ٢ / ٢٩٨ .

(٢) الترمذي رقم الحديث (٢٨٤٠) وأبو داوود رقم (٣٩٠) ، قال ابن حجر : « في إسناده ضعف » . وأخرجه أبو داوود من وجه آخر مرسل : بلفظ « فلم أر ذنبا أعظم من حامل القرآن وتاركه » .

(٣) نقله ابن حجر في الفتح : ١٤/ ٢٥٨ ولم أجده في تفسيره .

(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام : ١/ ٣١٤ ، وإسناده صحيح .

وليس هنا ملجأ أو مدّخل يجمح إليه من يحتج على عذر من نسي القرآن بقول النبي ﷺ : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ؛ لأن المراد بالنسيان في الحديث : النسيان الذي يغلب المرء ولا يكون عن تفريط ، أما ما كان عن ترك وإهمال حتى يحصل نسيانه ، فهذا لا يدخل فيه الحكم الذي نصّ عليه الحديث ، ومثَلُه مَثلُ من قال لغيره : أكرِهني على فعل كذا - لشيء محرم - ولمَّا أُكره استدلَّ بالحديث .

والذي يظهر لي في هذه المسألة أنّ من نسي القرآن فهو مسيء ، ولا يكون ذلك كبيرة - ولو كان عن تفريط - إلا إذا نسي أيضًا ما دل عليه من صالح العمل ، وما أرشد إليه من خير ، وما أمر به من أحكام بإثم تاركها أو فاعلها.. وأما النصوص التي استدل بها من جعل ذلك كبيرة ، فإنها لا تصح ، وما صح منها فليس بصريح .

وأما من نسيه عن تفريط ثم حفظه ، فحكمه حكم التائب ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب ، والعبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات كما قال أولوا العلم .

وبسبب هذا الحكم ورواية الأحاديث السابقة القاضية بالوعيد الشديد لمن نسي القرآن ترك أناس حفظ القرآن خوفًا من نسيانه .. والأولى أن يستعين العبد بربه في حفظه ، ويجتهد في تعاهده ، ويسأل الله الثبات والتثبيت .

وقلَّ أن يكون في الحفاظ من حفظ القرآن ، وأتقنه ، ورسخ في قلبه ، وجوّده ، ثم نسيه ، ولم أجد في التراجم من بُلي بذلك غير يسير ، منهم : أحمد

ابن الحسن بن أحمد اللحياني الصفّار (ت٤٦٢هـ) ذكر أنه نسي القرآن بعد أن كان من المحققين الذين جمعوا القراءات[1] .

وسئل شهاب الدين بن حجر الشافعي : كيف يكون نسيان القرآن كبيرة مع خبر الصحيحين ؟ « لا يقول أحدكم نَسِيتُ آية كذا وكذا ، بل يقول نُسِّيتُ » والخبر الذي فيه : أنه سمع رجلا يقرأ ، فقال : « رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أسقطتُها » . وما المراد بالنسيان ؟ وهل يعذر به إذا كان لاشتغاله بمعيشة عياله التي لا بد منها ؟ وهل يشملُ ذلك نسيانَ الخط بأن كان يقرؤه غيبا ، ومن المصحف فصار لا يقرؤه إلا غيبا ، وفي عكسه هل يحرم أيضا ؟ (فأجاب) بقوله : لا تنافَي بين الحديثين والحديثِ الدالِّ على أن نسيان القرآن كبيرةٌ ..

أما الأول ؛ فلأنَّ الأمر بأن يقول : نُسِّيت بتشديد السين ، أو أُنسيت ، إنما هو لرعاية الأدب مع الله تعالى في إضافة الأشياء إليه ؛ لأنها منه بطريق الحقيقة خيرُها وشرُّها ، ونسبتها للعبد إنما هي من حيث الكسب والمباشرة ، فأمرنا برعاية هذه القاعدة العظيمة النفع العزيزة الوقع التي ضل فيها المعتزلة ومن تبعهم كالزيدية ، فليس في هذا الحديث أن النسيان كبيرة ، ولا أنه غير كبيرة ، كما اتضح مما قررته .

وأما الثاني فهو دليل على أن المراد بالنسيان المحرّم أن يكون بحيث لا يمكنه معاودةُ حفظه الأول إلا بعد كُلفة وتعب ؛ لذهابه عن حافظته بالكلية ، وأما النسيان الذي يمكن معه التذكر بمجرد السماع أو إعمال الفكر فهذا سَهوٌ لا نسيانَ في الحقيقة فلا يكون محرما .

(١) انظر : تاريخ الإسلام للذهبي : ٧ / ٢٣١ ، والوافي بالوفيات: ٢ / ٣٢٨.

وتأمل تعبيره ﷺ « بأسقطتها» دون أُنسيتها يظهرْ لك ما قلناه ، وأنه يعذر به - وإن كان لاشتغاله بمعيشة ضرورية - ؛ لأنه مع ذلك يمكنه المرور عليه بلسانه أو قلبه ، فلم يوجد في المعايش ما ينافي هذا المرور ، فلم يكن شيء منها عذرا في النسيان ، نعم ، المرض المشغل ألمه للقلب واللسان ، والمضعف للحافظة عن أن يثبت فيها ما كان فيها لا يبعد أن يكون عذرا ؛ لأن النسيان الناشئ من ذلك لا يعد به مقصرا ؛ لأنه ليس باختياره ، إذ الفرض أنه شغل قهرا عنه بما لم يمكنه معه تعهده ، وقد علم مما قررته أن المدار في النسيان إنما هو على الإزالة عن القوة الحافظة بحيث صار لا يحفظه عن ظهر قلب ، كالصفة التي كان يحفظه عليها قبل .

ونسيان الكتابة لا شيء فيه ، ولو نسيه عن الحفظ الذي كان عنده ، ولكنه يمكنه أن يقرأه في المصحف لم يمنع ذلك عنه إثم النسيان ؛ لأنا متعبدون بحفظه عن ظهر قلب ، ومن ثمَّ صرَّح الأئمة بأن حفظه كذلك فرض كفاية على الأمة ، وأكثر الصحابة كانوا لا يكتبون وإنما يحفظونه عن ظهر قلب ، وأجاب بعضهم عن الحديث الثاني بأن نسيان مثل الآية أو الآيتين لا عن قصد لا يخلو منه إلا النادر ، وإنما المراد نسيان ينسب فيه إلى تقصير ، وهذا غفلة عما قررته من الفرق بين النسيان والإسقاط ، فالنسيان بالمعنى الذي ذكرته حرام بل كبيرة ، ولو لآية منه ، كما صرحوا به ، بل ولو لحرف كما جزمت به في شرح الإرشاد وغيره ؛ لأنه متى وصل به النسيان ، ولو للحرف إلى أن صار يحتاج في تذكره إلى عمل وتكرير فهو مقصر آثم ، ومتى لم يصل إلى ذلك بل يتذكره بأدنى تذكير فليس بمقصر ، وهذا هو الذي قل من يخلو عنه من حفاظ القرآن ؛ فسومح به وما قدمته من حرمة النسيان ، و إن أمكن معه القراءة من

المصحف نقله بعضهم عن جماعة من محققي العلماء وهو ظاهر جلي ، والله أعلم بالصواب »[1].

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الشافعي : ١ / ١٢٨- ١٣٠ .

الطريق إلى التدبر

على قارئ القرآن أن يتعلّم منَ اللّغة العربية ما يعرف به معاني الحروف والتركيب والإعراب ؛ لأننا حين نقول له : عليك أن تقرأ القرآن بترتيل لتدبر آياته وتفهم معانيها ، وهو لا يعرف الجر من النصب ، ولا الجزم من الرفع ، ولا الشرط من النفي ، ولا الوصل من الفصل ، فقد كلفناه بما لا يطيق ، والقرآن منزل بلغة العرب وأساليبها وتراكيبها .

كيف يتدبّر القرآن من لا يعرف أنّ ﴿مَا﴾ في قوله عز وجل : ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦] شرطية وليست نافيه ؟

وكيف يتدبّر من لا يعرف أنّ ﴿إِنْ﴾ في قوله تعالى : ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١] نافيه بمعنى (ما) وليست شرطية ولا شيئًا آخر ؟

كيف يتدبّر من لا يميّز بين واو العطف ، و واو الحال ، و واو القسم ، و واو الاستئناف ، و واو المعيّة ؟

ولا يفرق بين الرءوس والأرجل في الحكم من أجل الإعراب في قوله عز وجل : ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦] ولا يدرك الفعل ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ في قوله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾[النور: ٥٤] هل هو مضارع أم ماض ؟

ولا يدري ما اسم هذه النون في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧] وقوله : ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقوله : ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨] وقوله : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف: ٩٤] وقوله : ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢][1].

أم كيف يفهم ما يتدبّر من لا يفرق بين " أن " الناصبة للمضارع وبين المخففة من الثقيلة ؟ ولا يعلم الفرق بين ﴿كَانَ﴾ و ﴿كَانَ﴾ في قوله عز وجل : ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[البقرة: ٢٨٠] وقوله عز وجل: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: ١٤].

ولا يدري هل قوله عز وجل : ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٣] هل هو خبر أم استفهام ؟

---

[1] أكثر من عرض القرآن لدي من طلبة العلم لا يعلم عن هذه النون إلا أنها مفتوحة ، بسبب الغفلة عن التدبر ، والضعف في معرفة قواعد النحو ، وهذه النون نون الوقاية بعدها ياء محذوفة من أجل رءوس الآي ، وقد أثبتها بعض القراء ، وأصل الفعل : بإثبات نونين إحداهما ، نون الرفع ، والأخرى نون الوقاية ، فحذفت نون الرفع للجزم ، أو النصب ، أو البناء ، وبقيت نون الوقاية .

أم كيف يتدبر من يجهل أسلوب الطلب الوارد على صورة الخبر ، كقوله عز وجل : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقوله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقوله عز وجل : ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[آل عمران ٩٧]؟

ولا يفهم التعبير بالمضيّ في قوله تعالى : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١] وقوله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٨٧].

أم كيف يفهم من لا يفرق بين الفعل الثلاثي والرباعي والمتعدِّي واللازم ،وبين الناصب والجازم ؟ ولا يعرف الفرق بين الفعل المبني للفاعل ، والفعل المبني للمفعول .. والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا .

أم كيف من يظن أن ((نكتل)) في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ [يوسف: ٦٣] اسم وليس بفعل ؟ ويظن أن ((قائلون)) في قوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الأعراف: ٤]من القول لا من القيلولة ؟

إن فقهك للّغة العربية يدنيك في فهم النصوص من المستوى الذي كان عليه العرب الذين نزل فيهم القرآن ؛ لأن كلّ نصّ من النصوص الواردة إنما يفهم بوسيلتين لابد منهما ، معاني اللّغة فإنه بقدر حذقك بمعرفتها تكون إصابتك الصواب . وعقل صحيح يكون بمثابة الميزان الذي ويوزن به الأشياء ، فيزن به فهمه وحكمه وعملَه .

وأخصر الوسائل لحذق لغة العرب دراسة كلام العرب المنظوم والمنثور ، ومعرفة قوانين النحو والصرف بدراسة المختصرات الواضحة الميسّرة المشروحة بالمثال والقاعدة .

وهذه الأمور التي أرشدنا إليها ، وقلنا : إنه لا يستطيع أن يتدبر القرآن إلا من خلال معرفتها ، نعني بذلك التدبّر الكامل الذي يكون عن ملكة يقتدر بها على النظر في المعاني والوصول إلى المراد ، ولا نريد بذلك أنه لا يمكن أن يحصل للإنسان مطلق التدبّر والفهم ؛ فإن القرآن ميسّر للحفظ والفهم ، وأكثر آياته يستطيع أن يفهمها عامة الناس الذين ينطقون بالعربية ، ويدركوا المقصود من معانيها بلا كلفة ، ولكنْ هناك آياتٌ وجمل وكلمات لا تعرف معانيها إلا لمن كان له مراس ودربة وفقه للغة العرب ، وهنالك من التفسير ما لا يعرفه إلا الراسخون في العلم ، النحارير ، الذين رسخوا في علم الكتاب والسنة ، وغاصوا في بحار اللّغة ، وهذا مقتضى كلام ابن عباس وتقسيمه التفسير على أربعة أنواع[1] .

وترى كثيرا من طلبة العلم اليوم يخوضون في علوم الكتاب والسنة ، وبضاعتهم في اللّغة كبضاعة إخوة يوسف ، وهذا مما يوسف . وترى فريقا منهم يسارعون في دراستها ، ولكنهم لا يتصبرون على التدرج في علومها ، فتخرج معرفتهم بها خداجا غير تمام ، واللّغة تحتاج إلى الملكتين (الحفظ والفهم) ولم يعتادوا على ذلك في دراستهم للعلوم الأخرى بهذا المقدار ، فعسرت عليهم من هذا الوجه ، ورجعوا من منتصف الطريق .

---

[1] نوع اختص الله بعلمه ، ونوع تعرفه العرب من كلامها ، ونوع لا يجهله أحد ، ونوع يفسّره القرآن .

إن التمكن من حذق لغة العرب التي هي لغة القرآن أمر يسير على من يسّره الله عليه ، ولكن الناس تركوها فتركتهم ، ونسوها فنسيتهم ، فشقت عليهم ، وقد كانت من أيسر العلوم في المدرسة الأزهرية ؛ لأنه كان لها مكانة تتجلى في العناية بها دراسة وتطبيقًا ، وهي من أيسر العلوم في المحاضر الموريتانية ؛ لأن علم اللّغة هو العلم الأول ، وسحر اللغة يسري في كل حرف وصوت ، ولكنهم بالغوا في ذلك حتى جعلوه الوسيلة والغاية ، وقد صارت اليوم اللّغات الأجنبية في البلاد المستعمرة أيسر من اللّغة الأم ، لا لشيء إلا لأن الناس عُنُوا بها ، وصارت حاجة من حاجاتهم ، ومن احتاج إلى شيء سعى إلى طلبه .

التغني بالقرآن وتحسين الصوت به

حُسن الصوت نعمة من نعم الوهاب ، وهبة منه سبحانه يمنحها من يشاء ، وكان داوود عليه السلام حَسن الصوت ، إذا قرأ الزبور رجّعت الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ، والطير محشورة .. وروي أنه كان إذا قرأ تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر ، ونقل ابن كثير عن وهب بن منبه أنه قال : « ما صنعت الشياطين المزامير والصُّنوجَ إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة ، كأنما ينفخ في المزامير ، وقد أعطي سبعين مزمارًا في حلقه »(١) .

وروي أنه أعطي من حُسن الصوت ما لم يعطه أحد حتى إن الطير والوحش لتمكث عنده حتى تموت عطشًا وجوعًا ، وإن الأنهار لتقف(٢) . ومن غريب ما روي في ذلك : أنه كان إذا أخذ في قراءة الزبور تفتَّقَت العذارَى(٣) .

ومن معاني قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾[فاطر: ١] أي : يزيد في حسن الصوت ما يشاء .

وأخبرني رجل بالمسجد الحرام له اطلاع ومعرفة : أن من القراء من قرأ شذوذًا : ﴿ يَزِيدُ فِي الحَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ بالحاء المهملة .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٨٨ .

(٢) نقل ذلك السيوطي في الدر المنثور : ٨ / ٣٩٨ من طريق الأوزاعي عن عبد الله بن عامر .

(٣) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ١٤ ، وقال : « وهذا غريب » وهو مع الغرابة بعيد بل منكر ، أوردته للتنبيه عليه وبيان حاله .

وفي البخاري وغيره من حديث أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ أن يتغنّى بالقرآن » يريد : يجهر به[1] .

وأصل « الأَذَن » الاستماع ؛ لأن المستمع يميل بأذنه .. وفي الحديث : « للهُ أشد أذَنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَينةِ إلى قَينتِه »[2] .

والمراد بالتغني في الحديث : تحسين الصوت ، وقيل : الاستغناء ، أي: يستغني به ، قيل : التشاغل به عن غيره ، تقول العرب : تغنّى بالمكان : أقام به، وقال الشافعي : المراد التحزين به ، وقيل : التلذذ ، كما يَستلذُّ أهل الغناء بغنائهم ، ولهذا سماه تغنّيا ، قال النابغة :

بكاءُ حمامةٍ تدعو هَدِيلا مفجَّعةً على فننٍ تغنّي

فقال : تغني ، أي : تطرب وإن لم يكن في الحقيقة غناء ، كقولهم : العمائم تيجان العرب ؛ لأنها تقوم مقام التيجان .

ومن لطيف صنيع البخاري في الإشارة إلى معنى التغني تصدير الباب بقوله : باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت: ٥١] يشير إلى أن معنى التغني : الاكتفاء والاستغناء ، وقد خفيت هذه

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح : ١٤/ ٢٨٨.

(٢) أحمد (٢٣٩٩٢) والحاكم (٢٠٩٧) وابن ماجه (١٣٤٠) وابن حبان (٧٥٤) عن فضالة بن عبيد ، وفي سنده مقال .

الترجمة على كثير من أهل العلم ، وقال ابن كثير : فيه نظر ؛ لأن هذه الآية الكريمة ردٌّ على الكافرين[1] .

وتفسير التغني بالاستغناء ، هو في الأصل لسفيان بن عيينة .

والمراد بالاستغناء : الاستغناء به عن سائر الكتب ، وقيل : غنى النفس وحصول القناعة .

وفي رواية : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به »[2] ، وفي هذه الزيادة ما يقوي تفسير التغني بتحسين الصوت.

وهو المتبادر ، وهو الثابت الصريح عن الشافعي ، وأنكر تفسيره بالاستغناء ، وردّه الطبري بقوة ، قال : ولو كان معناه الاستغناء لما كان لذكر الصوت ، ولا لذكر الجهر معنى ، ولا يعلم هذا المعنى في كلام العرب وأشعارهم ، وبيت الأعشى - المتقدم ذكره - لا حجة فيه ؛ لأن المراد طول الإقامة ، كقوله عز وجل : ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾[الأعراف: ٩٢] ، أي : لم يقيموا فيها منعَّمين .

ولا ريب أن النفوس تميل إلى الأصوات الحسنة أكثر من ميلها إلى غيرها ؛ لأن للترنم أثرًا في رقَّة القلب وإجراء الدمع ، ولا نزاع بين أهل العلم في تقديم القراءة بصوت حسن على القراءة بغيره ، وإنما النزاع بينهم في القراءة بالألحان التي تشبه ألحان الغناء .

---

(١) فضائل القرآن : ١٨٢.

(٢) مسلم (١٨٨٣) عن أبي هريرة .

قال النووي : « قال العلماء : يستحب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حدّ القراءة بالتمطيط ، فإن خرج حتى زاد حرفا أو أخفاه حرم »[1] .

وكان أبو موسى الأشعري حسن الصوت ، وكان النبي ﷺ تعجبه قراءته ويستمع إليه ، وقال له : « لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة ! لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود » فرد عليه أبو موسى : « لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبّرته لك تحبيرا »[2] .

قال الذهبي عن أبي موسى الأشعري : « إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن »[3] .

قال بعض الصحابة : كان يصلي بنا ، فنودّ أنه قرأ سورة البقرة[4] .

وكان سالم مولى أبي حذيفة كذلك حسن الصوت[5] .

وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتًا بالقرآن .. قال : « قرأت ليلة سورة البقرة ، وفرس لي مربوط ، ويحيى ابني مضطجع قريب مني ، وهو غلام ، فجالت الفرس ، فقمت وليس لي همٌّ إلا ابني يحي ، فسكنت الفرس ، ثم قرأت ، فجالت الفرس ، فقمت ، وليس لي همٌّ إلا ابني ، ثم قرأت ، فجالت الفرس ، فرفعت رأسي ، فإذا شيء كهيئة الظلة في مثل المصابيح مقبل من

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن : ١١٠ ، ونقله عنه ابن حجر في الفتح وحكى فيه الإجماع ، والكلام المتقدم ملخص من فتح الباري : ١٤ / ٢٣٨ .

(٢) المستدرك (٥٩٦٦) وابن حبان (٧١٩٧).

(٣) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٣ .

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١ / ١٢٢ .

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء : ١ / ٥١٦ .

السماء ، فهالني فسكت ، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ ، فأخبرته فقال : « اقرأ أبا يحيى » فقلت : قد قرأت ، فجالت الفرس ، وليس لي همٌّ إلا ابني ، فقال لي : « اقرأ أبا يحيى » قلت : قد قرأت يا رسول الله فجالت الفرس، فليس لي همٌّ إلا ابني ، قال : « اقرأ يا ابن حضير » فقلت : قد قرأت فرفعت رأسي ، فإذا كهيئة الظلة فيها المصابيح فهالني ، فقال : « ذلك الملائكة دنوا لصوتك ، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم »[(١)] .

وعقبة بن نافع كان من أحسن الناس صوتا إذا قرأ القرآن .

و علقمة بن قيس النخعي التابعي المشهور (ت٦٢هـ) كان إذا سمعه ابن مسعود يقول : لو رآك رسول الله ﷺ لسرَّ بك[(٢)] .

وعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد ، خرج ليلة وجهر بصوته ، فاستمع له الناس لحسن صوته ، فقال سعيد بن المسيب : فتنت الناس ، فدخل[(٣)] .

ومنهم يحيى بن ثابت (ت ١٠٣هـ) كان حسن الصوت جدًا .

وكان خليد بن سعد رجلا قارئا حسن الصوت ، وكانوا يجتمعون في بيت أم الدرداء ، فتأمره بأن يقرأ عليهم .

ومنهم حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) أحد القراء السبعة ، حدث عنه [(٤)] بعض جيرانه أنه كان لا ينام الليل ، يقطِّعه تسبيحًا وقرآنًا ، بصوت

---

(١) رواه مسلم، حديث (٧٩٥) و (٢٤١) باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٢) غاية النهاية : ١ / ٥٩٣ .

(٣) انظر : المنتظم : ٣ / ٣٥٣ ، والتغني بالقرآن : ١ / ٣٠ .

(٤) معرفة القراء الكبار : ١ / ٩٦ .

حسن ، وهو الذي يقول فيه الإمام الشاطبي :

وحمزة ما أزكاه من متورّعٍ إماماً صبورا للقرآن مرتِّلا

وممنِ بعدهم الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) كان يستفتح القرآن ، فيجتمع الناس ، ويكثر ضجيجهم بالبكاء من حسن صوته ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة [١] .

ومنهم : أبو بكر الواعظ الضرير (ت ٣١٤هـ) كان حسن الصوت ، يقعد في الجامع ، ويقرأ بصوت شجيٍ يؤثر في القلوب[٢] .

وكذلك محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) المفسر المشهور ، كان صوته من أحسن الأصوات ، عارفًا بالقراءات على أحسن الصفات[٣] .

ومنهم : ابن الخياط (٥١٤هـ) قال عنه ابن الجزري : « كان أطيب أهل زمانه صوتا بالقرآن على كبر السن »[٤].

وكان صالح بن بشير البصري ، ويقال له : المُرِّي ، حسَن الصوت بالقرآن قال النووي : « وقد مات بعض من سمع قراءته ، وكان شديد الخوف من الله تعالى كثير البكاء »[٥] .

---

(١) لسان الميزان : ١ / ٣٧٣ .

(٢) انظر : المنتظم لابن الجوزي : ٦ / ٢٠٤ .

(٣) ينظر : البداية والنهاية : ١١ / ٦٦.

(٤) غاية النهاية : ١ / ٤٣٤.

(٥) شرح صحيح مسلم : ١ / ٤٥ .

ومن طريف ما أوردته التراجم : أن أشعب المشهور الذي يضرب به المثل في الطمع ، كان حسن الصوت في القراءة ، وربما صلى بالناس في المسجد واجتمعوا لحسن صوته ، وكان قد قرأ القرآن وتنسك(١).

ومنهم أحمد بن محمد البلقيني (ت ٩١٨هـ) كان حسن الصوت جدًا لا يمل من صلى خلفه قراءته ، ولو أطالها(٢) .

وفي العصر الحديث حفظت لنا التسجيلات أصواتًا حسنة مختلفة ، فيها الشجي ، والنديّ ، والقوي ، والصَّدَّاح ، والصهصَلق ، وفيها الحزين ، والمطرب ، والمعجب ، والماتع ، والرائع .

وعلى رأس أولئك الشيخ محمد رفعت ، منحه الله من حسن الصوت ، وقوته ، وعذوبته ، وسعته ما بهر الناس ، وقد كانت تذاع قراءته في أيامه الساعة التاسعة من مساء يومي الجمعة و الثلاثاء من كل أسبوع ، فيجتمع الناس حول جهاز المذياع في البيوت والسكك ، لا لشيء إلا لسماع صوته في خشوع (٣).

ومنهم الشيخ محمد صديق المنشاوي صاحب الصوت الشجي الفريد الذي أتاه الله من جمال الصوت ما آتاه ، وقراءته وصوته مرضيان لدى عامة الناس وخاصتهم ، ولم يكن يتكلف في التغني والترنم ، ولا في إخراج الحروف ، واختيار الشاذ من الوقوف .. ومن أراد الخشوع والخشية فعليه باستماع قراءته .

---

(١) فوات الوفيات : ١ / ٣٠٠ .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ٢ / ٨٢ .

(٣) نوهت بذلك مجلة كل شيء والدنيا ، العدد ٥٥٤ من ربيع الأول ١٣٤٤هـ.

وأما عبد الباسط عبد الصمد فقد كان صوته أحلى الأصوات ، وأعذبها، غير أنه يخرج به إلى التطريب في بعض تسجيلاته .

والمقرئ الشيخ محمود خليل الحصري هو أوضحهم إخراجًا للحروف، وأعدلهم في قراءته ، وبعده عن الألحان ، ومن أراد أن يتعلم الترتيل وإخراج الحروف من مواضعها فعليه باستماع قراءته .

وأما الشيخ مصطفي إسماعيل ، فهو القارئ الماهر الذكي في ابتدائه ووقفه ، ورفعه وخفضه ، ولا يدرك بُعْدَ صوته وعميق أثره إلا من سمع قراءته مرات ، ولا يوصف صوته بالعذوبة ، وإنما يوصف بالقوّة ، فلصوته ذبذبات إذا رفعه تكاد تشق الأرض شقا .

وقد كثرت الأصوات اليوم لكثرة القراء والحفاظ، وكثير من أئمة المساجد ذوو أصوات، منها العذبة، ومنها دون ذلك، وأما في القوة فلا تصل إلى قوة أصوات السابقين لاختلاف الهواء، والأجواء، والمطاعم، والمشارب، فإن لها أثرا على رطوبة الصوت، وخشونته، وصفائه، وصحله، وقوّته .

لطيفة :

يذكر عن أبقراط ، الفيلسوف ، أبو الطب أنه قال : « حسنُ الصوتِ والعقلِ لا يجتمعان » .

والمراد : أنّهما لا يجتمعان في إنسانٍ ، فكلُّ من كان ذا صوتٍ حسنٍ ففي عقله نقص وحمق ، ومن كان ذا عقل لا يكون له صوت حسن ، والواقع والتاريخ يكذبان هذا الحكم الجائر ، فأمّا أن يكون قد كُذِب على الحكيم

أبقراط ، وإما أن يكون قد رجَم بالغيب ، و بنى حكمه على عدم استقراء ، أو على استقراء ناقص ، وإننا لنجد من أصحاب الأصواتِ الحسنة الصّدّاحة من هو كامل العقل ، حسن التخيل ، جيد التفكير ، لطيف التدبير ، بل الغالب في أصحاب الأصوات الحسنة هو ذلك ، وقد كان داوود عليه السلام حسن الصوت ، وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام ، ومن الصحابة أبو موسى الأشعري ، وكان الشافعي من عقلاء بني آدم وأذكيائهم ، وكان حسن الصوت كما تقدم .

مبحث في الاستعاذة والبسملة

الاستعاذة : قول الإنسان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ونحو ذلك مما يفيد طلب الالتجاء إلى الله ، وليست الاستعاذة آية من القرآن لا يجوز الزيادة فيها ولا النقص ، ولهذا قال الشاطبي :

إذا ما أردت الدهــرَ تقــرأ فاستعذْ ... جهارًا من الشياطين بالله مُسجَلا

على ما أتى في النحلِ يسرًا وإن تزدْ ... لربك تنزيهًــــا فلست مجهَّلا(١)

ومما ورد في السنة : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزة ونفحه ونفثه(٢).

وظاهر الآية دالّ على وجوبها .

فإن قيل : فما القول فيما ورد عن النبي ﷺ من تلاوة آية أو أكثر في كلامه وخطبه ، كقول الله عز وجل : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦] ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤] ، وبعث إلى ملك الروم رسالة ، وفيها : فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين . و﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني البيت : ٩٥ و ٩٦ .

(٢) مسند أحمد (٣٨٢٨) عن ابن مسعود ، وأبو داوود (٧٦٤) عن جبير بن مطعم .

﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤][1] ، وليس في شيء من ذلك أنه قال أو كتب « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

فإمّا أن يكون قالها ، ولم تنقل ؛ لأنها أمر معلوم ، وأغفلها الراوي ؛ ثقة بأن هذا لا يجهل مثله ، ولكنه تعليل ضعيف وجواب لا يقنع .

وإما أن يكون النبي ﷺ لم يستعذ ؛ لأن الاستعاذة غير واجبة ، فتكون هذه الأدلة صوارف لما يدل عليه الأمر في الأصل ، وهو الوجوب إلى الندب .

وإمّا أن يكون قد قالها سرًا ، وهو احتمال لا دليل عليه .

وإما أن يكون الأمر للوجوب إذا قصد الإنسان قراءة القرآن المحضة ، لا الاستشهاد الذي يكون عرضا غير مقصود لذاته ، وهذا هو الأقرب ، ويبقى الأمر بالاستعاذة دالاً على الوجوب ، والوجه الذي قبله محتمل ، وأما الأول فضعيف كما تقدم ، وأضعف منه احتمال أن يكون استعاذ النبي ﷺ سرًا ؛ لأنه رجم بالغيب ، لا دليل عليه ، ولم يحك لنا الراوي سكوته .. ولم أظفر في هذه المسألة ببحث أعزّز به ما كتبت ، ولم أجهد في البحث في ذلك .

ومما يقع فيه كثير من الواعظين قول بعضهم حين يستدل بآية أو آيات : قال الله تعالى : - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - ثم يتلو الآية ، فيوهم أن الاستعاذة من قول الله ، وبعضهم يقول : قال الله - بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - وهو خطأ أيضا ، ومخالف للهدي النبوي وهدي علماء السلف ، فإما أن لا يستعيذ ، أو أن يقول الاستعاذة ثم الآية ، أو أن يستعيذ ثم يقول : قال الله تعالى ، ويتلو الآية أو الآيات ، وقد أشرت إليه في كتابي « لحن القول » .

---

(١) البخاري (٦) ومسلم (٤٧٠٧) عن ابن عباس .

البسملة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

لهذه الآية من عظيم الفضل ما لا نعلم قدره ، فقد جمعت الاسم الأعظم ، والاسمين الرقيقين العظيمين ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ .. تقرأ البسملة عند أول كل سورة عدا سورة (براءة) .. ومن القراء من يعدها آية من سورة الفاتحة ، وهم أهل مكة والكوفة ، ومنهم من لا يعدّها آية كقراء المدينة والبصرة والشام .. ولذلك نجدها في مصاحفنا الآية ذات الرقم (١) من سورة الفاتحة ؛ لأن مصاحفنا مكتوبة على رواية حفص عن عاصم الكوفيّ .. وللخلاف ههنا ثمرة ؛ فإن من يقول بأنها آية يرى أن من قرأ الفاتحة بدونها قرأ ست آيات ، والفاتحة سبع آيات باتفاق ؛ لأن الله قال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] وقال عليه الصلاة والسلام : « هي السبع المثاني »[1] ، وهذا يئول إلى حكم آخر مبني على خلاف آخر في الفقه وهو صحة صلاة من لم يقرأ بفاتحة الكتاب وعدم صحتها ، ومن قرأ ستّ آيات لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

وأما من لا يعدّها آية ، فالآية الأولى عنده ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] والسابعة ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] والأدلة من السنة تشهد لذلك ، وأن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة ، وإنما تفتتح بها السّور لما فيها من البركة والفضل ، وكان رسل الله يفتتحون به كتبهم ، وأخبر

---

(١) وردت هذه الجملة في سياق حديث أبي سعيد بن المعلّى .. أخرجه البخاري (٤١١٤) والنسائي (٩٠٤) وأبو داوود (١٢٤٦) .

الله عن سليمان في كتابه لملكة سبأ ، وقال فيه : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: ٣٠ – ٣١]..

وقد اتفق أهل العلم على أن البسملة جزء آية من سورة النمل ، كما اتفقوا على أنها لا تقرأ في أول سورة براءة ، ومنع القراء من وصلها بآخر السورة - أيّ سورة - والوقف عليها ، قالوا : لأن البسملة لأوائل السور ، وليس لأواخرها ، وأما البسملة في ثنايا السور فالقراء يخيّرون القارئ بين قراءتها وتركها ، ومن ذلك سورة (براءة) ؛ لأن أجزاءها كأجزاء سائر القرآن ، ومنع من ذلك الجعبريّ وآخرون ، وجعلوا كلّ آية منها كأولها..

وفي بعض ذلك يقول الشاطبي في حرز الأماني :

ومهما تصلْها أو بدأت براءةً   لتنزيلها بالسيف لستَ مبسملاَ

ولا بدّ منها في ابتدائك سورةً   سواها وفي الأجزاء خيّر من تلا

ومهما تصلها مَعْ أواخِر سورةٍ   فلا تقفنَّ الدهرَ فيها فتثقُلاَ [1]

فإذا أراد القارئ أن يصل سورة بسورة وقف على آخر السورة ، وقرأ البسملة وحدها ، ثم قرأ السورة التي بسمل لها ، وله أن يصل البسملة بها بلا وقف ، وله أن يصل آخر السورة السابقة بالبسملة مع سورتها .

فإذا وصل آخر سورة الأنفال أو غيرها بأول سورة " التوبة " وصل من غير بسملة كما تقدم ، والأصل أن يقف على آخر السورة ثم يقول : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ [التوبة: ١].

---

(١) حرز الأماني : الأبيات : ١٠٥ – ١٠٧ .

ويزيد القراء ههنا وجها ثالثًا ، وهو السكت على آخر حرف من السورة السابقة والابتداء بـ" براءة " والسكت بلا تنفس ، وزمنه يسير ، وكل ذلك من غير بسملة ، وللسمنّوديّ بيتان حسنان في هذا المعنى ، يقول فيهما :

وبين أنفـــالٍ وبينَ التوبةِ   اقطعْ وصِلْ واسكتْ بلا بسملةِ

وبين ما سواهما اقطعْ وصلِ   جميعا اوصِـــلْ ثانيا بالأوّلِ

ومن القراء من لا يبسمل بين السور مطلقًا ، ويجعل القرآن كالسورة الواحدة ، ولا يبسمل إلا في الابتداء ، ومنهم من يسكت سكتة لطيفة حال الوصل ولا يبسمل أيضًا ، ويستثني بعض من لا يبسمل بين السور أربع سور إذا وصل ما قبلها بها بسمل ، وهي أول سورة القيامة ، والمطففين ، والبلد ، والهمزة ؛ لأن آخر سورة " المدثر " ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦] وأول القيامة ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ [القيامة: ١] والنفي فيها لا يناسب الإثبات السابق ، وكذلك آخر سورة الفجر مع أول سورة البلد ، و آخر سورة الانفطار المختومة بلفظ الجلالة مع أول المطففين ، وآخر سورة العصر مع أول سورة الهمزة .

وتسمى هذه السور عند القراء « الأربع الزهر » ، يقول الشاطبي :

وسكتُهم المختارُ دونَ تنفّسٍ   وبعضهمُ في الأربعِ الزُّهرِ بسملا(1)

والمقصود : أن البسملة لها شأن عظيم ومن يقرأها له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها ؛ لأنها من القرآن باتفاق ؛ إذا لا خلاف بين الناس أنها

(١) الشاطبية ص٩ .

جزء آية من سورة النمل ، فمن ترك قراءتها في أوائل السور وابتداء القراءة فقد ترك خيرًا كثيرًا ، ومن أخذ بها أخذ بحظٍّ وافر .

والبسملة : مصدر : بسمَل ، كالحوقلة والهيللة والحسبلة ، وأخطأ من قال : إنها مولّدة ، بل جاءت في شعر الإسلاميّين ، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي (ت ٩٣ هـ) :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتُها فيا حبذا ذاك الحديث المُبسمَلُ[1]

(1) ديوانه ص ١١٧ .

الحزب والتحزيب

الأصل في معنى هذه المادة : الشيء المجموع ، قال ابن فارس : «الحاء والزاء والباء أصلٌ واحد ، وهو تجمع الشيء ، فمن ذلك الحزب ، وهو الجماعة من الناس ، قال الله تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] والطائفة من كل شيء : حزب ، يقال : قرأ حزبه من القرآن »[١] .

وقال ابن منظور : « والحزب : الوِرْدُ . و وردُ الرجل من القرآن والصلاة : حزبه ، والحزبُ : ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة ، كالورد ... وقد حزبت [تحزيبا] والحزب : النصيب [بالحاء والجيم] »[٢] .

والحزب والتحزيب في القرآن والصلاة معنى شرعيّ يعود معناه إلى أصله اللّغوي الذي لا ينفك عن مجموع من الناسِ أو شيء آخر ، غير أنني ألحظ معنى لم أجده فيما اطلعت عليه من كتب المعاجم والغريب ، وهو أن الحزب لا بدّ أن يلحظ فيه معنى التقسيم والتجزئة وأنه نصيب يقابل نصيبا أو أنصباء .

وأما التحزيب : فمصدر حزَّب يحزِّبُ تحزيبا : إذا جعل الشيء أحزابًا .

قال ابن الأثير في النهاية : « ... ومنه حديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تحزبون القرآن ؟»[٣] .

(١) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٥٥ .

(٢) لسان العرب (حزب) .

(٣) لسان العرب نقلته بتصرف : ١ / ٣٠٨ ، وأصل الكلام لابن الأثير في النهاية في تحزيب الحديث .

والحزب والجزء والوِرد تطلق في معناها العام في السنة وكلام على السلف على شيء واحد ، فقد جاء في كلام النبي ﷺ قوله : « من نام عن حزبه .. »[1] ، وقوله : « قرأتُ جزءا من القرآن »[2] .

وورد في كلام الصحابة استعمال الجزء ، والورد أيضا .

وفي الاصطلاح المتأخر : يطلق الجزء في القرآن على معنى خاص ، وهو في القرآن قسم من ثلاثين قسما ، والحزب نصفه كما هو معروف ، فالقرآن ثلاثون جزءا ، وستون حزبا .

(١) أخرجه مسلم : (٧٤٧) وسيأتي الحديث بتمامه في ((من نام عن حزبه)) .
(٢) رواه أبو داوود (٢٩٣١) وصححه الألباني .

حديثان
هما أصل في التحزيب وختم القرآن الكريم

ههنا حديثان عليهما مدار الكلام في تحزيب القرآن وختمه :

الحديث الأول

عن عبد الله بن عمر بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال لي رسولُ اللهَ ﷺ : « أَلَمْ أُخْبَرْ أنَّك تصومُ الدَّهرَ ، وتقرأُ القرآنَ كُلَّ لَيلَة ؟» قلتُ : بلَى يا نبيَّ الله ، ولَم أُرِدْ بذلك إلا الخيرَ، قال : « فصُمْ صَوْمَ-[٤٧٢]- داود وكان أعْبَدَ النَّاسِ واقرأ القرآن في كل شَهْرٍ » قال : قلت : يا نبيَّ الله ، إني أُطيقُ أَفْضَلَ من ذلك ، قال : « فاقْرَأْهُ في كلِّ عشرين » قال : قلت : يا نبيَّ الله ، إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فاقرأْهُ في كل سَبْعٍ ، لا تَزِدْ على ذلك » قال : فشدَّدْتُ ؛ فشُدِّدَ عَلَيَّ ، وقال لي : « إنك لا تدري ، لعلك يَطُولُ بك عُمرٌ » قال : فَصِرْتُ إلى الذي قال لي النبي ﷺ ، فلما كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نبيِّ الله ﷺ . هذه رواية مسلم[1] .

[1] برقم (١٩٦٣).

وفي رواية الترمذي[1] قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، في كَمْ أقْرَأ القرآنَ ؟ قال : اخْتِمْهُ في شهرٍ ، قلتُ : إني أُطيقُ أفضلَ من ذلك ، قال : اخْتِمْهُ في عشرين ، قلتُ: إني أُطيقُ أَفْضَلَ من ذلك ، قال : اختمهُ في خَمْسَةَ عَشرَ ، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : اختمه في عشرٍ ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : اختمه في خمسٍ ، قلتُ : أنِّي أُطيق أفضل من ذلك ، قال : «فما رَخَّصَ لي».

وفي أخرى له[2] ، ولأبي داوود[3] قال: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمره أن يقرأ القرآن في أربعين.

وفي أخرى له : أنه سأَلَ رسولَ الله ﷺ ، في كمْ يُقرَأُ القرآنُ ؟ قال : «في أربعين» ثم قال : «في شهرٍ» ثم قال : «في عشرين» ثم قال : «في خمس عشر» ثم قال : «في عشرة» ثم قال :«في سَبعَةٍ» ، ولم ينزل عن سبعةٍ .

وقد أخرج البخاري ، ومسلم وأبو داود والنسائي طُرُقا أُخرى لهذا الحديث ، مع زيادة ذكرِ الصَّوْمِ .

---

(1) برقم (٢٩٤٦).

(2) سنن الترمذي (٢٩٤٦).

(3) سنن أبي داوود (١٣٩٥).

الحديث الثاني

عـن أوسِ بـن حُذيفـةَ - رضـي الله عنـه - : قـال : قَـدِمْنا علـى رسولِ الله ﷺ في وَفْدِ ثقيف ، فنزلتِ الأحْلافُ على المغيرةِ بن شُعْبةَ ، وأنزلَ رسولُ الله ﷺ بَني مالكٍ في قُبَّةٍ له - قال مُسَدَّدٌ : وكـان فـي الوفـدِ الـذين قَـدِموا علـى رسـول الله ﷺ مـن ثقيـف ، فكان يأتينا بعد العشاء ، فيحدَّثنا قائما ، حتى لَيُرَاوِحُ بين رِجْلَيْهِ من طول القيام ، وكان أكثرُ ما يُحَدِّثُنا : ما لَقِيَ من قومه قُرَيْشٍ، ثـم يقـول : «لا سـواء ، كُنَّا مُستَضعفين مُسْتذَلِّينَ» قال مُسَدَّدٌ : بمكـةَ فلمـا خرجنـا إلـى المدينـة : كانـت سِـجالُ الحـربِ بيننـا وبيـنهم ، نُـدَالُيهم ، ويُـدَالُّونَ علينـا ، فلمـا كانـت ليلـةٌ أبطـأ عـن الوقـت الـذي كـان يأتينـا فيـه ، فقُلْنـا: لقـد أبطـأتَ علينـا الليلـةَ ، فقـال : إنـه طرَأ عَليَّ جُزْئي -[٤٧٥]- مِن القُرآن ، فكَرِهتُ أنْ أجِيءَ حتى أُتِمَّهُ ، قال أوسٌ : وسألْتُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ : كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآن ؟ قالوا : ثَلاَثٌ، وخَمْسٌ، وسَبْعٌ، وتِسْعٌ، وإحْدَى عَشْرَة ، وثَلاَثَ عَشْرَةَ ، وحزب الْمُفَصَّلِ وَحْدَهُ[1] .

---

[1] أخرجه أبو داود (١٣٩٣) وأحمد (٩٣٤٣/٤) وابن ماجه (١٣٤٥) ، وفيه عثمان بن عبد الله بن أوس لم يوثقه غير ابن حبان ، وعبد الله بن عبد الرحمن الطائفي: صدوق ، يخطئ ويهم .

فمن الناس من أخذ بهذا التحزيب وسار عليه ، ومنهم من يختمه في أكثر من ذلك ، ومنهم من يختمه في أقلّ ، وسأورد ههنا جميع أنواع الختم ، وأذكر أحسنها وأوفقها ، مبتدئا بهذا التحزيب الذي يكون الختم فيه في سبعة أيام .

ختمه في سبعة أيام

الختم في أسبوع ، وتحزيب القرآن على أيامه السبعة هو الهدي الذي كان عليه كثيرٍ من السلف الصالح ، وقد أوصى النبي ﷺ عبد الله بن عمرو أن يقرأه في سبع . وهو أوسط مناهج السابقين وأعْدلُها ، وأضبطها ، وألزمها للأيّام ، وأنسبها للتحزيب بالسور .

وكان أصحاب النبي ﷺ يحزبون القرآن على هذا المنوال ، ففي حديث أوس بن أبي حذيفة الثقفي الذي سبق ذكرها آنفا قال : « كنت في الوفد الذين أسلموا من ثَقيف » فذكر الحديث وفيه : « فقال لنا رسول الله ﷺ : طرأ عليَّ حزبي من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه ، قال : فسألْنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نُحَزِّبُهُ ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المُفصَّل من " ق " حتى نختم » .

وكان عليه من الصحابة : عبد الله بن مسعود ، وتميم الداريّ ، وذكر أيضًا عن زيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب ، كان يختم من الجمعة إلى الجمعة ، وفي رمضان يختم كل ثلاث ، ومن غير الصحابة قتادة ، وإذا جاء العشر ختم في كل ثلاث ، ومحمد بن سيرين ، وعلقمة بن قيس ، وإبراهيم النخعي، وأبو العالية، حكى ذلك عن نفسه ومن غيره، قال : كنا عبيدا مملوكين منا من يؤدي الضريبة ، وكنا نختم القرآن في كل ليلة فشق علينا، فقرأناه في ليلتين فشق علينا ، فقرأناه في ثلاث فشق علينا ، فلقينا أصحاب النبي ﷺ ، فأمرونا أن نختم في كل سبع ، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا ..

ومن كان يختمه في سبع عبد الرحمن بن يزيد ، وعروة ، وأبو مجلز كان يؤم الحي في رمضان ويختم في سبع ، ومنهم أيضا الإمام أحمد بن حنبل، وقال النووي : « الأكثرون من السلف كانوا يختمون في كل سبع »[1] .

ومن المتأخرين كثير ، وكان شيخنا أحمد عبد العزيز الزيات رحمه الله يختم في كل جمعة .

وأنا أنتهج ذلك في شهر رمضان وفي أسفاري[2] .

وأفضل الطرق في تقسيمه على أيام الأسبوع تحزيبه بالسور وهو الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ الذي ورد في حديث أوس المتقدم ، وفيه : « قال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف يحزبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاثة عشرة ، وحزب الفصل وحده »

وهذا أنموذج لتفصيل ذلك ، فإذا كان أول حزب يوم الجمعة - مثلا - **فتفصيل ذلك على هذا النحو :**

الجمعة	سورة البقرة وآل عمران والنساء (ثلاث سور) .
السبت	من المائدة إلى يونس (خمس سور) .
الأحد	من يونس إلى الإسراء (سبع سور) .
الاثنين	من الإسراء إلى الشعراء (تسع سور) .

(١) التبيان : ٥٩.

(٢) بقيت على ذلك مدّة ، ثم نقص لانشغالي بالإقراء ، والاستماع للطلبة .

الثلاثاء	من الشعراء إلى الصافات (إحدى عشرة سورة) .
الأربعاء	من الصافات إلى ق (ثلاث عشرة سورة) .
الخميس	من ق إلى آخر القرآن (وهو المفصَّل ، خمس وستون سورة).

وفي ذلك دليل على أن المفصل من سورة (ق) لا من سورة الحجرات كما قال بعض أهل العلم ؛ لأن السور الثلاث عشرة تنتهي إلى (ق) ولو كان إلى الحجرات لكانت اثنتي عشرة لا ثلاث عشرة .

والحزب الأول من الأحزاب المذكورة يساوي خمسة أجزاء وربع الجزء ، والثاني : خمسة أجزاء وبعض ثمن الجزء ، والثالث : ثلاثة أجزاء وخمسة أثمان الجزء ونصف الثمن ، والرابع : أربعة أجزاء وربع الجزء ، والخامس أربعة أجزاء إلا بعض ثمن ، والسادس : أربعة أجزاء كاملة ، والسابع: أربعة أجزاء وربع الجزء إلا يسيرا .

أكبرها حزب اليوم الأول ، فالثاني ، ثم الرابع ، ثم السابع ، فالسادس ، فالخامس ، ثم الثالث ، وهو أقلُّها .

ولله هذا التحزيب ما أحسنه ، وما أجمله ، وما أجلّه ، فقد جمع بين النظائر على نسق ، فلم يفصل بين الأنفال والتوبة ، وهما كالسورة الواحدة ، وجمع بين السور المفتتحة بالحروف المقطعة المختتمة بالراء ، ولا فصل في بين العتاق الأول (الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء)[1] ، وجمع بين الطواسين (الشعراء والنمل والقصص) وذوات " الم " ، (العنكبوت والروم

(١) كان ابن مسعود يقول : ((إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادي)) البخاري/ ٤٣٣٩، أي : هن من أول ما نزل وهن من أول ما وعيت وحفظت.

ولقمان والسجدة) ، ولم يفصل بين الحواميم السبع ، وجعل المفصل على حِدَة ، ثم هو فوق ذلك مقسَّم في أعداده أحسن تقسيم بطريقة لا كلفة لمعرفتها وترتيبها على الأوتار ، ثلاث ، وخمس ، وسبع ،... إلخ ، وعدد سور المفصل خمس وستون سورة .

وللإنسان أن يبدأ في أيّ يوم من الأيام السبعة ، فمن الناس من يبدأ بأول أيام الأسبوع ، وهو يوم الأحد عند العرب وغيرهم ، لا يوم السبت كما يظن عامّة الناس واصطلحوا عليه ، ولفظه دالّ عليه ، وابتدأ الله الخلق يوم الأحد ، ولم يكن في السبت خلق ، ومما انتقده الحذاق من حملة الحديث رواية مسلم في صحيحه « خلق الله التربة يوم السبت »[٢] ، وقالوا : إنه من غلط بعض الرواة ، وأن ذلك مما سمعه أبو هريرة من كعب الأحبار ؛ لأن خلق السماوات والأرض وما بينهما كان في ستة أيام ، فإذا كان ابتداء الخلق يوم الأحد فنهايته في يوم الجمعة .

ومن أهل القرآن من يختم في يوم الجمعة ويبتدئ يوم السبت . والمروي عن كثير من السلف أنهم كانوا يختمون يوم الخميس ويبتدئون الجمعة ، وليس في ذلك ما يدل على فضل خاص في الابتداء أو الانتهاء ، إلا أن الأعمال تعرض في يوم الاثنين والخميس ، فمن أحبّ أن يكون عمله الصالح الذي سيعمله بكل حال موافقا ليوم فاضل فلا حرج في ذلك ، وكان السلف يستحبونه ، وليس ذلك كتخصيص ليلة الجمعة بقيام أو نهارها بصيام الذي ثبت النهي عنه ، ولفظه : « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه

(٢) رقم الحديث (٤٩٩٧) .

أحدكم »[1] هذا لفظ مسلم في صحيحه ، قال في القيام : « لا تختصوا » ، وفي الصيام : « لا تخصوا » من غير تاء ، وهما بمعنى ، مع فرق دقيق ؛ لأن الاختصاص فيه مزيد عناية وقصد .. وأما من استحب ذلك من أهل العلم فإنه لم يبلغه النهيٰ ، قال النووي في شرح مسلم عند هذا الحديث : « وأما قول مالك في الموطأ : لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه ومن يقتدى به نهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن فإنه لم يبلغه الحديث»[2] .

ومسألتنا - وهي تحرّي الختم يوم الخميس - ليس لاعتقاد أن الختم له فضل معيّن بذاته بل لفضل آخر ، وهو رفع كلّ عمل صالح وغير صالح في هذا اليوم ، وقد صامه النبيّ ﷺ لذلك ، وهذا خارج عن ما نهي عنه من تخصيص بصيام أو قيام أو اعتقاد فضل خاص لعبادة خاصة ، وقد يكون المرء صائما يومه ذاك ويجب أن يعرض عمله الذي فيه الختم فيه ..

والمقصود : أن تخصيص يوم أيّ يوم بعمل صالح لاعتقاد أن له فضلا خاصًا دون سائر الأيام بلا دليل يجعل ذلك العمل بسبب الاعتقاد المبني على غير دليل مفضولاً لا فاضلا .. ومسألتنا في الختم ليست من هذا الباب .

وأما أنا فأختار الختم يوم الاثنين ، لأمرين :

أحدهما : موافقته ليوم الاثنين ، وهو يوم تعرض فيه الأعمال أيضًا ، وفضله في ذلك كفضل يوم الخميس .

---

(١) رقم الحديث (١٩٣٠) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم والحديث المذكور آنفا ، وهو في الموطأ : ٤١٦ .

الثاني : موافقة حزب الجمعة سورة الكهف ، فمن كان مواظبًا على قراءتها لا يحتاج إلى أن يقرأها فوق حزبه الذي يقرؤه ذلك اليوم ، ومن ابتدأ في يوم الجمعة ، أو في أي يوم آخر سوف يفوت عليه الأمران أو أحدهما ولا بدّ .

وهنالك طريقة أخرى للتحزيب في سبعة أيام تروى عن عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت ، حكاها أبو طالب المكي في « قوت القلوب » .. يكون الابتداء فيها يوم الجمعة بالبقرة إلى الأنعام ، والسبت من الأنعام إلى يوسف ، ومنها إلى آخر سورة مريم ليلة الأحد ، وليلة الاثنين من طه إلى العنكبوت ، ومنه إلى الزمر ليلة الثلاثاء ، وليلة الأربعاء من الزمر إلى آخر الرحمن عز وجل ، ويختم ليلة الخميس ، وكذلك كان أبي بن كعب ، وهذا مخالف لما جاء في حديث أوس ، وفي الحزب الأول طُول .

ثم قال أبو طالب - بعد أن ذكر التحزيب المشهور (ثلاث وخمس وسبع .. إلخ) - : « كأن تحزيبه كان على عدد الآي ، إذ عددها ستة آلاف ومئتان وستة وثلاثون آية ، وقد اعتبرت ذلك في كل حزب فرأيته يتقارب »[1] .

وأعرف غير واحد من الإخوان والصُّدَقاء أهل العلم على هذا التحزيب .

فَمِي بشوق !!

هذه الجملة المشوقة ذات الأحرف السبعة رمز اصطلاحي قديم يروى عن علي بن أبي طالب ﷺ[2] يرمز إلى أوائل الأحزاب المقسمة على سبعة أيام، فالفاء للفاتحة ، والميم للمائدة ، والياء ليونس ، والباء لبني إسرائيل (الإسراء)

(١) قوت القلوب : ١ / ٦٠ .

(٢) حكاه عنه صاحب مرقاة المفاتيح (٧/٦٤) .

والشين للشعراء ، والواو لسورة « والصافات » ، والقاف لـ« ق » إلى آخر القرآن .[1]

---

[1] وكنت أنا وصاحبنا الشيخ الأديب عائض بن عبد الله القرني انتهجنا هذا النوع من التحزيب مدّة يسيرة ، وأردنا نظم تقسيم أوراده في أبيات ، فكتب في ذلك بيتين بأحسن خاطر وأسرع بديهة ، على طريقة البديع اللطيفة ، فقال :

انحـز لهم بقرًا في كلّ مائدةٍ ليونَس القلبَ من إسرائهم شُعَرا

فالصافاتُ على قافِ المحبّةِ مِنْ سَبعِ ليالٍ تَرَى من حُسنها القمرا

واكتفَى - أحسن الله ذِكرهُ - بتسمية السور السبع التي يبدأ بها في الأوراد سردا من غير إشارة إلى أنه يبدأ بها ثقةً بفطانة القارئ ومعرفته السابقة بالتحزيب نثرا ، وخير ما أعجبني فيه قوله ((ليونس)) فقد استعمله فعلا ، من الإيناس ، وإنما مراده سورة يونس وهو نوع من التورية يسمى في البلاغة ((التوجيه)) وقوله : ((شعرا)) فاعل ((يونس)) .. وقد أذكرني هذا ببيتين حسنين أملحين في قصة طريفة ، حاصلها أن أحد الأدباء الشعراء وقد زار صاحبه جمال الدين بن نباته الشاعر وهو تاج الدين اليمني (ت٧٤٣ هـ) فرأى نملاً في منزله كثيرا ، فقال :

مالي أرَى منزلَ المولى الأديبِ به نملٌ تجمّع في أرجائِه زُمَرا

فأجابه ربُّ المنزل وكان شاعرا أيضا فقال - ويا حُسنَ ما قال - :

لا تعجبنّ - إذن - مِن نمل منزلنا فالنملُ عادتها أن تَتبع الشُعرا

اعتذر بأن عادة النمل أن تتبع الشعرا ، واحتج بالكلام نفسه على ذلك بكون سورة النمل في الذكر الحكيم بعد سورة الشعراء.

وأما أنا فنظمت في ذلك أربعة أبيات سواء ، فقلت :

ابـدأ بجمعتِك الغـرّاءِ بالبقرة وبالعقودِ نهارَ السبتِ أو سَحَـرة

ويونسُ الأحدَ ، الاثنين حزبُك من سبحانَ يبدأُ ، يا من عُمْرُه عَمَرة

وبعدَه الشُعرا يوم الثلاثِ . وَرِدْ بأربعاءٍ بصافات مَع البـررة

واختم بقاف إلى الناس الخميسَ وعُدْ في يوم جمعتنا من سُورة البقـرة

وقد زادت الأبيات لزيادة التفصيل المشتمل على ذكر الأيام وأنواع الخطاب ، والبدأ والختم ، وغير ذلك من المعاني الظاهرة ، وتكرار لفظ ((البقرة)) لا يضر ؛ لأن أحدهما في الصدر والآخر في العجز ، فحكمه حكم اللفظ الذي يتردد في ثنايا النظم ، لا يعاب تقارب اللفظين فيه . وهذا الضابط الشائق الرائق خير لك - أيها القارئ - من دندنتي ودندنةِ الشيخ القرني فيما نظمناه إن كنت ممن لا يروق له شعر الشّاعِرين .

وتسمى أيضا هذه الأحزاب السبعة " منازل القرآن " ؛ لأن القارئ يبلغ كل يوم من أيام الأسبوع منزلة في التلاوة [1] .

(١) انظر : عون المعبود : ٣ / ٣٣٠ ، معجم لغة الفقهاء : ١ / ٤٦١.

ختمه في ثمانية أيام

الختم في ثمانية أيام حسن التقسيم ، رائع التتميم ، سهل المأخذ ، جيد المسلك ، يوافق فيه يوم الحل يوم الترحال ، ويأخذ بصاحبه كلّ يوم إلى كلِّ يوم ، فإذا افتتح حزبه بيوم الخميس ، ختم يوم الخميس ، و يصبح يوم الجمعة مفتتحا حزبه الأول حتى يوم الجمعة الآخر ، يمسي فيه مختتما ، ويصبح بعده فيه مفتتحا ، وهكذا له في كل ثمانية أيام يوم جديد ، خمسًا وأربعين ختمة كل عام ، على الدوام ، لا تشتبه عليه الأيام .

وقد كان يقرأ القرآن ، ويختم في ثمان : أقرأُ الصحابة أُبيّ بن كعب ، وكذلك أبو قلابة[1] .

وحكي مثله عنه عثمان بن عفان[2] ، رضي الله عنهم جميعا .

وتحزيبه على هذا النحو :

اليوم الأول	سورة البقرة ، وآل عمران .
اليوم الثاني	النساء ، والمائدة ، والأنعام .
اليوم الثالث	الأعراف ، والأنفال ، والتوبة ، ويونس ، وهود .
اليوم الرابع	من أول سورة يوسف إلى آخر سورة مريم .
اليوم الخامس	من أول سورة طه إلى آخر سورة القصص .

(١) حكاه عنهما أبو زرعة في طرح التثريب : ٣ / ٤١٩ .

(٢) المحدث الفاصل : ٣٩٣.

اليوم السادس	من أول سورة العنكبوت إلى آخر سورة الزمر .
اليوم السابع	من أول سورة غافر إلى آخر سورة الواقعة .
اليوم الثامن	من أول سورة الحديد إلى آخر القرآن .

أما الحزب الأول : فأربعة أجزاء إلا ربع جزء ، وكذلك الثاني ، وأما الثالث : فأربعة أجزاء وربع إلا يسيرا ، وأما الرابع : فأربعة أجزاء سوى ثمن وبعض ثمن ، وأما الخامس : فأربعة أجزاء وربع الجزء ، وأما السادس : فثلاثة أجزاء ونصف جزء ، وأما السابع : فثلاثة أجزاء ونصف جزء سوى بعض ثمن ، والثامن : ثلاثة أجزاء وربع جزء سوى يسير .

وليس من سرّ وراء قراءته في ثمان إلاّ أن تقسيمه بهذه الطريقة أو نحوها هي الأخفُّ على نفس من نهج نهجها ، وسلك سبيلها ، وأنه قد أخذ من العمل بما يطيق ، فإن قراءة الزهراوين فقط أخف على القارئ من قراءة سورة النساء معهما ، كما في الختم في سبعة أيام ، وذلك أعجب لديه من قراءة سورة البقرة وحدها ، كما في تحزيب العشرين والخمسة عشر ونحوها ؛ لأن همته فوق ذلك ، وربما كان الداعي إلى اختيار الثمان حُسنَ التقسيم ، فقد جاء تقسيمها تماما على الذي أحسن تقسيمها مفصلا .. ألا ترى إلى أنه جمع الزهراوين في زِمام ، وجمع الثلاث بعدها ، وهي مشتملة على كثير من الأحكام ، ولم يفرق بين الأنفال والتوبة ، وهما كالسورة الواحدة ، وجمع بين سورة يونس وهود وهما بقدر متساوٍ تقريبا ، وجمع بين الطواسين ، و ضم العنكبوت وما بعدها من ذوات " الم " ونسَقَ المسبِّحات و ذوات " حم ".

و أما تقسيمه بالأجزاء فعلى أربعة أجزاء إلا ربع جزء ، وكل ذلك مبين في جميع المصاحف المطبوعة .

ختمه في تسعة أيام

لم أظفر بنقل ينبئ عن أحد أنه كان يختار الختم في تسعة أيام ، ونص النووي في كتابه (التبيان) أنه لم ينقل عن السلف ، والظاهر أنهم عدلوا عنه ، لا عن كراهة ولكن لأنه ليس بينه وبين العشرة فارق كبير ، وفي العشرة من المزايا ما ليس للتسعة ، فقد أرشد النبي ﷺ إليها في حديث عبد الله بن عمرو السابق ذكره ..

وتقسيم أجزاء القرآن على عشرة يتفق بالتساوي بقراءة عُشر القرآن كلَّ يوم ، وهو ثلاثة أجزاء ، ثم إن العشرة أقرب إلى البدائِهِ والاختيار من التسعة ، كما أنه لا فارق يذكر بينه وبين التحزيب على ثمانية أيّام الذي يمتاز بما ذكرناه في بابه ، وسأذكر طريقة التحزيب فيها ؛ لأنه قد يروق لبعض الناس أن يختم في تسعة .

وقد يحتاج إليها من يختم في الشهر ثلاث مرات ، وكان الشهر تسعة وعشرين ، فيختم كل عشرة أيام ، وفي العَشْر الأخير يحزِّبه على تسعة إذا كان الشهر تسعة وعشرين :

الأول	البقرة ، وآل عمران .
الثاني	النساء ، والمائدة ، والأنعام .
الثالث	الأعراف ، والأنفال ، والتوبة .
الرابع	من سورة يونس إلى آخر سورة الحجر .

الخامس	من سورة النحل إلى سورة الأنبياء.
السادس	من أول سورة الحج إلى آخر سورة القصص .
السابع	من أول سورة العنكبوت إلى آخر سورة الزمر .
الثامن	من أول سورة غافر إلى سورة الحديد .
التاسع	من أول سورة المجادلة إلى آخر القرآن .

وفيه تقارب واتفاق في بعض أحزاب الثمانية والعشرة ، والاتساق فيه أيضا واضح ، وقدر الحزب فيه ثلاثة أجزاء وبعض جزء ، وأطولها الأول والثاني ، كل واحد منهما أربعة أجزاء إلا ربع جزء .

وأما تقسيمها بالأجزاء بالتساوي فسيكون مقدار كلِّ يوم ثلاثةَ أجزاءٍ وثُلُثَ جزء ، غير أنّ المصاحف ليس فيها تقسيم الجزء إلى أثلاث ، وإنما قُسِّمتْ على الأثمان و أنصافها ، فليقرأ تارة ثلاثة أجزاء ونصفا ، وتارة ثلاثة أجزاء وربعا ، وليجعل البدء بثلاثة أجزاء وربع الجزء .

ختمه في عشرة أيام

ختم القرآن في عشرة أيام من هدي السابقين ، ونهج الصالحين ، أهل القرآن ، من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان ، ويستطيع الماهر أن يقرأ ثلاثة أجزاء بترتيل في ساعة واحدة ، وقد أرشد النبي ﷺ عبدَ الله بن عمرو بن العاص إلى أن يختم القرآن في عشرة أيام فقال : « اقرأه في عشر » .

فإذا أراد الإنسان أن يجعل ورده في الأيام العشرة متساويا فإنه سيقرأ في كل يوم ثلاثة أجزاء أو مقدارها إذا كان تحزيبه بالسور ، ويمكن أن يكون ورده مرتبطًا بالأيام ، كأن يبدأ يوم الاثنين مثلا ويختم يوم الأربعاء ، ثم يستأنف من الخميس ليختم في يوم السبت الثاني .. **وهذه طريقة لا ارتباط لها بالشهر** ولا بالتاريخ ، وهي منضبطة ، ولا تلجئه إلى أن يزيد في بعض الأيام من ورده .

والطريقة الثانية : أن يضبط ذلك بتاريخ الشهر فيبدأ من أوله ، أو من اليوم الحادي عشر ، أو أول العشر الأخير من الشهر ، وهي طريقة واضحة بينة سهلة ، ولكنها تختل في الشهر الناقص ، فيحتاج إلى أن يضاعف ورده في اليوم الأخير ، أو يقسم حصّة اليوم العاشر على الأيام التسعة ، أو يراعي ذلك من أول الشهر .. والأحسن في ذلك هو الأسهل له الذي يوافق طبعه ، فمن الناس من يميل برغبته إلى التغيير والتنويع ولا يصبر على طعام واحد ، ومنهم من يمشي على وتيرة واحدة ، ويشق عليه مفارقة ما ألفه واعتاده .

طرق التحزيب في هذا النوع :

هنا طريقتان :

إحداهما : التحزيب بالأجزاء ، وهو معروف ، وفي بعض طبعات المصحف طبعة مجزأة إلى عشرة مجلدات صغيرة في كل مجلد ثلاثة أجزاء .. ونهاية الأجزاء وبدايتها معروفة ، ومشهورة ، وموضحة في المصاحف .

الثانية: تحزيبه بالسور ، وهو على هذا النحو :

الأول	سورة البقرة ، وآل عمران .
الثاني	سورة النساء، والمائدة ، والأنعام .
الثالث	سورة الأعراف ، والأنفال ، والتوبة .
الرابع	سورة يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر .
الخامس	سورة النحل ، الإسراء ، الكهف ، مريم ، طه ، الأنبياء.
السادس	سورة الحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان ، والشعراء ، والنمل ، والقصص .
السابع	العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، الأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .
الثامن	من الصافات إلى محمد ﷺ .
التاسع	من محمد ﷺ إلى الملك.
العاشر	من الملك إلى آخر القرآن .

وقد يكون لبعض الناس فراغ في بعض الأيام ، كيومي الخميس والجمعة مثلا ، فيقرأ فيها عشرة أجزاء ، وفي الثمانية الباقية عشرين جزءا ، في

كل يوم جزأين ونصف الجزء ، ولكل وجهة يوليها ، وطريقة يسلكها ، ومشرب يعلمه .

وفي هذا التقسيم - أعني التقسيم بالسور - حسن واتساق ، وقد تزيد بعض الأحزاب أو تنقص عن ثلاثة أجزاء ، فإن الحزب الأول أربعة أجزاء إلا ربعَ الجزء ، وكذلك الحزب الثاني ، والثالث : جزءان وستة أثمان الجزء ونصف الثمن .

والرابع : ثلاثة أجزاء إلا نصف ثمن الجزء ، والخامس : ثلاثة أجزاء وربع الجزء ، وكذلك السادس ، والسابع : جزءان ونصف الجزء إلا يسيرا ، والثامن : ثلاثة أجزاء كاملة .

والتاسع : ثلاثة إلا ربع جزء ينقص قليلا ، والعاشر جزءان .

وفي بعض الأحزاب من المدود و الغنن ما لا يبلغ مثله في الأخرى ، وفي الحزب الأخير من كثرة الفواصل في قصار السور كثير ، فالتقسيم تقريبيّ .. ومن وجوه الحسن في هذا التحزيب :

جمعه النظائر ، كالطواسين ، والحواميم ، وذوات " الر " و " المر " ، والعتاق الأول (الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء) ، وهي التي قال عنها ابن مسعود - كما في صحيح البخاري - « إنهن من العتاق الأول وهن من تِلادي »[1] ، والمراد أنهن من أول ما نزل من القرآن ، وهي من السور المكية ، « والعتاق » مفرده عتيق ، والعرب تسمّى كل شيء بالغ النفاسة والجودة عتيقًا .

---

(١) صحيح البخاري : رقم (٤٣٣٩) .

وكذلك المسبحات (سورة الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن) كلُّها مجتمعة في الحزب التاسع .

ولم يفصل فيه بين الزهراوين ، ولا الأنفال والتوبة ، ولا ذوات " الم " في ثلث القرآن الآخر ، ولا بين سبأ وفاطر ، وهما من النظائر.

وعلى الختم في عشر كثيرٌ من السلف والخلف ، لاسيما في عشر رمضان الأخير .

وأعرف في هذا العصر عددا ممن يختم في كل عشرة أيام ، وهناك طبعات للمصاحف المجزأة على عشر نسخ ، في كل نسخة ثلاثة أجزاء ، وهم سائرون على ذلك آخذون به ، وقلّ من يحزب على السور في جميع أنواع التحزيب من ينتهج التحزيب بالسور في هذه الأزمنة ، ولا تطبع المصاحف المجزأة على السور والتحزيب بها فيما أعلم .

وفي ترجمة ابن تيمية رحمه الله : أنه مكث في سجنه بالقلعة نحو سبعة وعشرين شهرًا ، وأخبر عنه أخوه زين الدين أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة ، وشرعا في الحادية والثمانين ، فانتهيا إلى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥] فشرع حينئذ الشيخان الصالحان ، عبد الله بن المحب الصالحي ، والزُّرَعِي الضرير - وكان الشيخ يحب قراءتهما- فابتدءا من سورة الرحمن حتى ختما القرآن[1] .

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة : ١ / ٣٤٥ .

فيحتمل من خلال هذا أنه كان يختم في كل عشرة أيام ؛ لأنه إذا كان يختم في كل شهر ثلاث مرات مدة سبعة وعشرين شهرا ، فإنه يختم إحدى وثمانين مرة .

ويجتمع للقارئ في العام نحوٌ من ست وثلاثين ختمة ، هي خير له من ستة وثلاثين مليونا من عرض الدنيا ، وفي صحيح مسلم وسنن أبي داوود ، من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يغدوَ أحدكم كلَّ يوم إلى المسجد ، فيتعلَّم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ، ومن ثلاث ، ومن أعدادهن من الإبل »[1] .

---

(١) مسلم برقم (٨٠٣) وأبو داوود برقم (١٤٥٦) .

ختمه في أحد عشر يومًا

الختم في أحد عشر له مزيّة سنذكرها في آخر هذا الفصل ، ولم أجد في كتب التراجم ، وفضائل القرآن ونحوها من نصّ على واحد بعينه أنه كان يختم في كلّ أحد عشر يوما ، ولا أن أحدا من الناس غير معين كان يختم كذلك . **وتقسيمه بالسور على هذا النحو :**

الأول	البقرة ، وآل عمران .
الثاني	النساء ، والمائدة .
الثالث	الأنعام ، والأعراف .
الرابع	الأنفال ، والتوبة ، ويونس ، وهود.
الخامس	يوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل .
السادس	سورة الإسراء ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج .
السابع	من سورة المؤمنون إلى آخر القصص .
الثامن	من العنكبوت إلى الصافات .
التاسع	من الصافات إلى سورة محمد ﷺ .
العاشر	من سورة محمد ﷺ إلى الملك .
الحادي عشر	من الملك إلى آخر القرآن .

وتقسيمه بالأجزاء يكون بتخصيص ثلاثة أجزاء غير يسير في كلّ يوم عدا اليوم الحادي عشر ، فهو جزءان .

ولا أعرف من كان يختم في أحد عشر يومًا كما ذكرت ، لقربه من العشرة ، كما تقدم في الكلام من الختم في تسعة أيام ، وهو عددٌ وترٌ ، وتلك مزية ، ولكن المزية التي وعدت بذكرها آنفا متعلقة بيوم الختم ، فقد سألني واحد من الحِرَاص على التلاوة أن أدلّه على نوع من أنواع الختم ، بحيث يختم يوم الخميس أو يوم الاثنين ، ولا يكون ورده في اليوم أكثر من ثلاثة أجزاء ونحوها ، ولا يفوت يومًا من أيام الأسبوع ، فأرشدته إلى أن يراوح بين الختم في عشرة وأحد عشر ، لا طريق له إلا ذلك ، وبيانه : أن الإنسان إذا ابتدأ قراءته يوم الثلاثاء على تحزيب العشرة ختم يوم الخميس الثاني ، ثم يستأنف الجمعة على تحزيب الأحد عشر ، فيختم يوم الاثنين الثاني ، ثم يستأنف يوم الثلاثاء ، وهكذا ، مرة عشرة ، ومرة أحد عشر ، وفي المراوحة بين تحزيبين وعدم البقاء على حال واحدة ما يُجِمُّ النفس ، ويكون أكثر تطرية لنشاط القارئ .

ختمه في نصف شهر

ختمه في نصف شهر (خمسة عشر يومًا أو أربعة عشر يوما) طريقة قليل من السلف ، منهم الصحابي زيد بن ثابت ، ﷺ ، وروى عنه أنه كان يقول: « لأن أقرأه في عشرين ، أو في نصف شهر أحب إلي من أن أقرأه في سبع ، لأقف عليه وأتدبره »[1] .

وختمه في نصف شهر أنفع لمن أراد الرسوخ والتثبيت ممن يختمه في شهر أو أكثر ، وهو أيسر من ختمه في عشرة أيام أو سبعة وأقرب في التقسيم بالسور ..

وجاء في بعض روايات حديث عبد الله بن عمرو : « أن النبي ﷺ أوصاه بأن يقرأه في خمس عشرة »[2] .

وتحزيبه على سور القرآن على هذا النحو :

الأول	سورة البقرة .
الثاني	سورة آل عمران ، والنساء.
الثالث	سورة المائدة ، والأنعام .
الرابع	سورة الأعراف ، والأنفال .

(١) ذكره ابن المبارك في كتابه الزهد والرقائق ٣/ ٢٢٨ ، والبيهقي في شعب الإيمان : ٥/ ٣٥.

(٢) مسند أحمد (٦٢٥٩) وصحيح ابن خزيمة (١٩٢٦).

الخامس	سورة التوبة ، ويونس .
السادس	سورة هود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم .
السابع	سورة الحجر ، والنحل ، والإسراء ، والكهف .
الثامن	سورة مريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج .
التاسع	سورة المؤمنون ، والنور ، والفرقان ، والشعراء .
العاشر	سورة القصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان .
الحادي عشر	سورة السجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .
الثاني عشر	من سورة الصافات إلى آخر فصلت (خمس سور).
الثالث عشر	من سورة الشورى إلى آخر الذاريات (عشر سور).
الرابع عشر	من سورة الطور إلى آخر القلم .
الخامس عشر	من سورة الحاقة إلى آخر القرآن .

وأما تحزيبه بأجزاء القرآن المعروفة فعلى جزأين كلّ يوم .

وممن يذكر عنه ذلك - أعني قراءة كلّ يوم جزأين - من مشاهير المعاصرين من أهل العلم الشيخ أبو بكر الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، رحمه الله .

وختمه في أربع عشر يوما على هذا النحو :

الأول	سورة البقرة .

الثاني	سورة آل عمران ، والنساء .
الثالث	سورة المائدة ، والأنعام .
الرابع	سورة الأعراف ، والأنفال .
الخامس	سورة التوبة ، ويونس ، وهود .
السادس	سورة يوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر .
السابع	سورة النحل ، والإسراء ، والكهف ، ومريم .
الثامن	سورة طه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور .
التاسع	سورة الفرقان ، والطواسين (الشعراء ، والنمل ، والقصص).
العاشر	من سورة العنكبوت إلى يس .
الحادي عشر	من سورة يس إلى الشورى .
الثاني عشر	من سورة الشورى إلى الرحمن عز وجل .
الثالث عشر	من سورة الرحمن عز وجل إلى سورة نوح .
الرابع عشر	من سورة نوح إلى آخر القرآن .

وللإنسان أن يحزِّب كيف شاء ، وإنما هو تقريب ، وأما التحزيب بالأجزاء المعروفة فمعروف في المصاحف .

والأحب إليّ أن يكون ختمه في أربعة عشر يومًا لا خمسة عشر ؛ لأنه إن قرأه على خمسة عشر ، وراعى في ذلك الشهر لم يتم له ذلك على وجه واضح ؛ لأن الشهر قد ينقص ، وإن راعى في ذلك أيام الأسبوع احتاج إلى الدخول في أسبوع ثالث ، فلا يتسق له ذلك كما يتسق في تحزيبه على أربعة عشر ؛ لأنه يتفق مع الأيام كما يتفق في التحزيب الأسبوعي ، فلو بدأ حزبه

الأول - مثلا - يوم الجمعة ، فإنه يختمه في يوم الخميس الثاني ، ويرتحل مستأنفًا في يوم الجمعة ، وهكذا ، من غير أن يجد ارتباكا ولا مشقة في البدء والختم ، ولا ارتباط له حينئذ بالشهر .. وقد دللت عليه بعض الخلصاء من الخلطاء ، فأخبرني أنه وجد لذلك خِفَّةً ونشاطًا ؛ لما وجد في ذلك من التوسط والاتساق وقرب العهد بالحل والترحال ، وكان يختمه قبل ذلك في شهر .. وقد يثني العزائم الضعيفة أسباب يسيرة لا يحسب لها حساب ، ولهذا أوصت الشريعة في باب الرغائب أن يختار المرء الأوفق والأحب إلى قلبه وأن لا يشق على نفسه مشقة تحدث لها نُفرةً ولا مللاً .. وفي الحديث الصحيح : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملّوا ، وإن أحب الأعمال عند الله ما دام ، وإن قَلَّ »[1] ، وفي رواية « عليكم من الأعمال » ، وفي رواية « اكلفوا من الأعمال »[2] ، وفي رواية مسلم : « وإن أحب الأعمال ما دُووم عليه وإن قلَّ ، وكان آل محمد - ﷺ - إذا عملوا عملا أثبتوه »[3] .

وقد أثنى الله على الدائمين على صلاتهم فقال : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] وقال الله لنبيه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١ - ٤].

خيّره بين هذه الثلاثة الأوقات ، فيختار الأوفق له ، فإن قيل : قد قيل : إن النبي ﷺ « قام في الصلاة حتى تورمت قدماه » قيل : من لم يخش على

---

(١) صحيح البخاري (١٨٣٤) ومسلم (١٣٠٧) واللفظ للبخاري .

(٢) هذه رواية البخاري (٥٩٨٤) .

(٣) صحيح مسلم (١٣٠٢) .

نفسه الملل ووجد له عزما يسوقه فله أن يجدّ كل الجدّ ، ويحمل نفسه على ما تريد ، فذاك مما تطيقه ، وأما رسول الله - ﷺ - فهو سيد أولي العزم .

تنبيه :

من كان يحرص على أن يختم في الشهر مرّتين فالأحسن له الجمع بين الختم في خمسة عشر ، والختم في أربعة عشر إذا كان الشهر تسعة وعشرين ، وأمّا إذا كان كاملا فليختمه على خمسة عشر .

ختمه في عشرين

ورد في بعض روايات حديث عبد الله بن عمرو : « اقرأه في عشرين » وكان على هذا بعض من السلف ، ومنهم زيد بن ثابت [1] رضي الله عنه ، وسئل عن قراءة القرآن في سبع : فقال : حسن ، ولأن أقرأه في عشرين أو في النصف أحب إلي من أن أقرأه في سبع ، وسلني : لم ذلك ؟ أردّده وأقف عليه[2].

وعن معمر قال : « بلغني أن من قرأ القرآن في شهر لم يسرع ولم يبط، ومن قرأه في عشرين فهو كالجواد والمضمر » .

و تحزيبه بالأجزاء معلوم في المصاحف ، وأما تحزيبه بالسور فلم ينقل إلينا طريقتهم فيه .

ويمكن تحزيبه على هذا النحو :

الأول	سورة البقرة
الثاني	سورة آل عمران .
الثالث	سورة النساء .
الرابع	سورة المائدة ، والأنعام .

---

(١) روي عن زيد أنواع من الختم ، في سبعة أيام ، وفي خمسة عشر يوما ، وفي عشرين ، كما روي عن بعض الصحابة وغيرهم الختم على نوعين أو أكثر من التحزيب ، ومرّد ذلك إلى اختلاف أحوالهم قوة ونشاطا وفراغا وغير ذلك.

(٢) شرح ابن بطال على البخاري : ١٩ / ٣٦٨.

الخامس	سورة الأعراف .
السادس	سورة الأنفال ، والتوبة .
السابع	سورة يونس ، وهود .
الثامن	سورة يوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر .
التاسع	سورة النحل ، والإسراء ، والكهف .
العاشر	سورة مريم ، وطه ، والأنبياء .
الحادي عشر	سورة الحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان .
الثاني عشر	سورة الشعراء ، والنمل ، والقصص .
الثالث عشر	سورة العنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة .
الرابع عشر	سورة الأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .
الخامس عشر	سورة الصافات ، و ص ، والزمر ، وغافر .
السادس عشر	من سورة فصلت إلى آخر الأحقاف .
السابع عشر	من محمد ﷺ إلى سورة الرحمن عز وجل .
الثامن عشر	من سورة الرحمن عز وجل إلى الملك .
التاسع عشر	جزء تبارك .
العشرين	جزء عمَّ .

وأطولها حزب اليوم الأول والرابع ، ثم التاسع ، فالحادي عشر ، وأقلها التاسع عشر ، والحزب العشرون ، ومعظمها جزء ونصف ، أو يزيد قليلا ، أو ينقص قليلا.

والتحزيب على عشرين يومًا تحزيب حسن ؛ لتوسطه النسبي بين الطول والقصر ، بحيث يختم الإنسان القرآن ثلاث مرات كل شهرين أي : ثماني عشرة ختمة في العام ، فهو بين من يختمه في شهر ومن يختمه في عشر أو في خمس عشرة ، وهو أعون على التدبر ممن يختمه في أقل من ذلك ، كما قال زيد بن ثابت ، وأدعى لأن يداوم عليه القارئ المشتغل بأمور أخرى في العلم والدين والحياة ، والابتداء التحزيب وتقسيمه على الأيام طرائق ، منها :

١- أن يبدأ من أول الشهر إلى عشرين ، ومن عشرين في شهره الذي هو فيه إلى عشرة من الشهر الذي بعده ، ثم إلى آخر الشهر ختمة ثالثة ، فإن كان الشهر ناقصًا ، وهذا يحصل له في الختمة الثانية والثالثة ، فليجعل الحزب التاسع عشر والحزب العشرين في يوم التاسع والعشرين ، وهما جزء تبارك وجزء عمَّ .. وبهذا يطَّرد له الحساب ، ولا يقع له خلل في شيء.

ونرى أن يكون له في رمضان ختمتان أو ثلاث ، فإن صادف ابتداؤه أول شهر رمضان ختم في العشرين وأفرد العشر بختمة كاملة ، وإن كان ابتداؤه في العشر الوسطى أتم فيها ختمة ، وفي العشر الأخير ختمة .

٢- أن يكون ابتداؤه بالأيام ، فيبتدئ - مثلا - يوم السبت ، ويكون اليوم العشرون هو يوم الخميس من الأسبوع الثالث .. وعلى هذا يكون حِلُّه وتَرحاله ، يبدأ يوم السبت ، وينتهي بالخميس ، ويجعل الجمعة لاستدراك ما فاته ، وليقرأ ما يريد من القرآن وترتيله ، وتدبره ، وقراءة تفسير ، ونحو ذلك .

وسألني بعض الطلبة أن أدلّه على طريقة يقرأ فيها القرآن مع التفسير ، فأرشدته بعد معرفة حاله وملكته إلى طريقة ثالثة في هذا التحزيب وهي :

٣- أن يقرأ القرآن في عشرين يومًا ، ويتمه على التحزيب المذكور سلفا ، ثم يقرأ تفسيرا مختصرا في العشر الباقية من الشهر ، أو يقرأ القرآن في عشر ، و يقرأ تفسيرا متوسطا في العشرين الباقية .

٤- وأما تقسيمه بأجزاء المصحف فيقرأ كلَّ يوم جزءًا ونصف جزء .

الختم في خمسة وعشرين

للختم في خمسة وعشرين أصل ، ففي بعض روايات حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « قلت : يا رسول الله في كم أختم القرآن ؟ قال : « اختمه في شهر » قلت : يا رسول الله ، إني أطيق ، قال : " اختمه في خمسة وعشرين " »[1].

والختم في خمسة وعشرين ، من أحسن أنواع الختم ، وتحزيبه مقارب لتحزيب الشهر .

وتقسيمه على السور على هذا النحو :

الأول	من أول سورة البقرة إلى قوله فيها : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ البقرة: ١٦٣
الثاني	إلى آخر السورة .
الثالث	سورة آل عمران .
الرابع	سورة النساء .
الخامس	سورة المائدة .
السادس	سورة الأنعام .
السابع	سورة الأعراف .

(١) تقدم تخريجه .

الثامن	سورة الأنفال ، والتوبة .
التاسع	سورة يونس ، وهود.
العاشر	سورة يوسف ، الرعد ، وإبراهيم .
الحادي عشر	سورة الحجر ، والنحل .
الثاني عشر	سورة الإسراء ، والكهف .
الثالث عشر	سورة مريم ، وطه .
الرابع عشر	سورة الأنبياء ، والحج .
الخامس عشر	سورة المؤمنون ، والنور ، والفرقان .
السادس عشر	سورة الشعراء ، والنمل ، والقصص (الطواسين).
السابع عشر	سورة العنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة (كلها من ذوات الم) .
الثامن عشر	سورة الأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .
التاسع عشر	سورة الصافات ، و ص ، والزمر ، وغافر .
العشرون	بقية الحواميم من فصلت إلى محمد ﷺ .
الحادي والعشرون	من سورة محمد ﷺ إلى الطور .
الثاني والعشرون	من سورة الطور إلى الحشر .
الثالث والعشرون	من سورة الحشر إلى المعارج .
الرابع والعشرون	من سورة المعارج إلى البروج .
الخامس والعشرون	من سورة البروج إلى آخر القرآن .

فقد جاء تحزيبه على أحسن التقاسيم وأيسرها ، سورة البقرة في يومين ، ثم على سورة سورة مدة خمسة أيام ، ثم سورتين أو ثلاث ، ثم أربع ، وهكذا ، وضمت النظائر بعضها إلى بعض كيونس وهود ، والإسراء والكهف ، ومريم وطه ، والأنبياء والحج .

وجمعت الطواسين ، وذوات " الم " من العنكبوت إلى الأحزاب .

وجمعت الحواميم عدا " غافر " وهي أقرب إلى الزمر منها إلى فصلت ، واجتمعت المسبحات.

ويبقى خمسة أيام من الشهر أو أربعة ، من لم يتقيد بالشهر ويستأنف بعد تمام الخمسة والعشرون يختم في كل خمسة أشهر ست مرات ، وفي السنة أربع عشرة ختمة وبعض ختمة .

وأما من تقيد بالشهر والختم في الخامس والعشرين من كل شهر ، فيجعل ما بقي من الشهر لاختياره ، يردّد فيه ما يحلو له من الآيات والسور ، أو يراجع محفوظا ، أو يشتغل بحفظ ، أو يجعله لتعلم التلاوة ، أو قراءة تفسير ، أو يجعلها أيّام قضاء لما فاته قسرا ، وأما من كان يفوته حزبه لأدنى عذر فهذا مفرِّط ، ولن يستطيع المداومة عليه ؛ لأن متابعة النفس فيما تهواه مما يزرع التكاسل ، فالتهاون ، فثقل العمل ، فالعجز المذموم ، فالترك .

ومن طرق تحزيب هذه الختمة :

أن يقرأ الإنسان حزبه كلَّ يوم من أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة ، ويجعل يوم الجمعة لما يشاء من القراءة والذكر دون تخصيص ، وقد يكون في الشهر خمس جمع ، أو أربع ، فإذا ابتدأ الشهر بجمعة ، فلا بد من أن يكون السابع ، والرابع عشر ، والحادي والعشرون ، والثامن والعشرون أيام جمعة ،

فإذا كان الشهر تسعة وعشرين احتاج إلى زيادة يوم ، أو قراءة حزب في يوم الجمعة ، وقد يكون في الشهر خمس جمع ، إذا استهلَّ الشهر بالخميس وكان الشهر كاملا .

الختم في شهر

اتفقت الروايات على أن النبي ﷺ أوصى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في شهر ، واتفقوا على أن ذلك هو أول ما أوصى به إلاّ ما جاء في الرواية التي أخرجها أبو داوود الدارمي ، وفيها : « اقرأه في أربعين يومًا » ، وسيأتي الكلام عنها مفصلا في ختم الأربعين .

والختم في شهر سنة الأكثرين من عموم الأمّة ، وأمّا السلف فقد حكى النووي كما تقدم في التحزيب على سبعة أيام أن الأكثرين منهم عليه ، وأكثر من عرفت من الحفاظ يختم في شهر قراءة أو تسميعا ، أو صلاةً في كل شهر ، أو في شهر رمضان في صلاة التراويح .. وكان الشيخ عبد العزيز ابن باز يختم في كل شهر يقرأ كل يوم جزءا في قيامه من الليل ، وعن المقرئ الشيخ محمود سكر : أن الشيخ عامر عثمان كان يفعل مثل ذلك ، وسمعت الشيخ عبد الحميد كشك يقول عن نفسه : إنه يختم كل شهر .

وأكثر الحافظين على هذا .

وتعاهد القرآن كلَّ شهر مرّة كاف لتثبيته وعدم نسيانه ، ولا يجد القارئ في ذلك مشقّة ، ولا عذر لمن يتعلّل بعدم الفراغ ؛ فإن قراءته لا تستغرق أكثر من ساعة إذا كانت قراءة مرتّلة مجودة ، أو في نصف ساعة ، إذا كانت القراءة محدورة ، كقراءة صلاة القيام ، وأما القراءة السريعة فيستطيع الماهر إتمام الجزء في عشر دقائق ، قد يقضيها ذلك المتعذِّر بما لا يُعتَذَرُ به في مكالمة بالهاتف ، أو تفكير شارد ، في خاطر وارد ، لا فائدة فيه ..

وأخبرني أحد القراء أنه يختمه بين الأذان والإقامة في خمس عشرة دقيقة أو نحوها ، وقد يقرأه من بيته إلى المسجد في ذهابه وإيابه ، أو أحدهما ،

ويستطيع الراكب قراءة جزء كامل في ذهابه من بيته إذا كان في التنعيم بمكة أو العوالي إلى المسجد الحرام ، وهذا معروف مثله بالتقدير والتجربة .

وقد حُزِّبَ القرآنُ بالأجزاء على ثلاثين ، عددَ أيام الشهر في الغالب ، وفي المعدلّ الوسط ؛ لأن الشهر قد ينقص يوما في الشهور الهجرية ، ويزيد يوما في الشهر الميلادي ، وربما نقص يومين ، ولا يكون ذلك في غير شهر" فبراير " فإن أيامه ثمانية وعشرون يوما .

غير أن تحزيب الأجزاء - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك - روعي فيها الحروف ، ولم يراع في بدايتها ونهايتها المعنى ، فيفصل من يراعيها بين الأحكام المترابطة ، والقصة الواحدة ، والمعاني المؤتلفة ، وإنما كان التحزيب بالأجزاء من فعل الحَجَّاج بن يوسف ومن معه ، راعوا في ذلك الحروف ، ولم يراعوا المعاني ، وتحزيب الصحابة كان بالسّور ، والابتداء بما بدأ الله ، والختم بما ختم خير من هذه التجزئة .

وسيأتي عن ابن تيمية كلام مفصّل في هذا المعنى .

وهذا الرسم يوضح تفصيل هذا التحزيب :

اليوم الأول	من أول سورة البقرة إلى آخر قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة: ١٦٣
اليوم الثاني	إلى آخر سورة البقرة .
اليوم الثالث	سورة آل عمران .

اليوم الرابع	سورة النساء .
اليوم الخامس	سورة المائدة .
اليوم السادس	سورة الأنعام .
اليوم السابع	سورة الأعراف .
اليوم الثامن	سورة الأنفال .
اليوم التاسع	سورة التوبة .
اليوم العاشر	سورة يونس .
اليوم الحادي عشر	سورة هود.
اليوم الثاني عشر	سورة يوسف ، و الرعد.
اليوم الثالث عشر	سورة إبراهيم ، والحجر .
اليوم الرابع عشر	سورة النحل ، والإسراء .
اليوم الخامس عشر	سورة الكهف ، ومريم .
اليوم السادس عشر	سورة طه ، والأنبياء .
اليوم السابع عشر	سورة الحج ، والمؤمنون .
اليوم الثامن عشر	سورة النور ، والفرقان .
اليوم التاسع عشر	الشعراء ، والنمل ، والقصص " الطواسين " .
اليوم العشرون	العنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة ، " ذوات الم " .
اليوم الحادي والعشرون	الأحزاب ، وسبأ ، وفاطر .
اليوم الثاني والعشرون	يس ، والصافات ، وص .
اليوم الثالث و العشرون	الزمر ، وغافر ، وفصلت .
اليوم الرابع والعشرون	من الشورى إلى آخر الأحقاف " بقية الحواميم " .

اليوم الخامس والعشرون	من أول سورة محمد ﷺ إلى آخر الذاريات .
اليوم السادس والعشرون	من أول سورة الطور إلى آخر سورة الحديد.
اليوم السابع والعشرون	جزء قد سمع .
اليوم الثامن والعشرون	جزء تبارك .
اليوم التاسع والعشرون	جزء عمَّ .

فتم تحزيبه في تسعة وعشرين ، فإن فصل في التحزيب بين سورتي يونس وهود كان الختم في ثلاثين .

ولا يضرّ أن يكون قدر الحزب في بعض الأيام أكثر أو أقلّ بقليل ، كما في حزب الأعراف والأنفال ، بل هذا من التنوّع الذي ينفع القارئ ويعينه على الدوام ، ويرفع عنه السآمة .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا الباب ، أجد من المناسب أن أنقله - هنا - بتمامه ، و لنفاسته ، وضربه في نواح مختلقة من التحزيب والتقسيم ، وجمعه الحسن لأحاديث الباب ورواياته ، وحسنه في الاختيار أنقله مع تصرف يسير .

وقال رحمه الله : « فصل في " تحزيب القرآن " وفي " كم يقرأ " وفي "مقدار الصيام والقيام المشروع " « عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد ابنته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كَنَفًا(١) مذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكر

(١) الكَنف : بفتح الكاف والنون : الجانب والظل والناحية .

ذلك للنبي ﷺ فقال : " الْقِني به " ، فلقيته بعد فقال : « كيف تصوم ؟ » قلت : كل يوم ، قال : « متى - أو كيف - تختم ؟ » قلت : كل ليلة ، قال : « صم من كل شهر ثلاثة أيام ، واقرأ القرآن في كل شهر » ، قلت : إني أطيق أكثر من ذلك ، قال : « صم ثلاثة أيام من كل جمعة » ، قلت : إني أطيق أكثر من ذلك ، قال : « أفطر يومين وصم يوما » قال : قلت إني أطيق أكثر من ذلك ، قال : « صم أفضل الصوم صوم داوود صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ القرآن في كل سبع ليال مرة » قال : فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت»

فكان يقرأ على بعض أهله السُبُعَ من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل ؛ فإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق عليه النبي ﷺ .

وقال بعضهم : في ثلاث وفي خمس ، وأكثرهم على سبع . وفي لفظ : « اقرأ القرآن في شهر قلت : إني أجد قوة . قال : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » رواه بكماله البخاري وهذا لفظه ، وروى مسلم الحديث بنحوه واللفظ الآخر مثله ، وفي رواية « ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت : نعم يا نبي الله ، وفيه قال : «اقرأ القرآن في كل شهر » قال : قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فاقرأه في كل عشر » قال : قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال : « فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » ، قال : فشددت فشدد علي ، وقال لي النبي ﷺ : إنك لا تدري لعلك يطول بك عمرك قال : فصرت إلى الذي قال النبي ﷺ » .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « اقرأ القرآن في كل ثلاث » رواه أحمد وأبو داود ، قلت هذه الرواية نبه عليها البخاري ، وقال بعضهم :

في ثلاث وهو معنى ما روي عن « سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال : يا رسول الله أَقْرَأُ القرآنَ في ثلاث ؟ قال : نعم ، وكان يقرؤه حتى توفي » رواه أحمد من طريق ابن لهيعة[1] ، وذكر أن بعضهم قال : في خمس ، وأكثرهم على سبع ، فالصحيح عندهم في حديث عبد الله بن عمرو أنه انتهى به النبي ﷺ إلى سبع ، كما أنه أمره ابتداء بقراءته في الشهر فجعل الحد ما بين الشهر ، إلى الأسبوع . وقد روي أنه أمره ابتداء أن يقرأه في أربعين وهذا في طرف السعة يناظر التثليث في طرف الاجتهاد .

وأما رواية من روى : « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »[2] فلا تنافي رواية التسبيع ، فإن هذا ليس أمرا لعبد الله بن عمرو ، ولا فيه أنه جعل قراءته في ثلاث دائما سنَّة مشروعة ، وإنما فيه الإخبار بأن من قرأه في أقل من ثلاث لم يفقه ومفهومه مفهوم العدد ، وهو مفهوم صحيح ، أن من قرأه في ثلاث فصاعدا فحكمه نقيض ذلك ، والتناقض يكون بالمخالفة ، ولو من بعض الوجوه ، فإذا كان من يقرؤه في ثلاث أحيانا قد يفقهه حصل مقصود الحديث ، ولا يلزم إذا شرع فعل ذلك أحيانا لبعض الناس أن يكون المداومة على ذلك مستحبة ؛ ولهذا لم يعلم في الصحابة على عهده من داوم على ذلك ، أعني على قراءته دائما فيما دون السبع ، ولهذا كان الإمام أحمد - رحمه الله - يقرؤه في كل سبع .

والمقصود بهذا الفصل : أنه إذا كان التحزيب المستحب ما بين أسبوع إلى شهر - وإن كان قد روي ما بين ثلاث إلى أربعين - فالصحابة إنما كانوا

---

(١) رواه أحمد : (٢٤٢٣٠) .

(٢) سنن الترمذي : (٢٨٧٣) .

يحزبونه سورا تامة لا يحزبون السورة الواحدة ، كما روى أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ونزل رسول الله ﷺ بني مالك ، في قبة له ، قال : وكان كلَّ ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام ، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش . ثم يقول : لا سواء ، كنا مستضعفين مستذلين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدالَ عليهم ويُدالون علينا ، فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنا الليلة قال : « إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه » .

قال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل واحد » رواه أبو داود ، وهذا لفظه ، وأحمد ، وابن ماجه ، وفي رواية للإمام أحمد قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل من ق حتى يختم ، ورواه الطبراني في معجمه : فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ : كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن ؟ فقالوا : كان رسول الله ﷺ يحزبه ثلاثا وخمسا فذكره .

وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبد الله بن عمرو في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع ؛ ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة ، وفيه أنهم حزبوه بالسور ، وهذا معلوم بالتواتر ؛ فإنه قد علم أن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين ، وثلاثين ، وستين . هذه التي تكون رءوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة ونحو ذلك كان

في زمن الحجاج وما بعده ، وروي أن الحجاج أمر بذلك . ومن العراق فشا ذلك ، ولم يكن أهل المدينة يعرفونه .

وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثةً من عهد الحجاج بالعراق فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر ؛ فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون : خمسون آية ، ستون آية . وتارة بالسور لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد ، فتعين التحزيب بالسور ، فإن قيل : فترتيب سور القرآن ليس هو أمرا واجبا منصوصا عليه ، وإنما هو موكول إلى الناس ؛ ولهذا اختلف ترتيب مصاحف الصحابة ﷺ ، ولهذا في كراهة تنكيس السور روايتان عن الإمام أحمد :

إحداهما : يكره ؛ لأنه خلاف المصحف العثماني المتفق عليه .

والثانية : لا يكره كما يلقنه الصبيان ؛ إذ قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران .

قيل : لا ريب أن قراءة سورة بعد سورة لا بد أن يكون مرتبا ، أكثر ما في الباب أن الترتيب يكون أنواعا كما أنزل القرآن على أحرف ، وعلى هذا فهذا التحزيب يكون تابعا لهذا الترتيب ، ويجوز أيضا أن يكون هذا التحزيب مع كل ترتيب ، فإنه ليس في الحديث تعيين السور ، وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن ؛ لوجوه :

أحدها : أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائما الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه ، فيكون القارئ في اليوم الثاني مبتدئا بمعطوف ، كقوله تعالى :

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[النساء: ٢٤] ، وقوله : ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣١] وأمثال ذلك . ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض - حتى كلام المتخاطبين - حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب كقوله تعالى : ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف: ٧٥] ، ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي[1] ؛ ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي لم يسغ باتفاق العلماء ، ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين لم يسغ ذلك بلا نزاع .

ومن حكى عن أحمد خلاف ذلك فقد أخطأ ، كما أخطأ من نقل عن ابن عباس في الأول خلاف ذلك ، وذلك أنَّ المنقول عن أحمد أنه فيما إذا كان المتعاقدان غائبين أو أحدهما غائبا والآخر حاضرا فينقل الإيجاب أحدهما إلى الآخر فيقبل في مجلس البلاغ ، وهذا جائز بخلاف ما إذا كانا حاضرين ، والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاورين فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة ؟ بخلاف ما إذا فرق في التلقين لعدم حفظ المتلقن ونحو ذلك .

(١) في هذا الكلام نظر ؛ فإن الصحابة إذا كانوا يراعون في ذلك عدد الآيات ، فيقرأ الواحد منهم المئة آية ، أو الخمسين ، أو الستين ، فقد يكون معنى اللاحق مرتبطا بمعنى السابق ، وأيضا فقد أوقف النبي ﷺ ابن مسعود في سورة النساء في موضع متعلق بما بعده لفظا ومعنى ، ورغب في قراءة عشر آيات من أول سورة الكهف ، وآخر العشر مرتبط بما بعده ، وكان الصحابة يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات ، وأكثرها مرتبط بما بعده لفظا ومعنى ، أو معنى فقط .

الثاني : أن النبي ﷺ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة "ق " ونحوها ، وكما كان عمر رضي الله عنه يقرأ : « بيونس و يوسف و النحل » ولما قرأ ﷺ بسورة المؤمنين في الفجر أدركته سعلة فركع في أثنائها . وقال : « إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأخفف لما أعلم من وجد أمه به » .

وأما القراءة بأواخر السور وأوساطها فلم يكن غالبا عليهم ؛ ولهذا يتورع في كراهة ذلك ، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره ، ومن أعدل الأقوال قول من قال : يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانا ؛ لئلا يخرج عما مضت به السنة ، وعادة السلف من الصحابة والتابعين ، وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة السنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة ، وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن ، و المقصود أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة .

الثالث : أن التجزئة المحدثة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء ؛ وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه وتختلف الحروف من وجه

وبيان ذلك بأمور :

أحدها : أن ألفات الوصل ثابتة في الخط وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل فالعادُّ إن حسبها انتقض عليه حال القارئ إذا وصل وهو الغالب فيها ، وإن أسقطها انتقض عليه بحال القارئ القاطع وبالخط .

الثاني : أن الحرف المشدد حرفان في اللفظ أولهما ساكن وهذا معروف بالحس واتفاق الناس وهما متماثلان في اللفظ ، وأما في الخط فقد يكونان حرفا واحدا مثل ﴿إِيَّاكَ﴾ و ﴿إِيَّاكَ﴾ وقد يكونان حرفين مختلفين مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ، و﴿حِينَئِذٍ﴾ [الواقعة: ٨٤] و﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١] فالعادُّ إن حسب اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع ، ويلزمه أن يجعل الأول من جنس الثاني ، وهذا مخالف لهذا الحرف المعاد بها ، وإن حسب الخط كان الأمر أعظم اضطرابا ، فإنه يلزمه أن يجعل ذلك تارة حرفا وتارة حرفين مختلفين ، وهذا - وإن كان هو الذي يتهجى - فالنطق بخلافه .

الثالث : أن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين ، وأما حروف الخط فيخالف هذا من وجوه كثيرة ، والناس في العادة إنما يتهجون الحروف مكتوبة لا منطوقة وبينهما فرق عظيم .

الرابع : أن النطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وغير ترتيل ومقادير المدات والأصوات من القراء غير منضبطة ، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق ، ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه ؛ فإن ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة .

وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد كان ذلك من جنس تجزئته بالسور هو أيضا تقريب ، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف ، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض والافتتاح بما فتح الله به السورة ، والاختتام بما ختم به ، وتكميل المقصود من

كل سورة ما ليس في ذلك التحزيب ، وفيه أيضا من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها ، فصار راجحا بهذا الاعتبار .

ومن المعلوم أن طول العبادة وقصرها يتنوع بتنوع المصالح فتستحب إطالة القيام تارة وتخفيفه أخرى في الفرض والنفل بحسب الوجوه الشرعية من غير أن يكون المشروع هو التسوية بين مقادير ذلك في جميع الأيام فعلم أن التسوية في مقادير العبادات البدنية في الظاهر لا اعتبار به إذا قارنه مصلحة معتبرة ولا يلزم من التساوي في القدر التساوي في الفضل ؛ بل قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن ، وثبت في الصحيح أن فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها ، وثبت في الصحيح أن آية الكرسي أعظم آية في القرآن ؛ وأمثال ذلك . فإذا قرأ القارئ في اليوم الأول البقرة وآل عمران والنساء بكمالها ، وفي اليوم الثاني إلى آخر براءة ، وفي اليوم الثالث إلى آخر النّحل : كان ذلك أفضل من أن يقرأ في اليوم الأول إلى قوله : ﴿بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٣] وفي اليوم الثاني إلى قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

فعلى هذا إذا قرأه كلَّ شهر كما أمر به النبي ﷺ عبد الله بن عمرو أوّلاً عملاً على قياس تحزيب الصحابة ؛ فالسورة التي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو أقل بيسير يجعلها حزبا كآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. وأما البقرة فقد يقال : يجعلها حزبا ، وإن كانت بقدر حزبين وثلث؛ لكن الأشبه أنه يقسمها حزبين للحاجة؛ لأن التحزيب لا بد أن يكون متقاربا؛ بحيث يكون الحزب مثل الأجزاء ، ومثله مرة ودون النصف ، وأما إذا كان

مرتين وشيئا فهذا تضعيف وزيادة ، وعلى هذا فإلى الأعراف سبعة أجزاء ، والأنفال جزء ، وبراءة جزء ، فإن هذا أولى من جعلهما جزءا ؛ لأن ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثلث في ثمانية ، والذي رجحناه يقتضي أن يكون نحو الثلث في تسعة ، وهذا أقرب إلى العدل .

وتحزيب الصحابة أوجب أن يكون الحزب الأول أكثر ويكون إلى آخر العنكبوت العشر الثاني سورتين سورتين ، وأما يونس وهود فجزءان أيضا أو جزء واحد ؛ لأنهما أول ذوات ﴿الٓر﴾ ويكون على هذا الثلث الأول سورة سورة ، والثاني سورتين سورتين ؛ لكن الأول أقرب إلى أن يكون قريب الثلث الأول في العشر الأول ، فإن الزيادة على الثلث بسورة أقرب من الزيادة بسورتين وأيضا فيكون عشرة أحزاب سورة سورة ، وهذا أشبه بفعل الصحابة ، ويوسف والرعد جزء ، وكذلك إبراهيم والحجر ، وكذلك النحل وسبحان ، وكذلك الكهف ومريم ، وكذلك طه والأنبياء ، وكذلك الحج والمؤمنون ، وكذلك النور والفرقان ، وكذلك ذات ﴿طسٓ﴾ « الشعراء والنمل والقصص » وذوات الم « العنكبوت و الروم ولقمان والسجدة » جزء ، والأحزاب وسبأ وفاطر جزء ، و يس والصافات وص جزء ، والزمر وغافر و حم السجدة جزء ، والخمس البواقي من آل حم جزء ، والثلث الأول أشبه بتشابه أوائل السور ، والثاني أشبه بمقدار جزء من تجزئة الحروف وهو المرجح ، ثم" القتال " و " الفتح " و " الحجرات " و " ق " و " الذاريات " جزء ثم الأربعة الأجزاء المعروفة ، وهذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الصحابة - ﷺ - وهو مقارب

لتحزيب الحروف وإحدى عشرة سورة حزب حزب ؛ إذ البقرة كسورتين ؛ فيكون إحدى عشرة سورة ، وهي نصيب إحدى عشرة ليلة والله أعلم »[1] .

(١) مجموع الفتاوى : ٣ / ٢٠٧ .

الختم في أربعين

تحزيب القرآن على أربعين يوما وختمه فيها مما ورد عن السلف أيضا . بل جاء في بعض روايات حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال له - حين سأله : في كم يقرأ القرآن - ؟ : « اقرأه في أربعين يوما ، ثم في شهر ..»[(١)]

ونقل عن الإمام أحمد أنه قال : أكثر ما سمعت أنه يختم القرآن في أربعين ، وفي « طرح التثريب » لأبي زرعة العراقي أن الحنابلة كرهوا تأخيره عن ذلك[(٢)] .

وفي الفتاوى الهندية : « ولحافظ القرآن أن يختم في كل أربعين يوما ؛ لأن المقصود من قراءة القرآن فهم معانيه والاعتبار بما فيه لا مجرّد التلاوة ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وذلك يحصل بالتأني لا بالتواني في المعاني ، فقدِّر للختم أقلّه بأربعين يوما يقرأ في كل يوم حزبا ونصف حزب أو أقل[(٣)].

وأجتهد في تحزيبه على هذا النحو :

اليوم الأول	من أول سورة البقرة إلى أول قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ البقرة: ١٢٤

(١) رواه أبو داوود (١١٨٧) ، وصححه الألباني.

(٢) ٣ /٤٢٠ .

(٣) ٥١/ ٣٠٢ .

اليوم الثاني	إلى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٢٢٣
اليوم الثالث	إلى آخر سورة البقرة .
اليوم الرابع .	من أول سورة آل عمران إلى أول قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ آل عمران: ١١٠
اليوم الخامس	إلى آخر السورة .
اليوم السادس	من أول سورة النساء إلى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧
اليوم السابع	إلى آخر السورة .
اليوم الثامن	سورة المائدة كاملة .
اليوم التاسع	سورة الأنعام كاملة .
اليوم العاشر	من أول سورة الأعراف إلى قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ الأعراف: ١٢٦
اليوم الحادي عشر	إلى آخر السورة .
اليوم الثاني عشر	سورة الأنفال .
اليوم الثالث عشر	سورة التوبة .
اليوم الرابع عشر	سورة يونس .
اليوم الخامس عشر	سورة هود.
اليوم السادس عشر	سورة يوسف ، والرعد .
اليوم السابع عشر	سورة إبراهيم ، والحجر .
اليوم الثامن عشر	سورة النحل .
اليوم التاسع عشر	سورة الإسراء.
اليوم العشرون	الكهف ، ومريم .

اليوم الحادي والعشرون	طه ، والأنبياء .
اليوم الثاني والعشرون	الحج ، والمؤمنون .
اليوم الثالث والعشرون	النور ، والفرقان .
اليوم الرابع والعشرون	الشعراء ، والنمل .
اليوم الخامس والعشرون	القصص ، والعنكبوت .
اليوم السادس والعشرون	الروم ، ولقمان .
اليوم السابع والعشرون	السجدة ، والأحزاب .
اليوم الثامن والعشرون	سبأ ، وفاطر .
اليوم التاسع والعشرون	يس ، والصافات .
اليوم الثلاثون	ص ، والزمر .
اليوم الحادي والثلاثون	غافر ، وفصلت .
اليوم الثاني والثلاثون	الشورى ، والزخرف .
اليوم الثالث والثلاثون	الدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، ومحمدﷺ .
اليوم الرابع والثلاثون	من أول سورة الفتح إلى آخر سورة الذاريات .
اليوم الخامس والثلاثون	من أول سورة الطور إلى أول سورة الحديد.
اليوم السادس والثلاثون	من أول سورة الحديد إلى أول سورة الجمعة .
اليوم السابع والثلاثون	من أول سورة الجمعة إلى أول سورة المعارج .
اليوم الثامن والثلاثون	من أول سورة المعارج إلى آخر سورة المرسلات .
اليوم التاسع والثلاثون	من أول النبأ إلى الأعلى .
اليوم الأربعون	إلى آخر القرآن .

وأما تقسيمه بأجزاء القرآن ، فبجزء إلا ربع الجزء كلّ يوم ، إذا كان التحزيب بالتساوي ، ويختم لمن يختم بذلك في العام تسع ختمات سواء .

وأعرف من أهل العلم اليوم من الحفاظ من ينهج في الختم على هذا. . وأما في المتقدمين فلم أجد من كان على ذلك ، غير أن نصوص أهل العلم التي تحضّ عليه ، أو تشير إلى أنه آخر ما يبلغه القارئ في ختمه حتى لا يطول عهده به لا تخلي هذا الميدان من أناس اتخذوه سبيلا .. قال القرطبي : « والأربعون مدّة الضعفاء وأولي الأشغال ، تنقسم الجميع - أي جميع آيات القرآن - فيكون في كل يوم مئة وخمسون آية وزيادة آيات يسيره ، وفي السنة تبلغ الختمة تسع مرّات »[1] .

وأما الكلام المنسوب إلى النبي ﷺ : « من قرأ القرآن في أربعين فقد عزَّب » أي : بعُد عهده به ، وطال أمده ، فليس بحديث .

---

(١) التذكار : ١٠٢ / ١٠٣ .

ختمه في ستة أيام

الختم في ستة أيام منزلة أخرى من منازل السائرين ، ومدرج من مدارج السالكين ، في تلاوة آيات الكتاب المبين ، يرتحل فيه التالي يوم السَّبت ، ويحُلّ يوم الخميس ، ويبقى له يوم الجمعة يومًا خالصًا لمراجعة ، أو ذِكرٍ واستغفار ، وصلاة على النبيّ المختار ، أو قضاء ما فات ، أو دراسة ما خفي ، أو غير ذلك من أنواع العبادة والعلم ، والبرّ والصلة ، وقد كان علقمة بن قيس والأسود بن يزيد وآخرون يختمون في ستة أيّام .

وأعرف من أعلام المعاصرين من لزم الختم في ستة أيام ، وذكر النووي في كتابه " التبيان في آداب حملة القرآن " وغيره أن من السلف من كان يختم في ستة أيام ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقسمونه على ستة من أيام الأسبوع ليفرغوا لأعمال الخير من البرّ والصلّة ، ونحوها في يوم الجمعة ، وإلا لجعلوها سبعة ..

ومن القراء من يبتدئ أول الأسبوع ، وهو يوم الأحد ، ويختم يوم الجمعة ، ولكل وجهة ، ولكل أناس مشرب ، وأقترح أن يبتدئ قراءته من يوم السبت ويختم يوم الخميس ، ويجعل يوم الجمعة لما سوى ذلك ، ولا يخلي يومه ذاك من قراءة شيء من القرآن ، ولكنه يستروح فيه بما يشاء من القراءة على ما عهدناه له من قبل غير مرّة .. وممن ذكر عنهم الختم في ستة أيام من قراء عصرنا : الشيخ بكري الطرابيشي ، والشيخ محمود سكر .

وبهذا التحزيب والورد قد عملت مدّة حولين كاملين كنت أتلو فيهما عرضا على بعض مشايخنا من بعد صلاة العصر إلى المغرب أو إلى ما بعده ، أفتتح سورة البقرة يوم السبت ، وأختم يوم الخميس في المسجد الحرام بعد

إتمامي لحفظ القرآن ، ولم يكن في يوم الجمعة تسميع ، وكان ذلك خير معين لتثبيت القرآن وإتقانه في كل يوم خمسة أجزاء تقريبا ، وقد تزيد في بعض الأيام وتنقص في أخرى .

وتقسيمه في ستة أيام على هذا النحو :

الأول	سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء.
الثاني	من أول سورة المائدة إلى آخر سورة " التوبة " .
الثالث	من أول سورة يونس إلى آخر سورة " الكهف " .
الرابع	من أول سورة مريم إلى آخر سورة " السجدة " .
الخامس	من أول سورة الأحزاب إلى آخر سورة الحجرات .
السادس	المفصّل من " ق" إلى آخر القرآن .

ومقدار الحزب الأول : خمسة أجزاء وربع جزء ، **والثاني** : خمسة أجزاء ونصف ثمن ، **والثالث** : خمسة أجزاء غير ثمن واحد ، **والرابع** : خمسة أجزاء ونصف جزء غير نصف ثمن ، **والخامس** : خمسة أجزاء إلا بعض ثمن ، **والسادس** : سور المفصّل ، وهي أربعة أجزاء وربع جزء غير قليل .

وتقسيمه على الأجزاء المعلومة في القرآن - إن كان بالتساوي - ففي كل يوم خمسة أجزاء ، وهو معلوم مرسوم في المصاحف ، والتحزيب بالسور أولى كما ذكرنا .

وأخبرت عن بعض القراء من المعاصرين[1] : أنه كان له صاحب يقرأ معه كل يوم خمسة أجزاء ، يبتدئان ويختمان يوم الخميس ، ويجعلان يوم الجمعة لقراءة سورة الكهف ، والإكثار من الصلاة على النبي ، ﷺ .

ومن لطيف الخبر في هذا التحزيب ما حكاه لي بعض الفضلاء : أنّ عاملا من باكستان لا يحسن العربية يعمل في (بقالة) لا يراه الداخل عليه إلا تاليا للقرآن ، يقرأه قائما وقاعدا ، فسئل عن تحزيبه ، فقال : إنه على التحزيب على ستة أيام ، من السبت إلى الخميس وأنه على ذلك منذ دهور .

فطوبى لمن شغله القرآن عن اللّغو وقول الزور .

بنفسي من استهدَى إلى الله وحده ... وكان له القرآن شِربًا ومغسلاَ
وطابت عليه أرضُه فتَفتَّقتْ ... بكل عبير حين أصبح مُخْضلاَ
فطوبَى له والشَّوق يبعثُ همَّهُ ... وزَنْدُ الأسَى يهتاجُ في القلب مُشعلاَ
هو المجتبَى يغدو على الناس كلهم ... قريبًا غريبًا مُستَمَالاً مُؤَمَّلاَ
يَعُدُّ جميع الناس مولىً لأنهم ... على ما قضاه الله يُجرُون أفْعُلا
يرى نفسهُ بالذَّمِّ أولى لأنها ... على المجدِ لم تعلق من الصبر والألاَ[2]

والتقسيم بالسور أولى كما سبق بيانه غير مرّة ، وبتعداد السور يكون على (ثلاث ، وخمس ، وتسع ، وأربع عشرة ، وسبع عشرة ، ثم المفصل) .

---

(١) هو زكي داغستاني ، القارئ المعروف .

(٢) الأبيات للإمام الشاطبي في مقدمة منظومته المشهورة ((حرز الأماني ووجه التهاني)) في القراءات السبع .

ختمه في خمسة أيام

للختم في خمسة أيام مريدون ، وفي ميدانه متنافسون ، وسلك طريقه جماعة من الصحابة والتابعين ، يخف على ألسنة التالين ، ولا يسأم من ترداده ألسنة الذاكرين ، وهو وسط بين الثلاثة والسَّبعة .. ومن مأثور كلام الحفاظ : ((من تعاهد القرآن في خمس أمن من الطمس)) أي : النسيان .

وممن كان يختمه في خمس : علقمة[1] وورد في حديث عبد الله ابن عمرو . في رواية الترمذي و الدارمي : أن النبي ﷺ قال له : ((اختمه في خمس))[2] .

واجتهدت في تحزيبه على السور على مهيع واضح وميسَّر.

وهو أربع سور في اليوم الأول ، ثم يزيد خمسا خمسًا في اليوم الثاني والثالث والرابع ، ثم سورتين مع المفصّل ، فتكون السور في اليوم الثاني : تسعا ، وفي الثالث : أربع عشرة ، وفي الرابع : تسع عشرة ، وفي اليوم الخامس : الباقي .

وطريقة تحزيبه وتقسيمه على هذا النحو :

اليوم الأول	من أول القرآن إلى آخر سورة المائدة .
اليوم الثاني	من أول سورة الأنعام إلى أول سورة الحجر .

(١) حكاه عنه ابن كثير في مقدمة تفسيره : ١ / ٨٢ .

(٢) سنن الترمذي (٢٨٧٠) وسنن الدارمي (٣٥٥٠).

اليوم الثالث	من أول سورة الحجر إلى آخر سورة القصص .
اليوم الرابع	من أول سورة العنكبوت إلى آخر سورة محمد ﷺ .
اليوم الخامس	من أوّل سورة الفتح إلى آخر القرآن .

الحزب الأول : ستة أجزاء ، وربع الجزء ، ونصف ثمن .

وحزب **اليوم الثاني** : ستة أجزاء ، وخمسة أثمان ، ونصف ثمن .

وحزب **اليوم الثالث** : سبعة أجزاء إلا ربع جزء .

وحزب **اليوم الرابع** : خمسة أجزاء وخمسة أثمان ، وبعض ثمن .

وحزب **اليوم الخامس** : أربعة أجزاء ، وخمسة أثمان إلا بعض ثمن .

وتقسيمه على الأجزاء المرسومة في المصاحف غير خاف ، والأولى في كل التحزيبات ذات الأيام القليلة أن تكون على السور ، كما قدمناه .

والمواظب على ذلك يختم في الشهر ست مرات ، إذا كان الشهر كاملا، أو ست مرات غير أجزاء ورد اليوم الخامس في المرة السادسة ، ولا ينضبط ترتيبه على شهر أو أسبوع إلا إذا كان القارئ يتمّم آخر الشهر النقص حزب اليوم الأخير فيضمه إلى الذي قبله .

أو كان يراعي في ذلك أيام الأسبوع ، فيقرأ أحزابه في خمسة أيام ، ويدع يومين للتأمل ، وقراءة التفسير ونحوه ، والوقوف على الآيات التي رأى حين قراءته لورده أنها تحتاج إلى رجوع للتفسير والبحث . وأمثل ذلك أن يجعل تلاوته من الخميس إلى الاثنين ، أو من الأحد إلى الخميس ، أو من الاثنين إلى الجمعة .. وفي كل خير .

ختمه في أربعة أيَّام

من السلف من كان يختمه في أربعة أيام[1] ، وليس لذلك نصٌّ محفوظ أرشد النبي ﷺ فيه أحدًا من أصحابه مثل ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو ، وختمه في أربعة أيام يأتي في الدرجة الثانية في طرق الاجتهاد ، يختم التالي في الشهر سبع ختمات وبعض ختمة ، وتحسن المراوحة بينه وبين الختم في ثلاث ويكون له في الأسبوع ختمتان ، كما سيأتي تفصيله ، وكان عروة بن الزبير يختم كلّ أربعة أيام ، يقرأ في كل يوم ربع القرآن في المصحف "[2].

وتحزيبه بالسور على هذا النحو :

اليوم الأول	من أول القرآن إلى آخر سورة الأنعام .
اليوم الثاني	من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة " طه " .
اليوم الثالث	من أول سورة الأنبياء على آخر سورة الزمر .
اليوم الرابع	من أول سورة غافر إلى آخر القرآن .

مقدار الحزب الأول : سبعة أجزاء ونصف جزء .

ومقدار الحزب الثاني : ثمانية أجزاء ونصف جزء .

---

(١) نص على ذلك النووي في التبيان : ٦١.

(٢) حلية الأولياء ٢ / ١٧٨ .

ومقدار الحزب الثالث : سبعة أجزاء وربع الجزء .

ومقدار الحزب الرابع : سبعة أجزاء سوى ربع جزء .

وأما تقسيمه بالأجزاء المعروفة في المصاحف فهي معلومة مرسومة في المصاحف ، وتقسيمها بالتساوي يكون بسبعة أجزاء ونصف في كل يوم من الأيام الأربعة .

ولم يكن لمن اتخذ ذلك منهجًا وسبيلاً من فضل خاصّ ، أو سبب يسوقه إليه سوى أنه الأقرب إلى نفسه ، والأيسر له ، أو أنه الأعون له على التدبر ، وموافقة النفس فيما تحب في أمر التعبّد فيما لم يوجبه الله ورسوله أمر حسن والنصوص تؤيد ذلك .

ولا اعتبار لتاريخ ولا أسماء أيام في هذا النوع من التحزيب ؛ لأن ضبطه غير ممكن ، إلا إذا كان يدمج في نهجه بين الختم في ثلاثة والختم في أربعة ، فهذا ممكن وحسن ، كما بيّناه في تحزيب الثلاثة .

أو على طريقة أخرى لمن يشتغل بالتفسير والعلم ، وهي أن يقرأه في أربعة أيام من أيام الأسبوع متتالية أو متفرقة ، وفي الأيام الأخرى يشتغل بالتفسير والتدبير وسائر عمله .

فإذا بدأ يوم الجمعة ختم يوم الاثنين ، وجعل الأيام الثلاثة لما ألزم به نفسه .

وإن شاء جعلها متفرقة ، فجعل ورده في يوم الخميس والجمعة والأحد والاثنين ، يقسم ذلك بحسب ما يوافقه .

ويمكن تقسيمه بمراعاة أيام الشهر أيضًا فيختم في الشهر أربع مرات خمس ، متتالية أو متفرقة ويجعل أيام الفراغ لما دون ذلك .

ختمه في ثلاثة أيام

يرى بعض أهل العلم أن ختمه في ثلاث أفضل مطلقًا ، ويرى آخرون أنه أدنى مراتب الفضل ، وأن الأفضل هو ما بدأ به النبي ﷺ في وصيته لعبد الله بن عمرو إذ قال له : « اقرأه في شهر » ويحتمل أن يكون الأفضل في حقه أن يختمه في شهر ، ولما كان ختمه في أقل من ذلك وفي ختمه في ثلاث مظنة للترك أو الجهد أرشده إلى قراءته في شهر ، وقد كان ذلك ، فإن عبد الله بن عمرو تمنى في آخر عمره أن لو أخذ بوصاة رسول الله ﷺ ، فإن القدر الذي يستطيع المداومة عليه كل أحد هو الختم في شهر .

والناظر في نصوص الوحي يجد أن الفضل في مثل هذا غير محصور في حال واحدة ولا مرتبة معينة لكل الناس وفي كل الأحوال ، وأن للفضل وكثرة الأجرة وعِظَمِه طريقين :

إحداهما : المداومة على ما أخذه المرء على نفسه قليلا كان أو كثيرًا ، فالذي يختم في شهر ولا يملّ من ذلك ولا ينقطع خير ممن يختمه في أقل من ذلك وينقطع في منتصف الطريق ، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » ، ولا يمكن أن يكون غيرُ الأحب هو الأفضل ، أو مساويا للأحب في الفضل .

الثانية : الصفة التي يتم بها العمل والحال التي يكون عليها صاحبها ، فإن ركعتين بخشوع وحضور قلب وقنوت خير من أكثر منهما دونهما في الخشوع والقنوت ، بل هما خير من ألف ركعة ليس فيها إلا قيام مجرّد ، و ركوع ، وسجود ، وتكبير ، والسلام عليكم ورحمة الله ، وما قيمة جسد بلا روح ؟!.

وممن كان يختم في ثلاث من أصحاب النبي ﷺ : عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، ويكره قراءته في أقل من ثلاث ، وكان ابن مسعود يقرأه في رمضان كل ثلاث ، ومثله إبراهيم النخعي من التابعين .

وأرى أن يأخذ به أحيانا أصحاب التحزيبات الأخرى الذين يختمون في أسبوع أو شهر أو غير ذلك ، يأخذون به أوقات الجدّ والتفرغ للعبادة ، كأوقات الاعتكاف ، وفي رمضان ، وحين لا يتمكن الإنسان من القراءة وهو في فراغ ، وفي الأسفار لاسيّما إذا كان وحده ، والحافظ المتقن يستطيع القراءة في كل أحيانه ، وهو أسهل عليه من غيره .

وأخبرني بعض أهل العلم عن نفسه أنه قرأ القرآن كلّه في ذهابه من المدينة المنورة إلى مكة ، ومنها إليها في سيارته قراءة مرتّلة بصوت مسموع .

وأمّا المداومة على ختمة كلّ ثلاث فلا يقدر عليه إلا أولو العزم من الناس ، الذين لا يشغلهم شاغل ، من عمل أو وظيفة ، أو اشتغال بتعلم أو تعليم أو تصنيف ..

ومن المقرئين من يحصل له استماع هذا القدر أو أكثر كلّ يوم ، وقرأ عليّ بعض الطلاب ختمة كاملة بقراءة عاصم من روايتي شعبة وحفص في ثلاثة أيام متفرقة ، فرّغت نفسي لذلك ، في كلّ يوم بضع ساعات .

وتقسيم قراءته في ثلاثة أيام على هذا النحو :

اليوم الأول	من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة .

اليوم الثاني	من أول سورة يونس إلى آخر سورة السجدة .
اليوم الثالث	من أول سورة الأحزاب إلى آخر القرآن .

يرمز لها بكلمة « فيء» الفاء " للفاتحة " والياء " يونس " والهمزة " الأحزاب " .

ولا أعلم لأحد تقسيما معينا على السّور ، والقول فيه من باب التقريب ، والأمر سهل ، وقد يكون لبعض الناس ختمة في ثلاث يقرأ في أحد الأيام الثلاثة مثل ما يقرؤه في يومين أو ضعفه .

وأما تقسيمه على الأجزاء ، فأجزاؤه بالتساوي معروفة فإن الجزء العاشر ينتهي عند قوله سبحانه : ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢] والجزء العشرون ينتهي عند قوله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥] والثلاثون ينتهي بسورة الناس .

ولكن لا داعي إلى التحزيب بالأجزاء المعروفة ولا حاجة له ؛ لأن الزيادة - هنا - والنقص لا أثر لهما ، وأما في التحزيب الذي يكون الورد فيه قليلاً فالعمل بالتحزيب بالأجزاء معتبر ومعقول ؛ لأن طول السور مؤثر في زيادة الحزب أو نقصه ، فمن كان ورده اليومي جزءًا أو نصف جزء لم يسُغ أن نجعل سورة البقرة حزبَ يوم واحد ؛ لأن ذلك ضعف أو أضعاف ما اعتاده ، وكان جعل سورة آل عمران حزبا ليوم واحد فوق ما يعتاده من عادته أن يقرأ في اليوم نصف جزء ، وإنما يحسن ذلك في جعل سورة الإسراء مثلا حزبًا وحدا مع الإغضاء عن نصف الثمن الزائد عليها ، ومثله الابتداء من أول

الذاريات لا برأس الجزء ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الذاريات:٣١] وهكذا .

ومن البعيد أن يتمكن القارئ من قراءة المصحف كاملا بترتيل كل ثلاث مع انشغاله بأمر حياته ؛ لهذا كان الختم في أكثر من ذلك هو الأحبّ لما فيه من التمكن من مراعاة الترتيل والتدبر ، قال أبو عيسى الترمذي : « والترتيل في القراءة أحب إلى أهل العلم »(١).

وللقارئ صاحب هذا النوع من التحزيب أن لا ينظر إلى الأيام من حيث أعدادُها ولا أسماؤُها وذواتها ، بل يختم في كل ثلاثة أيام متتابعة سواء بدأ يوم السبت أو الأحد أم في سواهما ، وسواء كان ابتداؤه في أول الشهر أم في وسطه أم في آخره ، لا يبالي بمراعاة شيء من ذلك ، ولا يلتفت إليه .

وله أن يعتبر ذلك ، ويسير على ما يناسب رغبته وإرادته .

والذي أراه لمن سلك مسلك الختم في ثلاثة أيام أن يراعي في ذلك الأيام ، ويختم في الأسبوع مرتين يبدأ بالأولى يوم السبت ، وينتهي بالاثنين ، ويبدأ في الختمة الثانية يوم الثلاثاء ، ويختم في يوم الخميس ، ويجعل يوم الجمعة للمراجعة لما وقف فيه وفي معناه ، ولدراسة بعض معاني القرآن وقراءة سورة الكهف .

وله مسلك آخر وهو أن يراوح بين طريقتين في الختم فيختم مرّتين في الأسبوع مرة في ثلاث ومرة في أربع ، وتكون ختمة الأربع يوم الاثنين والأخرى يوم الخميس .

(١) سنن الترمذي : ١٠ / ٢٠٠.

وهي طريقة حسنة ، وفيها تغيير يدفع ما تجده بعض النفوس من السّير على وتيرة واحدة .. وطريقة التحزيب على أربعة أيام مفصلة في هذا الكتاب بينتها بعد هذا المبحث .

والختم في ثلاث هو أقل ما ينبغي أن يداوم عليه في الختم ، ولم يحفظ عن أحد من السلف المداومة على ختمه في أقلّ من ثلاث ، وإنما روي عن بعضهم الختم في يومين أو أقل من ذلك في شهر رمضان أو في غيره مرّة أو مرات قليلة ، مثلما روي عن عثمان أنه ختم القرآن في ركعة ، لتفرغهم لذلك وحده ، فإنه قد يختم في ثلاث ، أو في أقل من ثلاث من تكون قراءته أسرع ممن يختم في يومين ، أو يوم لتخصيصه وقتا للقراءة قد يبلغ مجموعة ساعات تكون أقل من الساعات التي نقرأ فيها من يختم في اليوم واليومين .. فالنظر في ذلك كلِّه إلى قراءة القارئ ، فإن كانت قراءة لا يفقهها السامع ولا يستطيع معها أن يفقه صاحبها بعض ما يقرأ ، فهي قراءة مرجوح تفضيلها مذموم صاحبها ، لاسيما إن كان يسقط بعض الحروف في قراءته ، كالألفات اللينة والياءات والهاءات ونحوها من الحروف الضعيفة ، وعلى هذا يحمل النهي على قراءة القرآن كله في أقل من ثلاث ؛ لأنه لا يفقه قراءته .

فإذا كان النبي ﷺ قد أمر عبد الله بن عمرو أن يقرأه في أربعين ، وانتهى معه إلى ثلاثة أيام حين قال له : إني أطيق أفضل من ذلك ، فختمه في ثلاث هو أقصى الاجتهاد والأقوى ، ولكن قد تشق عليه المداومة .. وممن ذكر عنه الختم في ثلاث من المتقدمين : محمد بن إسماعيل البخاري صاحب

الصحيح، ومن الوزراء أحمد بن عمار ، وأبو العباس الوزير (ت ٢٣٨هـ) كان يختم كل ثلاثة أيام[1] .

وفي ترجمة ابن سينا ، الفيلسوف ، الطبيب : « ثم اغتسل وتاب في آخر عمره ، وردّ المظالم ، وجعل يختم كل ثلاثة أيام ختمة ، ثم مات بهمدان يوم الجمعة في رمضان »[2].

وغيرهم كثير ، لكن أصحاب الختم في أسبوع هم الأكثر ، لاسيما السلف ، يليهم من يختمه في شهر ، يليهم من يختمه في ثلاث ، ثم من يختمه في عشرة أيام ، وفي العصور المتأخرة أحسب أن الخاتمين في شهرٍهُمُ الأكثرون .

وممن ذكر عنهم الختم في ثلاث : الوليد بن عبد الملك ، كان يختم - على شغله - كل سبع أو ثلاث .

وكان أحمد بن محمد بن خلف القاضي العلامة ، نجم الدين ، أبو العباس المقدسي (ت٦٣٨هـ) يقرأ كل ليلة ثلث القرآن ، ومن جملة محفوظاته « الجمع بين الصحيحين » للحميدي[3] .

وهو كتاب نوصي طالب العلم أن يديم النظر فيه ، ويكثر من مطالعته حتى يتمكن من استحضار متونه ، وأيسر منه وأحكم « الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الاشبيلي ، فإنه رتبه على أبواب الفقه لا على المسانيد ، كما فعل

(١) تاريخ الإسلام للذهبي : ٤ / ٢٧٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي : ٧ / ٦١.

(٣) الوافي بالوفيات : ٣ / ٣٨.

الحميدي ، وهذا أعون على استحضار أحاديث الباب ، وجمع الحميدي أقرب إلى الصنعة الحديثية ، وهو أشهر وأذكر ، وأما قول العراقي في ألفيته :

* وليت إذ زاد الحميدي ميَّزا *

فغير دقيق ، ولعل العراقي – رحمه الله – قلّد في هذا غيره ، ولو تأمل المواضع التي زادها لرآها معزوة إلى من زادها من أصحاب المستخرجات ، قاله ابن حجر ، انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح : ١ / ٣٠٠ .

وأما عبد الحق فإنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها ، وزياداته قليلة، وما زاده ميّزه ، وأما « الجمع بين الصحيحين » للموصلي ففيه نقص ، ومعظمه منتزع من جامع ابن الأثير ، وكان معاصرا له .

وهناك جمع الصغاني ، مرتب على الحروف ، وفيه نقص ، ولصالح الشامي ، من المعاصرين كتاب اسمه « الجامع بين الصحيحين » لا يبلغ رتبة كتاب عبد الحق ، مع حسن ترتيبه وتهذيبه .

وفي كل خير .. وموجب هذا الكلام العارض الوصية لحامل القرآن أن لا يكون جاهلاً بسنة نبيّه ، فإنّ العلم بالسنة من العلم بالقرآن ، وقد كان القراء هم العلماء ، فإذا كان القارئ صِفْرا من حديث النبي ﷺ ، لا يعرف أحكام دينه ولا تفاصيل شريعته ، ولم يفقه معاني القرآن ، وإذا احتاج إلى حكم شرعي في مسألة من مسائل دينه فزع إلى غيره ، وذهب يستفتي المفتين عن الحكم في تلك المسألة ، فقد جهل ، ولم يدرك معنى حمل القرآن ، وتعلّمه ، وحق تلاوته .

وقد وجدنا من يسأل عن كفارة اليمين ، وهو يحفظ سورة المائدة ، ويسأل عن الميراث المفصل ذِكره في سورة النساء ، وهو يحفظ سورة النساء .

حــزب الستــين

(ختمه في شهرين)

هذا الورد السِّتِّينيُّ الذي يختم فيه القرآن في شهرين متتابعين هو أقل الأوراد ، ومن الحفاظ من يعمل به ، وأحسن من يطبقه من أراد أن يقرأه مع تفسير متوسط ، أو مختصر ، كتفسير النفسي ، ومختصر ابن كثير ، والتسهيل لابن جزيّ الكلبي ، وتفسير الجلالين ، ووجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار ، وهو تفسير ذكرت فيه غريب المفردات والجمل ، وضممت إلى ذلك دقائق واستنباطات ، وهو - أعني الورد الستيني - صالح لمن كان حديث العهد بحفظ القرآن وأراد أن يثبته بالمراجعة المحكمة .

وهو كذلك لمن أراد القيام بالليل مع التخفيف لاسيما إن كان معه غيره من الناس ، والغالب على أئمة القيام في رمضان قراءة نُصف جزء كلِّ ليلة .

وهو صالح - أيضا - لمن أراد التكرار مطلقا للحفظ أو للتدبر .

وتقسيم الأحزاب معروف بالمصحف الشريف ، مرموز إليها بالرقم ، أو الكتابة .

ولا على الإنسان أن يلتزم بها ، فلو شاء أن يحزبها بالسور إذا كانت بمقدار مساو ، أو مقارب ، كسورة الرعد ، ويوسف ، والأنفال ، وطه ، والأنبياء والحج ، وغيرها ، ويقسم السور الطويلة بما يتيسر له .

وإليك أنموذجا لذلك :

الحزب الأول	عند آخر قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٨٢
الحزب الثاني	إلى آخر قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ البقرة: ١٥٢
الحزب الثالث	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٧
الحزب الرابع	إلى آخر آية الكرسي [البقرة ٢٥٥] .
الحزب الخامس	إلى قوله سبحانه : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ آل عمران: ١٧
الحزب السادس	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ آل عمران: ٩٥
الحزب السابع	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٨
الحزب الثامن	إلى آخر قوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء: ٢٨
الحزب التاسع	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ النساء: ٨٧
الحزب العاشر	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ النساء: ١٤٧ .
الحزب الحادي عشر	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ المائدة: ٣٤

الحزب الثاني عشر	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ المائدة: ١٠٥
الحزب الثالث عشر	إلى قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢ ﴾ الأنعام: ٦٢
الحزب الرابع عشر	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤ ﴾ الأنعام: ١١٤
الحزب الخامس عشر	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ ﴾ الأنعام: ١٣٢
الحزب السادس عشر	إلى آخر سورة الأنعام .
الحزب السابع عشر	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩
الحزب الثامن عشر	إلى آخر قوله : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨
الحزب التاسع عشر	إلى آخر سورة الأعراف .
الحزب العشرون	سورة الأنفال .
الحزب الحادي والعشرون	إلى آخر قوله سبحانه : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠ ﴾ التوبة: ٧٠
الحزب الثاني والعشرون	إلى آخر سورة التوبة .
الحزب الثالث والعشرون	إلى أول قوله سبحانه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

	﴿ ... يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يونس: ٦٢
الحزب الرابع والعشرون	إلى أول قوله سبحانه : ﴿ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ هود: ٢٤
الحزب الخامس والعشرون	إلى آخر سورة هود .
الحزب السادس والعشرون	سورة يوسف .
الحزب السابع والعشرون	سورة الرعد.
الحزب الثامن والعشرون	سورة إبراهيم والحجر .
الحزب التاسع والعشرون	سورة النحل .
الحزب الثلاثون	سورة الإسراء .
الحزب الحادي والثلاثون	سورة الكهف .
الحزب الثاني والثلاثون	سورة مريم .
الحزب الثالث والثلاثون	سورة طه .
الحزب الرابع والثلاثون	سورة الأنبياء .
الحزب الخامس والثلاثون	سورة الحج .
الحزب السادس والثلاثون	سورة المؤمنون .
الحزب السابع والثلاثون	سورة النور .
الحزب الثامن والثلاثون	سورة الفرقان .
الحزب التاسع والثلاثون	سورة الشعراء.
الحزب الأربعون	سورة النمل .
الحزب الحادي والأربعون	سورة القصص .

الحزب الثاني والأربعون	سورة العنكبوت .
الحزب الثالث والأربعون	سورة الروم ، ولقمان .
الحزب الرابع والأربعون	سورة السجدة ، والأحزاب .
الحزب الخامس والأربعون	سورة سبأ ، وفاطر .
الحزب السادس والأربعون	سورة يس ، والصافات .
الحزب السابع والأربعون	سورة ص ، والزمر .
الحزب الثامن والأربعون	سورة غافر ، وفصلت .
الحزب التاسع والأربعون	سورة الشورى ، والزخرف .
الحزب الخمسون	سورة الدخان ، والجاثية .
الحزب الحادي والخمسون	سورة الأحقاف ، ومحمد ﷺ .
الحزب الثاني والخمسون	سورة الفتح ، والحجرات ، وق .
الحزب الثالث والخمسون	سورة الذاريات ، والطور ، والنجم .
الحزب الرابع والخمسون	سورة الرحمن ، والواقعة ، والحديد .
الحزب الخامس والخمسون	سورة المجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف .
الحزب السادس والخمسون	من الجمعة إلى الملك .
الحزب السابع والخمسون	من الملك إلى آخر سورة نوح .
الحزب الثامن والخمسون	من أول سورة الجن إلى النبأ .
الحزب التاسع والخمسون	من النبأ إلى الأعلى .
الحزب الستون	من الأعلى إلى آخر القرآن .

ولم أجد أحدا من السلف بعينه ذُكر أنه كا يختم في ستين وإن كان حكي ذلك عنهم ، فقد روى ابن أبي داوود أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة (1).

وهو أقصى ما حكي عن السلف في الختم .

وأما في عصرنا فكثير لاسيما في العرض على المشايخ ، في أكثر البلاد، يعرضونه حزبا حزبا (نصف جزء) ، وعادة المقرئين أنهم يلزمون من حفظ لديهم أن يبدأ في مراجعة القرآن بقراءة نصف جزء كلّ يوم ، وبعضهم يلزم تلاميذه بتسميع جزء كامل ، وفي ذلك مشقّة على حديث العهد بالحفظ إلاّ إذا كان كثير المراجعة ، والتسميع لما حفظه من قبل أوان حفظه ، ومن كياسة المعلّم أن تكون عنايته بالمراجعة أكبر من عنايته بحفظ شيء جديد ، فإن ما حفظ بمنزلة رأس المال ، والتاجر الحاذق يعنى برأس ماله أوّلاً قبل الربح .

وينبغي لمن حفظ القرآن أن يتدرج في مراجعته بعد ختمه ، فيختمه بتسميع متقن على تحزيب الستين في شهرين ، ثم يعرضه بعد ذلك في أربعين، ثم في شهر ، ثم يتدرج في ذلك إلى أن يبلغ سبعة أيّام أو ستة ، فإن لم يكن بالتسميع فبالصلاة ، فهذه هي طريق الإتقان المجرّبة .

(1) المصاحف ، ونقله عنه النووي في التبيان : ٦١.

الختم في أقلّ من ثلاث

الختم الذي أرشد إليه النبي ﷺ ينتهي من حيث الأيام إلى طرفين :

أحدهما : إلى أربعين ، وهو أقصى ما ورد مما أرشد إليه النبي ﷺ .

الثاني : وهو الذي انتهى إلى ذكره وذمَّ من قرأه في أقل منه ، وهو ثلاثة أيام ، فإذا كان الحدّ الأقصى هو الأربعين ، والأدنى ثلاثة أيام ، فما بينهما هو الحدّ الأوسط ، والوسط ما بين سبعة أيام إلى شهر ، وما دون السبعة إلى ثلاثة هو أدنى الوسط ، وما فوق الشهر أقصاه.

أما ما فوق الأربعين فإن عهد القارئ بأول القرآن يطول إذا كان في آخره ، وعهده بآخره يطول وهو في أوله ، فإن نأى عن ذلك وبلغ مبلغا زائدا يشبه الهجر بَعُدَ عن المستحبّ .. وقد روي عن الصحابة أن منهم من كان يختم في شهرين كما تقدم ، وأما من كان يقرأ شيئا من القرآن ، ولم يختم ، ولو مكث مدّة طويلة ، فإنه لا يقال عنه : إنه هجر القرآن هجر تلاوة ؛ لأن الختم ليس مطلوبا في ذاته .

وأما قراءته في أقلّ من ثلاثة أيام فالحقّ الذي لا ريب فيه أنه خلاف الأولى ، ومن العلماء من كرهه ، وفيهم من حرّمه ، والكاره والمانع يحتج بحديث : « لا يفقه من قرأ القرآن في أَقل من ثلاث »[1] ، قال ابن حزم - رحمه الله - : يستحب أن يختم القرآن مرة في كل شهر ، ويكره أن يختم في أقلّ من خمسة أيام ، فإذا فعل ففي ثلاثة أيام ، لا يجوز أن يختم القرآن في أقلّ من ذلك ، ولا يجوز لأحد أن يقرأ أكثر من ثلث القرآن في يوم وليلة ، واستدل

---

(١) أخرجه أبو داوود (١٣٩٠) والترمذي (٢٩٥٠) وأحمد ٢ / ١٦٤.

بالحديث السابق : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »[1] ، وممن ذكر عنه الكراهة لذلك من الصحابة معاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة ، والأقرب في كلام ابن مسعود المنع ، وكان يقول : « من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث فهو راجز »[2] ، وكان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث[3] ، ولم يكن يقرأه في أقل من ذلك .

والذين ذكر عنهم من السلف الختم في أقل من ثلاث - لاسيما من التابعين وأتباعهم - عدد كثير ، وأما من بعدهم فخلق لا يحصى عدده لكثرته .

قال محمد بن نصر المروزي : « ولو تتبعت تراجم أئمة الحديث لوجدت كثيرا منهم أنهم كانوا يقرءون القرآن في أقل من ثلاث ، فالظاهر أن هؤلاء الأعلام لم يحملوا النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على التحريم »[4] .

فممن روي عنه الختم في ليلتين سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء بن السائب ، والأسود بن يزيد في شهر رمضان خاصة ، وعبد الرحمن بن مهدي .

وممن كان يختم كلّ ليلة ثابت البناني ، ويحي بن سعيد القطان ، وقد كان في الصحابة وغيرهم من يختم في ركعة ، كعثمان بن عفان ، وتميم الداري ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم ، وقد أفردنا ذلك بمبحث مستقلّ .

---

(١) المحلى : ٣ / ٥٣.

(٢) الأثر رواه أبو أحمد في مسنده : ٢/ ١٦٤.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لابن سلام : ١٨٠.

(٤) نقله عنه صاحب تحفة الأحوذي : ٨ / ٢١٩ .

والبحث - هنا - في قراءته في أقلّ من ثلاث مطلقًا ، ولا أجد لهؤلاء التَّجِلَّة من السلف الطيب في جواز ذلك والعمل إلا أحد محامل ثلاثة :

أحدها : العمل بمقتضى النصوص العامّة المرغبة في قراءة القرآن ، وتلاوته آناء الليل وآناء النهار ، فإن من قرأ القرآن آناء الليل وآناء النهار يقدر على ختمه في أقل من ثلاث بقراءة ترتيل ، يستطيع معه أن يفقه ما يقرأ ، غير أن المداومة على ذلك شاقة على صاحبها ، ولم يثبت عن صاحب أنه كان يديم الختم في أقل من ثلاث بسند صحيح .

الثاني : يحتمل أن منهم من لم يبلغه حديث « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .

ومن العلماء - وعزاه القرطبي إلى الكثير - من ذهب إلى منع الزيادة على السبع لقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو : « اقرأه في سبع ولا تزد » أي لا تزد في القلّة [1].

والظاهر أن هذا النهي من باب الرفق به ؛ لما في ذلك من المشقة والجهد ومظنة أن ينقطع ، بدليل أنه أذن فيما دون ذلك ، وأن يقرأ في خمس ، وجعل المذموم فيما دون الثلاث .

ويحتمل وجها ثالثا : وهو مراعاة أجر التلاوة وتحصيل الحسنات الكثيرة ، ولو فاتهم التدبر الذي هو واجب من حيث الجملة ، لا في كل حين ، ووجدوا أن من الأوفق لهم في بعض الأحيان الإكثار من القراءة لمجرد التلاوة؛ لأن القرآن ذكر ، والمقصود هو الذكر ، والذاكر مأجور ، ورأوا أن

---

(١) ينظر: التذكار : ١٠٥.

حديث : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » في أمر التدبر ، وهو إخبار عن عدم إمكانه من فهمه حين يقرؤه بعجلة ، وليس فيه نهي عن قراءته مطلقا ، فراعوا في ذلك تحصيل حسنات أكثر بعدد الحروف التي يقرءونها ، وهذا أوجه هذه الاحتمالات فيما يظهر لي .

ختمه في يوم واحدٍ مرتين فأكثر

قراءة القرآن كله في يوم وليلة ، مرّة ، أو مرتين ، أو أكثر تروى عن عدد لا يحصى كثرة من السابقين واللّاحقين ، قال النووي : « وأما من حصل له الختم في يوم واحد مرّة ، أو مرات ، ولم يكن له مواظبة على ذلك فخلق لا يحصون »[1].

وليس من غرضنا - هنا - ذكر من كان يختم كذلك ، فإنَّ من اليسير البحث عن ذلك وجمعه بواسطة التراجم في الموسوعات ، ولكن حسبنا أن نذكر نماذج من طبقات مختلفة في أحوالهم وأزمنتهم ، وننبه أيضا إلى أخبار ذكرت عن بعضهم أنه كان يختم في اليوم مرات كثيرة ، لا يتصورها العقل ، ولا يحتملها الوقت ، ولا يصدقها الواقع .

فممَّن وقع لهم الختم في اليوم والليلة : عثمان بن عفان ، وتميم الداري ، ومجاهد بن جبر المكي ، وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة ، والشافعي ﷺ ، ولم يذكر عنهم المواظبة على ذلك .. وإنما كان لهم ذلك حين يتجرّدون لقراءة القرآن ، لاسيما في شهر رمضان .

وذكر عن ابن عباس أنه كان يختم مئة مرة في رمضان ، لعله كان يختم في كل ليلة ثلاث مرات ، وفي العشر الأواخر أربع مرات كلَّ يوم وليلة .

وصحَّ عن مجاهد أنه كان يختم ما بين المغرب والعشاء[2] .

---

(١) التبيان : ٥٩ .

(٢) ثبت عنه بإسناد صحيح كما قال النووي في التبيان : ٦٠ ، غير أنه لا يمكن ذلك إلا بتأخير العشاء إلى آخر وقتها .

وعن منصور بن زاذان قال : كان عليّ الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في رمضان كل ليلة .

ولا يكون ذلك إلا بالفصل بين المغرب والعشاء بساعات .

وقد أفردنا للقراءة في رمضان مبحثا خاصًّا ذكرنا فيه عددا ممن كان يجتهد في رمضان في القراءة ولكثير من التلاوة ؛ فإن أكثر من روي عنه الختم في اليوم ، مرة ، أو مرات ، من السلف ، كان ذلك منهم في شهر رمضان لفراغهم للعبادة من قراءة وصلاة ، وربما كان ذلك في الحج ، وفي طريقهم إليه ، والنفس حين تقبل على العبادة ، وتشتاق إليها تجد في الذكر والقراءة سلوانا ؛ لأنها عبادة تؤدّى في كل وقت ، وفي كل حال شريفة ، وهي خفيفة على الإنسان ، إذ لا تعدو أن تكون حركة باللسان بإمداد الجنان ورسيس الإيمان ، وهو فوق ذلك غذاء العبادات كلها ، فالعبادات المفروضة شرعت لذكر الله ، والقرآن ذِكر ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤].

خرج صالح بن كَيسان إلى الحج ، وكان يقرأ القرآن ، فربما ختم القرآن مرتين في ليلة ، وكان عطاء بن السائب يختم في كل ليلتين [١].

ومنهم من كان يختم ثلاث ختمات في ليلة واحدة ، كسُليم بن عِتر التُّجيبي (ت٧٥ هـ) ، قاضي مصر في خلافة معاوية[٢] ، وكان له طريقة طريفة سنذكرها في اللطائف والمُلَح والأخبار ، وروي عنه أنه كان يختم في الليلة

(١) تحفة الأحوذي : ٧ / ٢٦٢ .

(٢) انظر : ((فضائل القرآن)) لابن سلام:١٨٣ ، وكان سُليم إماما فقيها واعظ مصر وقاضيها وقاصّها وعابدها ، ويدعى الناسكَ لشدة تألهه ، انظر ترجمته في النبلاء : ٤ /١٣١

أربع ختمات[1] ، وكان ابن الكاتب يختم ثماني ختمات في اليوم والليلة ، أربعا بالليل ، وأربعا بالنهار ، قال النووي : « وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة »[2].

وذكر عن بعضهم أكثر من ذلك ، وسأورد طرفا من الأخبار المروية في هذا الباب .

وإنني لفي شك من صحة كلّ خبر يذكر فيه الختم بمثل هذا العدد ، وأشرح ذلك - أعني عدم إمكانه - بمعادلة سهلة .

وهي أن ساعات اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، والقرآن ثلاثون جزءا ، وكلّ جزء في معظم طبعات المصحف مكون من عشر ورقات كلّ ورقة فيها وجهان وأقصى ما يمكن القارئ الماهر صاحب اللسان الذّلق أن يقرأ الورقة الواحدة بوجهيها في دقيقة واحدة ، فإذا كان يقرأ الورقات العشر في عشر دقائق ، والجزء عشر ورقات ، فإنه يقرأ القرآن في ثلاث مئة دقيقة ؛ لأن المصحف ثلاث مئة ورقة ، ومجموع الدقائق يساوي خمس ساعات ، فأقصى ما يمكن أن يُقرأ القرآن خمس ختمات إلا بعض ختمة ، في اليوم والليلة ، هذا إذا لم يُجعلْ في الحساب وقت للصلوات الخمس ، والنوم ، وغير ذلك من الضرورات .

وليس في الأخبار أضعف من خبر يدفعه الواقع ، ولا يصدّقه الحسّ وإنما تستقيم مثل هذه الأخبار في حال واحدة ، وهي أن تكون القراءة بالعين دون تحريك اللسان ، فهذا ممكن ووقوعه .. فإن كان الأمر كذلك ، فلا يسوغ حينئذ أن نجعله من باب القراءة التي تعبّدنا بها ، ووضع لها الأجر المعروف

---

(١) ذكره عنه النووي في التبيان : ٦٠ .

(٢) التبيان : ٦٠ .

على كلِّ حرف ، وليست أيضا من الباب الذي نبحث فيه .. وقد أخبرني من أنا في شكّ من صدقه لمعرفتي بكثرة مبالغته : أنه يقرأ القرآن كله بهذه الطريقة في ساعة واحدة .

وقد نأى البحث عن الكلام في جواز قراءته مرّاتٍ في اليوم والليلة تصل إلى هذا العدد (سبع مرات ، أو ثماني مرات) وصار البحث في جواز إمكانه ، ومن غرائب الاحتجاج ما احتج به بعضهم ، من أن داوود عليه السلام كان يختم الزبور في ساعة .. قال ابن حزم : « قرآن داوود هو الزبور ، لا هذا القرآن ، وشريعته غير شريعتنا ، و داوود عليه السلام لم يبعث إلاّ إلى قومه خاصة ، لا إلينا ، ومحمد ﷺ بعث إلينا »(١).

ويضاف إلى ذلك أننا لا ندري مقدار زبور داوود عليه السلام ، ولعله قدر سورة البقرة ، ولا ندري مقدار تلك الساعة ، فإن الساعة تطلق على الجزء من النهار أو الليل .

وفي ترجمة وكيع في سير أعلام النبلاء : أنه كان يصوم الدهر ، ويختم القرآن كلّه في ليلة ، قال الذهبي : « هذه عبادة يخضع لها ولكنها من قبل إمام من الأئمة الأثريَّةِ مفضولةٌ ، فقد صحّ نهيه عليه السلام عن صوم الدهر ، وصح عنه أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، والدين يسر ، ومتابعة السنة أولى ، فرضي الله عن وكيع ، وأين مثل وكيع(٢) ؟

فإذا كنا في شك من تصديق قراءة ثماني ختمات في اليوم واللّيلة قراءة بينة ، لا إسقاط فيها لحروف القرآن ، فنحن لما فوق ذلك مما حكي وقوعه

---

(١) المحلى : ٣ / ٥٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٧ / ٣٩ .

أشدّ رفضا ، وأشدّ إنكارا ، مثل ما ذكر : أن بعضهم كان يختم في اليوم والليلة ستَّ عشْرةَ ختمة .

ولعل بعضهم كان يعبّر عن قراءته للقرآن وختمه ؛ لأنه كان يقرأ سورة "الإخلاص" ثلاثا ؛ كما ذكر الذهبي في ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الحرّاني ، المعروف بابن القزّاز (ت ٧٠٥هـ) قال - أعني الذهبي - : أخبرني أنه تلا بمكة أزيد من ألف ختمة ، وأنه اتكأ في الحجر الأسود من جهة الميزاب فتلا فيه ختمة ، ثم قال الذهبي معلقا : لعله قرأ سورة " الإخلاص " ثلاث مرات .

فانظر كيف حمله الذهبي على قراءة سورة الإخلاص ؛ لأنه استبعد أن يمكث واقفا بضع ساعات متكئًا ، والأمر عندي محتمل الوقوع ، ولكن الذهبي أعلم به وبحاله ، فقد ذكر عنه أنه كان صاحب دعابة ونوادر [1].

وأغرب من هذا وذاك : ما حكاه الشعراني ، قال : دخل سيدي أبو العباس الحريثي يوما فجلس عندي بعد المغرب إلى أن دخل وقت العشاء ، فقرأ خمس ختمات ، وأنا أسمع فذكرت ذلك لسيّدي على المرصفي ، فقال : يا ولدي أنا قرأت ألف ختمة [2]!

وأغرب من ذلك كلّه : ما يروى عن الشيخ موسى السّدراني ، من أصحاب الشيخ أبي مدين المغربي أنه كان يختم في اليوم والليلة سبعين ألف

(١) انظر : أعيان العصر للصفدي : ٢ / ٢٣٦ ، والدرر الكامنة : ١ / ٢٦٤ .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ١ / ١٦٩ .

ختمة ، ونقل عنه أنه ابتدأ بعد تقبيل الحجر وختم في محاذاة الباب بحيث سمعه بعض الأصحاب حرفا حرفا . نقل هذا ملاّ علي القاري وغيره[(١)] .

فمن أراد أن يلغي عقله فليصدِّق مثل هذه الأخبار ، التي لم ترو عن الأئمة الأخيار ، من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل الأمصار ، كالأئمة الأربعة وأئمة التصوف المشهود لهم بالصدق والسلامة واتباع السنة .. وما نقدّر في مثل هذه الحكايات إلا أحد أمرين :

الأول : أن تكون كذبا محضا ، وضعها كذّاب .

الثاني : أن تكون من الأوهام والخاطرات التي ترد عليهم من الشياطين تلقيها على ألسنتهم ، فيصدّقها المريدون إحسانا للظن جهلا منهم بما يمكن وما لا يمكن ، وقد لقنهم أشياخهم أنّ كل شيء يقوله الشيخ لا يجوز تكذيبه .

ولهذا لما سمع الفقيه ابن العربي : أن رجلا بالمشرق يقال له : أبو عيسى التلمساني كان يختم بين اليوم والليلة اثني عشر ألف ختمة ، قال هذا في مجلسه ، وابن العربي الفقيه حاضر ، فقال الفقيه ابن العربي : لو كان يقول : القرآن ، القرآن ، القرآن ما أتمّ اثني عشر ألف مرة ، فاغتاظ من ذلك أبو يعقوب المحساني لأنه أساء الأدب معه ، وكان ذلك سبب خروجه[(٢)] .

وقد صدق رحمه الله ، فإن كل فطرة سليمة تأبى أن تقبل مثل هذا ، ولا يغرنك من يقول : إن هذا من باب طيِّ اللسان وبسط الزمان ، أي : أن الله يمدّ

---

(١) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧ / ٦٥ ، وتفسير إسماعيل حقي : ١٦/ ٢٠١ .

(٢) أورد القصة : حسين بن علي الرجراجي الشوشاري في كتابه ((الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة)) ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

له في الزمان ، فيقرأ اثني عشر ألف ختمة في اليوم والليلة ، والناس لا يشعرون بذلك ، فهو يعيش بين الناس كلّ يوم نحو عشر سنين ؛ لأن قراءة اثني عشر ألف ختمة يكون نحو عشر سنين ، إذا كان يختم في اليوم ثلاثا أو أربعا ، وهو أقصى ما يمكن المداومة عليه .. ولماذا لم نسمع مثل هذه الأقاويل تحكى عن الصحابة ، والتابعين ، وكبار الأئمة ، كأبي حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، وأحمد، وسفيان ، والأوزاعي ، والبخاري ، ومسلم ، وأمثالهم ؟

ولم ينقل أن النبي ﷺ ختم في أقل من ثلاث ، والعبرة بما وافق الهدي النبويّ .. قال ابن تيمية : ((كم من يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين ، وآخر لا ينام الليل ، وآخر لا يفطر ، وغيرهم أقلّ عبادة منهم ، وأرفع قدرا في قلوب الأمّة))[1] .

---

[1] مجموع الفتاوى : ١٦ / ٤٨ .

مــن له ختمتــان

التحزيب على ختمتين نوع آخر من أنواع التحزيب الذي ينهجه كثير من الحافظين و الحافظات و الذاكرين الله كثيرا والذّاكرات .

وكان لبعض المتقدمين ختمة ممدودة الأجل تصل إلى بضع سنوات ، أو بضعَ عشْرةَ سنة ، كأنما يقرأ في اليوم الواحد سطرا ، يردّده ، ويتغنّى به ، ويرفع به صوته ، ويبدئ في قراءته ويعيد ، ونفسه في شوق تقول : هل من مزيد ، فلا تسل حينئذ عمّا يملأ وجدانه وضميره ، وما يعتري جلده من قشعريرة ، فما هو إلا أن يطمئن القلب لذكر الله ، ويلين الجلد إلى رحمة مـولاه .. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

إذا قــرأ القرآن سالت دموعهُ ولاح على الخدّين منه خشوعُهُ
إذا اسودّ جنحُ الليلِ قام مصلّيًا وقَعْقَع من خوفِ الإلهِ ضلوعهُ

وقد ذكر الغزالي أن واحدا من السلف كان له ختمة طويلة إلى ختمته الأسبوعية مكث فيها سبع عشرة سنة .

وحكى عن بعضهم : أنه قال : لي في كلّ جمعة ختمة ، وفي كل شهر ختمة ، وفي كل سنة ختمة ، ولي ختمه منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ،

وكان يقول : أقمت نفسي مُقام الأُجَراء ، فأنا أعمل مياومة ، ومجامعة ، ومشاهرة ، ومسانهة [1] .

واقترحت على بعض إخواني من أولي العلم أن يسلك مسلكا مشابها لهذا ، وهو أنْ يكون له حزبان في يومه ، أحدهما جزء من أجزاء القرآن الثلاثين ، والآخر ورقة أو ثمن الجزء ، يكون الأول ورده على مدى الشهر ، والثاني على مدى العام يستغرق من الوقت ثلاث مئة يوم إذا كان يقرأ ورقة في مصحف المجمع وما وافقه ، أو مئتي يوم وأربعة وعشرين يوما إذا كان يقرأ كلَّ يوم ثُمُنًا ، يراعي في ذلك ثلاثة أمور : (الحفظ ، والترنّم بالآيات ، والتدبر) فوجد في ذلك لذة ، ومتعة ، وانشراحًا ؛ لأن طالب العلم يحتاج على كلا النوعين وإلى الرجوع إلى التفاسير ، ويكون من غايات هذا الحزب إتقان تفسير الآيات التي يقرؤها يومه ذاك ، فلا يمّر به عام إلا وقد ألم بمعاني مفردات القرآن وجمله ، واطَّلع على أقوال أهل التفسير ، وكان ذلك بركةً له وعليه ، وحصل على علم كثير وانشراح صدر .. وأخبرني غير واحد من الطلاب عن الحفاظ الأنصاريين ، بمالي : أنّ لهم ختمة طويلة تنتهي بشهر مقسمة على أجزاء القرآن كلَّ يوم يقرءون جزءا ، وختمة يقرءونها في أسبوع .

وأما طلبة العلم ، فأوصيهم أن يكون لهم في شهر رمضان ثلاث ختمات : إحداها للصّلاة ، والأخرى في غيرها ، والثالثة مقرونة بتفسير مختصر، أو متوسط ، وأن يفرغوا لذلك في شهرهم هذا .

---

(١) إحياء علوم الدين : ٣٥٣ ، والمراد بالمياومة : كل يوم ، والمجامعة : كل جمعة ، والمشاهرة : كل شهر ، والمسانهة : كل سنة .

ونقل ابن القيم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : دخلت علي امرأة ، وأنا أقرأ سورة هود ، فقالت : يا عبد الرحمن : هكذا تقرأ سورة هود ؟ والله إني منذ ستة أشهر ، وما فرغتُ من قراءتها(١) .

والمراوحة بين أمرين أو أكثر مريحة ، تدفع الملل ، وتقوي العزم ؛ لأن من عادة النفس أن تملّ من شيء واحد ، وذلك حين تعرف النفس أن لها أن تبدِّل ما هي عليه ، أو تجمع معه آخر ، وأما حين تعلم أنه لا طريق لها إلى شيء آخر ، ولا عوض عما أَلفته ، فإنها لا تلتفت إلى غيره ليأسها من إمكانه .

(١) زاد المعاد : ١ / ٣٤٠ .

الختم في ركعة

قرأ القرآن في ركعة واحدة بين العشاء والفجر ثُلَّةٌ من الأولين ، وثلة من الآخرين ، من عبَّاد اللّيل ، الذين يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم .. قال النووي : « وأما من يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم ، فمن المتقدمين عثمان بن عفان ، وتميم الدراي ، وسعيد بن جبير »[1].

فأمّا عثمان القانت الأوّاب فقد اشتهر ذلك عنه شهرة مستفيضة ، وأنه كان يقرأ القرآن كلّه في ركعة يوتر بها[2] ، وهو الذي قال فيه الصحابي الشاعر حسّان بن ثابت :

ضحّوا بأشمطَ عنوانُ السّجودِ به يُقطِّع الليل تسبيحًا وقرآنا

وأما تميم بن أوس الداري ، الصحابي الجليل ، الذي جمع القرآن ووعاه قلبه ، فقد كان يقرأ القرآن في ركعة ، وربما ردّد الآية الواحدة في الليل كله حتى يصبح ، كما روي عنه في ترديده لقوله سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١] وكان يستعدّ لصلاة الليل ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ، وكان يشتري الرداء بألف ليصلّي به في صلاة الليل[3] .

---

(١) التبيان : ٦٠.

(٢) انظر: سنن الترمذي : ١٠ / ٢٠٠.

(٣) انظر: الثقات لابن حبان : ٢ / ٤٠.

وأما سعيد بن جبير ، التابعي ، العابد ، الزاهد ، فقد حكي عنه أنه دخل الكعبة ، فاستقبل ناحية منها ، وكبّر ، وافتتح قراءته بأول القرآن ، فلم يصبح إلا وقد ختم القرآن في ركعة واحدة [١] .

وكذلك الإمام القانت ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، كان جبلا من جبال العبادة ، يبيت ليله يدعو ربه ، ويجافي عن مضجعه جنبه ، وكان ربما قرأ القرآن في ركعة .. قال خارجة بن مصعب : ختم القرآن في ركعة أربعة من الأئمة : عثمان ، وتميم الداري ، وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة[٢] .

وممن بعدهم : الحافظ محمد بن أحمد ، أبو أحمد ، العسال ، الأصبهاني (ت ٣٤٩هـ) أحد العلماء المخبتين ، قال الذهبي : « كان مرة مع صهره فدخل مسجدا ، وشرع في الصلاة ، فختم القرآن »[٣].

ومنهم : محمد بن عبيد الله بن محمد ، أبو الفضل ، النيسابوري ، أحد الصالحين العباد ، قال الذهبي : « كان يقرأ القرآن في ركعة أو ركعتين ، ويديم التعبد والتلاوة »[٤].

ومنهم : جعفر الحنبلي ، المعروف بالدرزيجاني ، الفقيه ، صاحب القاضي أبي يعلى ، كان يختم كلّ يوم القرآن في ركعة [٥] .

---

(١) انظر : الزهد للإمام أحمد (٢١٩٩) .

(٢) تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء : ١٦ / ١٠.

(٤) تاريخ الإسلام : رقم الترجمة (٣٠٠).

(٥) تاريخ الإسلام : ٨ / ٤١ .

تقسيم الحزب في قيام الليل

تقسيم أجزاء القرآن على الأثمان تقسيم مشهور ، ولعلّ السر في تقسيم الجزء على ثمانية أثمان أن عدد ركعات قيام النبي ﷺ في رمضان وفي غير رمضان لا تزيد على ثماني ركعات غير الوتر وشَفْعه ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة »[1] .

والأصل في ذلك يرجع إلى طريقة كلِّ واحد في تحزيبه ، فمن يختم في سبعة أيام ، ويقرأه بالسور ، فإنه يقسمه على ما ذكرناه في الختم في سبعة أيام ، وهكذا سائر أنواع التحزيب ، وأمّا اليوم فلا أعلم أحدا يراعي تحزيب السور في صلاته بالقيام في رمضان ، ولا غيره ، وإنما يسيرون على ما هو مرسوم في المصاحف من حيث الجملة ، فيقرءون في مجموع الركعات نصف جزء ، أو جزءًا ، أو غير ذلك ، ويراعون الأثمان والأرباع ، في كل ركعتين .

واصطلح مشايخ بخارى منذ القديم على الترميز في مصاحفهم بـ« ع » للركوع ، وجعلوا القرآن خمس مئة وأربعين ركوعًا ، ليقع الختم في ليلة سبع وعشرين[2] ، في كل ليلة يصلون عشرين ركعة ، في كل ليلة يقرءون جزءا كاملا؛ لأن كلَّ جزء يشتمل على عشرين ركوعًا عدا الوتر ثلاث ركعات ، وهو معروف في المصاحف المطبوعة ببخارى ، والهند ، وباكستان . وفواتح الأجزاء وخواتمها موافقة في المعظم للأجزاء المشهورة المعروفة في مصاحف المشارقة والمغاربة .

---

(١) صحيح البخاري (١٨٧٤).

(٢) ذكر ذلك السرخسي في ((المبسوط)) : ٣ / ١٧٧ .

والاختلاف بينها بالزيادة أو النقص في سبعة مواضع :

الأول : في الجزء الرابع ، يبدأ في مصاحفهم بقوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] وعند غيرهم يبدأ بقوله تعالى بعد ذلك : ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [آل عمران: ٩٣].

الثاني : الجزء السابع يبدأ عندهم بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [المائدة: ٨٣]وعند غيرهم بالآية التي قبلها : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[المائدة: ٨٢].

الثالث : الجزء الحادي عشر ، يبدأ في مصاحفهم بقوله تعالى : ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾[التوبة: ٩٤] ، وعند غيرهم بالآية التي قبلها : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾[التوبة: ٩٣].

الرابع : الجزء السادس عشر يبدأ في مصاحفهم بقوله سبحانه : ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ [الكهف: ٧٩] وعند غيرهم من قوله سبحانه قيل ذلك : ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ [الكهف: ٧٥].

الخامس : الجزء العشرون يبدأ في مصاحفهم بقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [النمل: ٦٠] ، وفي مصاحف غيرهم يبدأ بقوله تعالى قبل ذلك : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ٥٦].

السادس : الجزء الذي بعده (الحادي والعشرون) يبدأ في مصاحفهم بقوله سبحانه : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، وعند غيرهم: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

السابع : الجزء الثالث والعشرون يبدأ في مصاحفهم بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [يس: ٢٢] ، وعند غيرهم بقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يس: ٢٨].

والاختلاف يعود إلى اختلافهم في عدّ الحروف ، وربما بلغ العدد المطلوب منتصف الآية ، فإما أن يجعلوا ابتداء الجزء في أول الآية أو التي بعدها ، وقد يراعون الأقرب وقد يراعون المعنى ، ويغتفرون ما زاد ، وفي الجزء السابع لم يراعوا المعنى لطول الآية فاختاروا الآية التي بعدها ، والأولى ما راعته المصاحف الأخرى وهو الابتداء بـ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً ﴾ [المائدة: ٨٢] ؛ لأن ما بعده متعلق بما قبله تعلقًا واضحا .

ولكن اختيارهم لأول الجزء الحادي عشر أوفق والسادس عشر ، وكذلك الجزء والعشرون ، والحادي والعشرون .

والقصد أن تقسيم الأجزاء في القرآن كان بمثل هذا الاعتبار ، والقول الأسدّ في هذه أن يجعل المرء لنفسه حزبا يقرأه في صلاته ، ويقسمه على ركعات كيفما اتفق له ، فقد يطيل في الأولى ويقصر في الثانية ، وهكذا ، وقد يعرض له ما يجعله يركع بعد قراءة الفاتحة بآيات قليلة .. وأكثر ما يعنى به أئمة التراويح هذه الأيام مراعاة آخر الحزب الذي أراد الصلاة به إمامًا ، ومنهم من

يراعي مع ذلك آخر ما يقرأه في الركعة الثانية ، ويلتزم الإمام بحزبه ، لاسيما إن كان يشاركه إمام آخر يقاسمه الصلاة أربعا أربعا ، أو خمسًا خمسًا ، أو عشر ركعات ، عشر ركعات ، هذا هو العدد الذي ينتهي إليه الناس اليوم في إمامتهم بمساجدهم فيما أعلم .

ومن كان يصلّي ثماني ركعات ويقرأ جزءا من القرآن قرأ في كل ركعة ثمنا ؛ لأن الجزء ثمانية أثمان معروفة مقسمة في المصاحف ، ويسمَّى في بعضها ربع الحزب .. والقرآن كله يشتمل على مئتي ثمن وأربعين ثمنا .

الختم بالقراءات

تحزيب القرآن بروايات رواة القرّاء السبعة، أو العشرة يعمد إليه بعض المتقنين؛ لتثبيت القراءات ، وتقوية المهارة ، بها يختم القارئ في كل شهر ، أو نصفه ، أو ثلثه ، أو في أدنى من ذلك ، أو أكثر ختمةً واحدةً ، لقارئ من القراء السبعة ، أو العشرة بروايتيه ، أو برواية واحدة له ، كرواية قالون عن نافع ، وورش عن نافع أيضا ، أو رواية شعبة ، أو حفص عن عاصم ، أو رواية الدوري عن أبي عمرو ، أو عن الكسائي ، حتى يتم قراءة جميع القراء برواياتهم.

وفي تراجم القراء من ذكر عنه ذلك ، ومنهم المقرئ الكبير الشيخ محمد بن حكم باقشير قال عنه المحبي في كتابه « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » : كان هو وتلميذه عبد الرحمن بن شيخ العيدروس ، الشهير بسقاف ، يختمان القرآن كلّ أسبوع ختمة ، لشيخ من القراء السبعة[1].

وأعرف من المعاصرين من فعل ذلك ، ولم يتخذه منهجا ، ولكنه قرأ بذلك مرة ، أو مرّات .. وأخبرت عن بعض المقرئين أنه يختم كلّ شهر للقراء العشرة ، يقرأ في كل ثلاثة أيام بقراءة قارئ من العشرة بروايتيه ابتداء من نافع وانتهاء بخلف العاشر ، وهو على ذلك دائم ، وبعمله قائم ، إذا حلّ وارتحل ، لا يفتر ولا يملّ .

وتقسيمه بالسور ، أو بالأجزاء ، على مقتضى ما يختاره من الوقت ، فإن كان يختم لكل راوي في ثلاثة أيام من العشرة ، فسوف يختم في ستين يوما عشرين ختمة لكل راو ختمة ؛ لأن عدد رواة القراء العشرة عشرون .. وممن هو على هذا النهج من المعاصرين ، المقرئ فتح محمد (ت ١٤٠٧هـ) من مشايخ

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : ٢ / ٦٤ .

باكستان . والختم حينئذ على طريقة التحزيب الذي ذكرناه في الختم في ثلاثة أيام .. وهكذا.

وكذلك الشيخ المقرئ محمد عبد الحميد عبد الله خليل ، من القراء المعاصرين ، أخبرني أحد تلاميذه عنه أنه يختم كلَّ شهر للقراء العشرة في صلاته بالليل أو قراءته المجرّدة ، في كل ثلاثة أيام لقارئ منهم براوييه .

وهذه الطريقة يختارها من لا يشتغل بشيء سوى القراءة في الغالب .. والمداومة عليها شاقة إلا على من بلغ مبلغا في الإتقان والمهارة .. ولا أرى أن يأخذ بها المقرئ المشتغل بالعلوم والإقراء ؛ لأن التعبّد كاف بقراءة القرآن على القراءة التي وعاها أوّلاً ، ولا يحتاج معها إلى اشتغال باستحضار وجه القراءة المخالف ، فإن في ذلك ما يُشغل عن التدبّر ، ويصرف عنه إلى ضبط الحروف المختلف فيها ، وأما إن كان يفعل ذلك للتثبيت ، وزيادة الإتقان ، فإن اشتغاله بالإقراء ، وسماعه لطلابه ، وعرضهم عليه القراءات بوجوهها ، واختلاف أحرفها كاف ، وعامة من أدركناه من القرّاء يكتفي بذلك ، ويقرأ القرآن تعبدا ومراجعة على الرواية التي حفظها أولاً قبل جميع القراء ، كرواية حفص ، وقالون ، وورش ، والدوري عن أبي عمرو ، وهذه الروايات الأربع هي التي يقرأ بها عامة المسلمين في هذا العصر ، ولا أعلم أحدا في هذه الأرض نشأ في مجتمع يقرأ برواية ليست واحدة من الروايات الأربع المذكورة ، وأما الخاصّة - وهم القراء - فقراءتهم لغير هؤلاء معلومة في تعلّمهم وتعليمهم .

وفي « ذيل طبقات الحنابلة » في ترجمة يوسف بن جامع أبي البركات الضرير (ت ٦٨٢هـ ببغداد) أنه قرأ للسبعة في ثمانية أيام ، على القاسم بن أحمد .

وهذا من باب آخر.

ومعظم من عرفت من القراء المعاصرين يقرءون في أورادهم برواية واحدة ، هي رواية حفص في الغالب ، منهم من يختم في أسبوع ، ومنهم من يختم في شهر ، ومنهم من يكتفي بسماع قراءة طلابه .

هكذا أخبرني عدد منهم ، بل قال لي بعض القراء الشاميين : إنه لكثرة من يقرأ لديه من التلاميذ ويعرض لديه القراءات يكتفي بسماعهم عن قراءة حزبه ، وقد يصل مجموع ما يسمعه منهم إلى عشرة أجزاء أو أكثر .

رأي آخــــر

يرى بعض أهل العلم أن الأولى أن لا يقسَّم القرآن على الأيام ، بحيث يكون لكل يوم جزء مقسوم ، بل يقرأ القارئ ما تيسر له في يومه ذاك ، على أن يكون له ختم في كل أسبوع أو عشرة أيام ، أو شهر ، أو غير ذلك.

وفي الفوائد الجميلة : « وأما هل يقسط القرآن على الليالي أم لا ؟ فقيل : لا يقسط ، وإنما المستحبّ أن يقرأه في سبع ليال من غير تقسيط ، بل يقرأ في كـل ليلة ما أراد ، وهذا هو الظاهر[١] من كـلام أبي محمد[٢] في الرسالة [٣] ».

والذي أراه أن يلزم المرء نفسه بورد محدّد لا ينقص منه إلا لضرورة ، ما دام قد التزم بختمه في أيام معدودة ، حتى لا يجتمع عليه نواقص كثيرة ، فيثقل عليه ذلك ، فينقطع عن غايته التي أراد ، فإن شغله يومه ذاك شيء عن إتمام حزبه ، فيقرأه في اليوم التالي ، وليس عليه من بأس أن يجعل يوم قضائه لحزبه خالصا له دون أن يجمع معه حزب يومه ، فليس ورده كتابا موقوتا ، يجب عليه الأداء فيه ، وإنما هو أمر تطوع به ما لم يشق عليه ، ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم .

(١) أي : في مذهب مالك .

(٢) أبو محمد ، عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ) ، والرسالة : كتابه المشهور في الفقه المالكي يقال : صنفه وعمره سبعة عشر عامًا ووقع التنافس في اقتنائها حتى كتب بماء الذهب ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكيّة رقم الترجمة ٢٢٧ .

(٣) الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة : ٢٣١ – ٢٣٢ .

الحدّ الأدنى في القراءة في اليوم

الأصل في ذلك أن يقرأ المرء ما تيسّر له ، قال عز وجل : ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[المزمل: ٢٠] ، قال المفسرون : ثلاث آيات فصاعدا ، ويقال : كأقصر سورة في القرآن ، وفي البخاري : قال سفيان - هو ابن عيينة - قال لي ابن شبرمة : كم يكفي الرجل من القرآن ؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات ، فقلت : لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقلَّ من ثلاث آيات[١] .

وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »[٢] . قيل معناه : كفتاه عن قيام الليل والقراءة ، وقيل : كفتاه المكروه ، وثبت عن النبي ﷺ الحث على قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وهي أربع آيات ، ولكن غيرها في الفضل لا يعدل فضلها ؛ لأنها تعدل ثلث القرآن ، فالحث عليها من أجل فضلها .. وقد وردت أحاديث في فضل قراءة عشر آيات ، وقراءة مئة ، وقراءة مئتين ، وقراءة أربع مئة ، إلى ألفي آية ، ومن ذلك ما أخرجه الطبراني عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مئة آية كتب له قنوت ليلة ، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين ، ومن قرأ أربع مئة آية كتب من العابدين ، ومن قرأ ست مئة آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثمان مئة آية كتب من المخبتين ،

(١) صحيح البخاري في سياق الحديث الآتي .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦٣) واللفظ له ، ومسلم (١٣٤١) وغيره .

ومن قرأ ألف آية كتب له قنطاران من نور ، ومن قرأ ألفي آية كان من الموجبين »[1] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين ، ومن قام بمائتي آية كتب من الفائزين »[2].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ في ليلة خمس مئة آية إلى ألف آية أصبح وله قنطار من الأجر ، القيراط من القنطار مثل التلّ العظيم »[3].

وأما أكثر ما ورد في ذلك عن النبي ﷺ : فقراءة نحو ثلث القرآن ، كما روى أنس ﷺ : أن النبي ﷺ وجد ذات ليلة شيئا ، فلما أصبح ، قيل : يا رسول الله - ﷺ - إن أثر الوجع عليك لبيّن ، قال : « أما إني بحمد الله على ما ترون قد قرأت الليلة السبع الطول »[4] .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٤٩) بإسناد ضعيف وفي مسند أحمد (١٦٣٤٥) عن تميم الداري مرفوعا ((من قرأ بمئة آية في ليلة كتب له قيام ليلة)) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٦٧٨) وفي اسناده ضعف .

(٣) رواه الدارمي (٣٤٤٨) و (٣٤٥٦) ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٨) : ((رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ، والغالب عليه الضعف)) .

(٤) رواه ابن حبان (٣٢٠) وابن خزيمة : (١٠٧٣) والحاكم ١ / ٤٥١.

من نسى حزبه أو نام عنه

إذا نام المسلم عن حزبه الذي اعتاد على قراءته أو بقي عليه بعضه فقد أرشده النبي ﷺ إلى قضائه في اليوم التالي ، قال عليه السلام : « من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه بالليل »(١) ويلحق به الناسي ، ومن شغل عن حزبه أو شيء منه .. وفي الحديث دليل على أن قراءة الحزب في الليل أفضل من قراءته في النهار؛ لأن قول النبي ﷺ : « كتب له كأنما قرأه بالليل » يدل على ذلك دلاله واضحة ؛ لأنه جعل الأجر مثل أجره لو قرأه بالليل ، ولا يكون ذلك في مثل هذا السياق إلا إذا كان الأجر بالليل أكبر ، ويمتنع أن يكون أقل أو مساويا ببديهة العقل .

وعن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو أسيد رضي الله عنه : « نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت ، فلما أصبحت استرجعت ، وكان وردي سورة البقرة ، فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني »(٢).. وعن إبراهيم النخعي ، وقال : « كان أحدهم إذا بقي عليه من حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار ، أو قرأه من ليلة أخرى وربما زاد أحدهم »(٣) ، والغالب في المراد بالحزب في كلام السلف إطلاقه على الورد من القرآن في الصلاة .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) المجالسة وجواهر العلم ، لأبي بكر الدينوري ، برقم ٢٩٦٠ .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد : ٩٥ .

هل الاستماع كالقراءة ؟

أثنى المولى سبحانه على من تتلى عليه آياته ، وخشع لها قلبه ، ولم يذكر البكاء والخشوع وزيادة الإيمان حين أثنى على التّالين والقارئين ، بل ذكره في مقام الثناء على المستمعين ، كقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢] وقوله : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ [المائدة: ٨٣] وقوله : ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩] وقوله : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] وقال في الذين يتلونه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١] وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩] إلى آخر الآيات .

فلو قال قائل : إن الاستماع أفضل من القراءة لكان له في هذه الآيات مستمسك يحتج به .. وأخرج الإمام أحمد في مسند من حديث الحسن عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « من استمع إلى آية من كتاب الله كُتبت له حسنةٌ مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة »[1].

(١) المسند : ٢ / ٣٤١ ، قال العراقي في تخريج الإحياء ١ / ٢٨١ : فيه ضعف وانقطاع .. وليس فيه دليل على تفضيل الاستماع على القراءة .

وقال النبي ﷺ لابن مسعود : « إني أحب أن أسمعه من غيري »[1].

ومن كان لا يمكنه التلاوة ، أو أحب أن يَسمعَ القرآن من غيره ، وجعل ذلك ورده فحسبن ، إلا أننا لا نجزم أن له أجرَ التلاوة ، وقد يكون له من الأجر مثلَه أو أقلَّ ، وقد يكون أكثر إذا كان انتفاعه أكثر ، ومعلوم أنّ انتفاع السامع في الغالب أشد من انتفاع القارئ ، لخلو ذهنه من كل شيء إلا من تدبّر ما يسمع ؛ إذ لا يشغله معاناة حفظ ولا نطق ولا مدافعة رياء ولا تعب صوت ، والمرء يتأثر بتلاوة غيره أكثر من قراءته لنفسه ، وقد وصف القرآن السامعين بالخشوع، ووجل القلوب ، وذرف الدموع في غير ما آية ، ولم يصفهم بشيء من ذلك حال التلاوة .

ومع ذلك كله فإننا نرى لمن يستطيع القراءة أن يكون ورده متلوا ، وأن يستمع بعد ذلك ما شاء .

ولا شك أن الاستماعَ له أثر على القلب أكبرُ من أثر التلاوة ؛ لأن المستمع أكثر جمعيةً للقلب وأبعد عن الصوارف ، والتالي مشتغل بالنطق والحفظ إن كان يقرأ من حفظه ، وبالجهر ، وملاحظة من يستمع إليه ، وربَّما أعجبه صوته .

فالفضل يعود - إذن - إلى حال القارئ ، أو المستمع ، فإن كان حال القارئ أتمّ في خشوعه وتدّبره وحضور قلبه فهو أفضل ، فإن فُرض استواء الحالين - حال المستمع وحال القارئ - فالقراءة حينئذ أفضل ؛ لأن فيها عملا زائدا ، وهو تحريك اللسان والنطق بالحروف ، وله بكل حرف ينطق به عشر حسنات .

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٠٦) ومسلم (١٩٠٣).

قراءة السِّرّ و قراءة الجهر

القارءون للقرآن لهم بكل حرف عشر حسنات ، سواء منهم من أسر القول ومن جهر به .. هذا من حيث القراءة مطلقا ، وتزيد قراءة السر أجرًا خاصًا وميزة زائدة ؛ لما رواه عقبة بن عامر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصَّدقة »[1] .

فقد فرّق الحديث بين قراءة السرِّ وقراءة الجهر بتشبيههما بصدقة السِّرِّ وصدقة العلانية ، وصدقة السّر خير من صدقة العلانية ، قال عز وجل : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

والأصل في العبادات المستحبّة أن الإسرار بها أفضل من الجهر ما لم يكن المقام يدعو إلى الإعلان للحث وطلب الاقتداء ، وحين يأمن المرء على نفسه ما يشوش على إخلاصه ويأمن غائلة العجب ، وأحوال الناس في هذا تختلف باختلافهم .

(١) أخرجه أبو داوود ، حديث (١٣٢٣) في كتاب الصلاة ، النسائي في كتاب الزكاة : ٥/٨٠ ، والترمذي ، حديث (٢٩٢٠) وأحمد في مسنده : ٤ / ١٥١ وابن ماجه ، حديث (١٧٩١) ، وصححه الألباني .

وقد كان النبي ﷺ يجهر بقراءته بالليل ويسرّ ، وكانت تُسمعُ قراءته ، كما روت ذلك أم هاني ، قالت : كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ بالليل وأنا على عريشي[١] .

وحينما سئلت عائشة - رضي الله عنها - : كيف كانت قراءة النبي ﷺ بالليل ؟ أكان يجهر أو يسرّ ؟ قالت : كُلاً كان يفعل ، ربما جهر وربّما أسرّ[٢] .

قال القرطبي : « وإنما كان ذلك لأن القراءة إذا طالت ، فالجمع فيها بين الجهر والمخافتة أعون على الدوام ؛ لأن المُسِرَّ يملُّ فيما يُسِرّ ، فيأنس بالجهر ، والجاهر يكَلُّ ، فيستريح بالأسرار ، إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر ، وأسر بالأقل ، وإذا قرأ نهارًا أسرَّ بالأكثر وجهر بالأقل ، إذا كان النبي ﷺ يسر بالقراءة ، وربما يسمع الآية والآيتين أحيانًا ، ثبت ذلك في « صحيح مسلم » ، من حديث أبي قتادة ، عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في الركعتين في الظهر في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، وكان يُطَوِّل في الأولى ، ويُقَصِّر في الثانية ، ويُسمعنا الآية أحيانًا[٣] .

وإذا قرأ بالنهار في بيت ، أو مسجد ، أو موضع لا لغو فيه ، ولم يكن في صلاة ، رفع صوته بالقراءة ، فإن قرأ بالليل في جمع قد رفعت فيه

---

(١) رواه أحمد في مسنده : ٦ / ٣٤٢ ، والنسائي : ٢ / ٧٨ برقم (١٦٤٥) ، باب رفع الصوت بالقرآن.

(٢) رواه أحمد في المسند : ٦ / ٧٣ ، والترمذي ، حديث (١٣٤٩) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٠) ومسلم (٦٨٥) وفيه ((يقرأ في الركعتين من الظهر والعصر))، والاقتصار على الظهر تفرد به ابن ماجه (٨٢١).

الأصوات ، وكان يعلم أنه إن جهر لم ينصت له ، فلا ينبغي له أن يقرأ إلا سرًّا ، والله أعلم »[١].

هذا ما قاله القرطبي ، غير أن النصوص والفوائد التي في قراءة الجهر أبين وأتم ، فقد ثبت في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن »[٢] .

وقال ابن عباس لرجل علم أنه يسرع في قراءته : « اقرأ قراءة تسمعها أذنك ويعيها قلبك »[٣] .

والقراءة حينما تكون جهرا يشترك معها الوجدان بجنوده السَّمع واللسان والجنان ، فالذي يقرأ ويجهر يتلو ويسمع ، والذي يقرأ سرًّا لا يكون له ذلك .

ولهذا قال ابن أبي ليلى : « إذا قرأت فأَسمِعْ أذنيك ، فإن القلب عِدْلٌ بين اللسان والأذن »[٤] ، وقال الشعبي : « الّلسان عِدلٌ على الأذن والقلب فاقرأه قراءة تسمعها أذنك ، ويفهمها قلبك »[٥] .

ولو لم يكن من فوائد الجهر إلاّ إيقاظُ القلب ، ونفضُ جلبابِ الكسل ، وتطريةُ النفس بالترنم بالآيات ، وتحسين الصوت ، وإسماع الملائكة الكرام الكاتبين ، والحافظين ، وملائكة رحمة رب العالمين ، ودحر المردة والشياطين،

---

(١) التذكار : ١٤٠ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧١٠٥) ومسلم (٧٩٢) .

(٣) المستطرف للأشيهي : ١ / ١٨ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٢٧٥٩) .

(٥) المستطرف في كل من مستظرف : ١ / ١٨ .

لكان ذلك كافيا في ترجيح قراءة الجهر على قراءة السر ، والتوسط في ذلك هو المحمود ، لاسيما إذا كان الإنسان في صلاة وحده ، وقال الله عز وجل :﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[الإسراء: ١١٠] وقد مرّ النبيّ ﷺ بأبي بكر وهو يصلي يخفض من صوته ، ومرَّ بعمر وهو يصلي رافعا صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ ، قال لأبي بكر : « يا أبا بكر : مررت بك وأنت تصلّي تخفض من صوتك ؟ » فقال : قد أسمعت من ناجيت ، وقال لعمر : « مررت بك وأنت تصلّي ترفع صوتك ؟ » فقال : يا رسول الله ، أوقظ الوسنان ، واطرد الشيطان ، فقال النبي ﷺ : « يا أبا بكر ، ارفع من صوتك شيئا ، وقال لعمر : اخفض من صوتك شيئا »[1] .

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (١١١٦) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وكذلك الألباني في صفة الصلاة ص ١٠٨ ، وأخرجه ابن حبان (٧٣٤) وابن خزيمة (١٠٩٩) .

هل الأفضل القراءة في المصحف أم القراءة عن ظهر قلب ؟

المنقول عن كثير من علماء الأسلاف فضل القراءة في المصحف على القراءة عن ظهر قلب ، قال النووي : « ولم أر فيه خلافا »[(١)] .

ولهم في ذلك دليلان ، أثري ، ونظري .

فأما دليل الأثر فالحديث المرفوع : « فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة »[(٢)] .

غير أنه ضعيف عند الأئمة النقاد ، ضعفه ابن كثير وابن حجر ، وغيرهما .

ولا يستقيم الاحتجاج به مع ضعفه حتى عند من يرى الاحتجاج بمثله في فضائل العمل ؛ لأنه فضل مشتمل على حكم يعين واحدا من الأمرين أيهما أفضل ، وهو أعظم من كثير من مسائل الترغيب والترهيب .

ومن ذلك حديث أوس الثقفي مرفوعا : « قراءة الرجل في غير المصحف بألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة »[(٣)].

---

(١) التبيان: ١ / ١٠٠ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في ((فضائل القرآن)) : ٤٦ ، قال الحافظ في الفتح (٩٧/٩) : إسناده ضعيف .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٩٩) ، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٦) .

وهذا ضعيف أيضًا [١] ، ولم يكن القرآن يسمى مصحفًا في عهد النبوة ، وأول من سماه المصحف : أبو بكر ﷺ [٢] .

ومن ذلك ، ما روي عن ابن مسعود أنه قال : « أديموا النظر في المصحف »[٣] .

وليس فيه إلا الحث على النظر إلى المصحف والمداومة على ذلك .

ويحتمل الحث على الحفظ والرجوع إلى المصحف لتثبيته .

وبما روي عنه : أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف ، فقرءوا ، وفسّر لهم .

وليس فيه دليل على تفضيل القراءة في المصحف ؛ لأنه ليس فيه أنهم كانوا يحفظون القرآن ، والمقام أيضًا مقام تفسير ، يجد المفسّر والمتلقي في النظر إلى المصحف عونًا على الفهم والاستحضار ، ويكفيهم المصحف عن الانشغال بالحفظ وتذكر الآيات .

واحتجوا بما روي عن عمر أنه كان إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه .

وهذا أيضًا لا دليل فيه ولا دلالة ، وإنما هو خبر كخبر من يقول : إنه كان إذا دخل البيت قرأ القرآن عن ظهر قلب ، فلا يفيد تفضيلاً ، كما لا يفيد ذلك تفضيلا.

---

(١) انظر: فيض القدير : ٦٧٢/٤.

(٢) انظر : نزهة المجالس ٤١/١ .

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (٨٦٤٦).

واحتجوا بما روي عن ابن عمر قال : « إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ » ، وهذا مثل الذي قبله ، وليس فيه دليل أنه كان يخاطب من يستظهر القرآن .

وبما رواه الأعمش عن خيثمة قال : «دخلت على ابن عمرو وهو يقرأ في المصحف ، فقال : هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة »[1].

والكلام في هذا كالكلام فيما قبله .. ولا يتم الاستدلال بهذه الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم على أفضلية القراءة في المصحف إلا إذا تحقق أمران :

أحدهما : أن من كان يقرأ في المصحف كان حافظا لما يقرأ .

الثاني : أنه عدل عن القراءة عن ظهر قلب لاعتقاده فضل القراءة في المصحف على القراءة عن ظهر قلب .

هذا إن صحت أسانيد تلك الآثار ، وثبتت عن أصحابها ، وهي - مع ذلك لو صحت - لا ترقى إلى إلزام المخالف بها ؛ لأن ما لم يكن منها مرفوعا إلى النبي ﷺ لا حجة فيه ملزمة يأثم فيها من خالفها .

والذي يفهم من تلك الآثار هو الإرشاد إلى الرجوع إلى المصحف وعدم تعطيله ، والاستثبات منه ، وأن ذلك آكد وأقوى وأسلم من الغلط .

فإن قيل : إن النظر في المصحف عبادة مستقلّة ، وهي أمر زائد على القراءة ، وقد حكى الطبري أن السلف كانوا يرون القراءة في المصحف من

---

(١) هذه الآثار ساقها ابن كثير في فضائل القرآن : ٢١٠/٢١١ .

العبادة [1] ، والقارئ في المصحف يجمع فعل الجارحتين ، العين واللسان ، والأجر يتعدد بتعدد الأفعال ، وهذا هو الدليل النظري .

فالجواب عليه أن النظر بالعين إن كان باعثا على التفكير والتدبر وتصور معاني ما يقرأ ويرى ، فهذه غاية تحصل لمن يقرأ القرآن عن ظهر قلب ، وربما كان القارئ عن ظهر قلب أقوم وأكثر جمعية للقلب ممن يقرأه في المصحف وينشغل بهيئات الحروف والرسم والضبط وعلاماته ، لاسيما المصاحف المزخرفة .. وممن حكي عنه القراءة في المصحف الإمام مالك بن أنس ، والإمام أحمد بن حنبل .

وحكاه الغزالي عن عثمان وكثير من الصحابة ، وأنهم كانوا يكرهون أن يمضي يوم لم ينظروا فيه إلى المصحف ، وحكى عن الشافعي : أنه قال لمن دخل عليه من الفقهاء في السحر وبين يديه المصحف : « شغلكم الفكر عن القرآن ، إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يديَّ ، فما أطبقه حتى أصبح »[2].

والذي يظهر في هذه المسألة أن الأمر يعود إلى القارئ وحاله ، فحيث كان أنفع له في التدبر والتأمل ووجل القلب فهو الأولى في حقه[3].. وقد سألت عددا من الحفاظ ، فوجدت من يقول : إنه إذا قرأ في المصحف شَرد ذهنُه ،

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٤١٩.

(٢) إحياء علوم الدين : ٣٤٩ .

(٣) وجدتُ للإمام النووي رحمه الله كلاما يؤيّد هذا المعنى بعد كتابتي لما سبق ، ولم يجزم به ، بعد أن حكى أنه لم يجد خلافا بين العلماء في ترجيح القراءة من المصحف ، نقله عنه السيوطي في الإتقان : ١ / ٣٠٤ .

وتفرق حضور القلب عنده ، ووجدت من يقول : إنه إذا قرأ عن ظهر قلب اشتغل ذهنه بمراعاة الحفظ والاهتمام بتجنب الغلط ، ويجد في نفسه من الطمأنينة والثقة مالا يجده في الحال الأولى .. وكان حمزة الزيات ، أحد القراء السبعة يقول : نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري .

ولهذا اختار العزّ ابن عبد السلام أنّ القراءة من الحفظ أفضل مطلقا ؛ لأن فيه من التدبّر مالا يحصل بالقراءة في المصحف[1] .

فالأمر يعود - إذن - إلى حال القارئ ، والفضل يدور مع انتفاع القارئ، فحيثما كان الانتفاع بالتدبّر والخشوع وحضور القلب كان الفضل .

ومعلوم أن صاحب الحفظ الضعيف لا ينتفع بقراءته عن ظهر قلب كما ينتفع القارئ في المصحف ؛ لأنه مشغول بحفظه وضبطه ، وذهنه منصرف إلى ذلك ، فأنى له أن يتدبر وذهنه مشغول باستدعاء ما نسيه ، وما يخشى من تفلّته؟

وأما الحافظ الضابط فلا يشوِّش عليه شيء من ذلك .

(١) انظر : الإتقان : ١ / ٣٠٥ .

تكرار الآيات والسور

تكرار الآية والآيات للحفظ والمراجعة أمر معروف اعتاده النّاس .. وبحثنا - هنا - في التكرار الذي يكون للتدبر ، واستكشاف المعاني ، والاستلذاذ ، وجلب الخشية ، والخضوع ، ونداء القلب ليواطئ اللسان في المناجاة والذكر ، وللتكرار معنى ليس في غيره ، ولهذا نكرر التسبيح في الركوع والسجود ، ونكرر التحميد والتكبير والتسبيح بعدها ، وأمرنا في الرقية أن يقول المرء : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » سبع مرات ..

والأصل في تكرار القرآن تعبدا ما روي أن النبي ﷺ قام ليلة بآية واحدة ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨] يردّدها حتى أصبح[١] .

وثبت في البخاري وغيره أنَّ رجلا سمع رجلا آخر يقرأ : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } يردّدها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ ، فذكر له ذلك ، وكان الرجل يتقالّها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »[٢].

وروى الحاكم عن أبي ذر أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: ٢ - ٣] فما زال يكرّرها حتى نعست ، ثم قال : « لو أن الناس أخذوا بها لكفتهم »[٣] .

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٦٦) والحاكم في مستدركه (٨٧٩) وصححه الذهبي .

(٢) صحيح البخاري : (٤٦٢٧).

(٣) المستدرك : (٣٧٧٨) .

وعن تميم الداريّ أنه قام ليلة بسورة الجاثية فلما بلغ قوله سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية:٢١] لم يزل يردّدها حتى أصبح.

وعن ابن مسعود أنه صلى ليلة ، ولم يزل يردد : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] حتى أصبح .

وقامت أسماء بنت أبي بكر بسورة الطور ، فلما انتهت إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧] مكثت تكررها حتى ذهب الذاهب إلى السوق ، ورجع وهي على ذلك .

وتكرار هذه الآية مرويّ عن أبي حنيفة أيضا.

وعن مقاتل : قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات: ٢٤] فجعل يكررها ، ولا يستطيع تجاوزها .

وورد عنه مثل ذلك في قوله عز وجل : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣].

وقال سعيد بن عبيد : رأيت سعيد بن جبير يؤم الناس في رمضان يردّد هذه الآية : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [غافر: ٧١] وقال القاسم بن أبي أيوب : سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وروي عنه مثل ذلك في سورة الانفطار .

وحكي عن أبي إسماعيل الداراني أنه قال : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليالٍ ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

وكذلك روي عنه ترديده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانفطار: ٦].

وقال القاسم بن معن : قام أبو حنيفة بهذه الآية : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦] يرددها ويبكي ويتضرع .

وأما التكرار في السور ، فقد مضى ما ورد في سورة الإخلاص ، وعن بعض السلف : أنه بقي في سورة هود ستة أشهر ، يكررها ولا يفرغ من التدبر في آياتها .

وكان محمد بن واسع يجعل سورة « الغاشية » ورده ، يردّد ويبكي .

وأما تكرار السورة في الصلاة ، أو في الجُمَع والأعياد ، فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقرأ وهو على المنبر سورة " ق " يخطب بها كل جمعة .

وفي الصحيحين أنه كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة بـ{الم - تَنزِيلُ الْكِتَابِ} و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ} .

وصح عنه أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة بـ(الجمعة و المنافقين) أو (الأعلى ، والغاشية) .

وفي الوتر بـ(الأعلى ، والكافرون ، والإخلاص) .

وروي عن عثمان أنه كان كثيرا ما يقرأ في الفجر سورة يوسف ، حتى حفظها بعض من خلفه من كثرة قراءته لها .

- ومن الصالحين من مات وهو يتلو سورة الإخلاص[1].

وحكي عن كثير منهم تكرارها مرّات كثيرة جدا ، وأعرف من يكرّرها ألف مرة في اليوم ، ومن يكرر سورة يس مرات عديدة ، وسمعت عمن يكررها كلّ يوم أربعين مرّة .. وفي هذا أخبار كثيرة ، وكلها عن المتأخرين ، وأما السلف الصالح ، فلم يكن تكرارهم للذكر ، ولا اعتقاد فضل خاصّ لسورة بعينها إلا بدليل ، وإنما كان تكرارهم تدبّرا وتفكرا وخشية وخشوعا ، ولم يكن تحريكا للسان وحسب ، فهذا ذِكر الغافلين .

وأما من يذكر الله بحضور قلب ، ويغفل أحيانا ، فهذا لا يعدّ كذلك ، ولا يذم .

(١) هو إبراهيم بن يوسف الحموي ، مرآة الجنان : ٢ / ٢٠٥ .

كتابة القرآن

كتب بعض الكتبة مصحفا ، فلما انتهى من الكتابة كتب في جلد المصحف :

إني كتبتُ ختمةً حرّرتُها كما ترىٰ

لله قد نذرت ما في بطنِها محرّرا

أي : بطن الختمة ، وهو ما اشتملت عليه من آي الكتاب العزيز ، وليس لديّ دليل في أن الكاتب يأخذ أجر القارئ ، ولا أجد لذلك إلاّ هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧] .

وربما كان له أجر أكبر من أجر القارئ إذا كان يحرك لسانه بما يكتب وبقلب حاضر . . وكذلك من كتب مصحفا أو مصاحف لينتفع بها الناس ، وليكون له أجر من قرأه ؛ لأنه كان سببًا في قراءة من يقرأه وكالدّال على الخير الذي له مثل أجر فاعله . . والبحث هنا في الكتابة المجردة التي لم يقترن بها شيء آخر غير نيّة حصول الأجر والثواب .

وقد جعل أبو حامد الغزالي - رحمه الله - من يكتب مصحفا ليجود خطّه ويتمرّن على الكتابة مجروح الإخلاص[1] .

وسلامة الإخلاص وجرحه مردّها إلى النية الباعثة على العمل وصدقها.

(١) ينظر : إحياء علوم الدين : ٣ / ٤٦٧ .

وممن شهر عنه كتابة المصاحف : أبو عمرو الشيباني ، كتب مصاحف عدة ، يقال : إنه كتب نيفا وثمانين مصحفا ، كان الإمام أحمد بن حنبل يكتب عنه ويلازم مجلسه[١] .

ومنهم : ابن البواب ، أبو الحسن ، علي بن هلال ، الخطاط الشهير (ت٤١٣ هـ) كتب مصحفًا مشهورا .

ومنهم : نصر بن إبراهيم بن نصر السلطان ، شمس الملك ، صاحب ما وراء النهر ، كان من أفاضل الملوك حسن الخط ، كتب بخط يده مصحفا (ت٤٩٢ هـ)[٢].

ومنهم : جمال الدين أبو غانم محمد القاضي ، كان إذا اعتكف في رمضان كتب مصحفا (ت بعد٦٢٠ هـ)[٣] .

ومن الكرام الكاتبين مصاحف في الآفاق عدد من المتأخرين ، وفي العصر الحديث برع كتّاب كثر بلغوا الغاية في دقة الكتابة ، والحسن ، والجمال، من أشهر متأخريهم : كاتب مصحف المجمع عثمان طه ، وقبله محمد سعد إبراهيم الشهير بحداد ، ومصطفى نظيف ، وسيد إبراهيم ، ومحمد طاهر الكردي (ت ١٣٦٦هـ) كتب مصحفا وهو في الحجاز ، وكان مدرسا بمدرسة الفلاح ، وحامد الآمدي .. وغيرهم ، وكتّاب المصاحف منهم من كان يكتب تعبدًا ، ومنهم يكتب حرفة ، وتكسبه مع ذلك أو دونه ، وقد أعلى الله شأن الكتابة ، وكتب التوراة بيده .

---

(١) ينظر : معجم الأدباء : ١ / ٢٤١.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات : ٧ / ٣١٨.

(٣) ينظر: معجم الأدباء : ٢ / ٢٠٩ .

نعمة الطباعة في هذا العصر

كان القرآن في عصر النبي ﷺ مكتوبا في قطع من الحجارة وجريد النخل ، وكان المصحف مجموعةً مركومةً من الحجارة ، أو الجريد ، ثم كتب بعد ذلك في الجلود ولم يك منقوطا ولا مضبوطا بالحركات ، وكان على هيئة كبيرة ، ثم كتب على الورق ، فصار أخف حملاً ، ثم جاء عصر الطباعة ، فكُتِب بخط واضح ، في أوراق أقل ، وبأحجام متعددة ، وخطوط مختلف ألوانها .. ونحن اليوم في عصر تطبع فيه المصاحف بأحسن الخطوط وأجملها ، في أحسن تقويم ، على أحسن ورق وأنفسه ، فالحمد لله على نعمة الله ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .. وقد كان الناس إلى عهد غير بعيد يتمنى المسلم فيه أن يظفر بمصحف جيد الخط والورق والوضوح ، فلا يكاد يجده .

وعن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال : « أشتهي من الدنيا شيئين : بيتًا خاليًا ، ومصحفًا جيدَ الخط أقرأ فيه القرآن »[1] .. وكنا في أيام الصغر نجد مصاحف ممزّقة غير كاملة ، قطعت بعض أوراقها من أولها أو آخرها ، وكانت إعارة المصاحف بين الناس شائعة ؛ لأنه ليس كل أحد يملك مصحفا ، ولا يكاد يوجد في البيت لمسلم إلا مصحفٌ واحد ، يتناوب في قراءته أهل البيت ، ويَضِنُّ الوالد على ولده به ، خشية أن يتلفه ، أما اليوم فالمصاحف في البيت الواحد أكثر من عدد أهله ، وبأحجام مختلفة ، وخطوط متنوعة ، وعلى أجزاء ، وأرباع ، وأخماس ، وأسباع ، وأعشار ، وفي مجمع الملك فهد طبعت ملايين المصاحف ، وانتفع بها العالم ، وهو من أجلِّ الأعمال ، إن لم يكن أجلَّها التي عملها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ، رحمه الله .

---

(١) نقله عنه القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار : ١٧٨.

ولا شك أنَّ لجودة الخط ، ووضوحه ، وجمال الورق أثرًا عميقا في نفس القارئ ، وداعيًا له إلى الاستزادة من القراءة ، والرغبة في الإكثار منها .

رفع الصَّوتِ ببعض الآيات والجمل أثناء القراءة

أرى أنَّ رفع الصوت في بعض الآيات التي يناسبها ذلك من حسن القراءة وفقه القارئ ، وكان بعض العلماء يستحب أن يخفض الصوت فيما أخبر به عن الكافرين في نحو : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾[البقرة: ١١٦] يخفض القارئ صوته في دعواهم الكاذبة تأدبًا مع الجبار - جل جلاله - وهيبة له ، ويرفع صوته بـ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٦] إعلانا بالتنزيه ، وردّا عليهم ، وإنكارا لمقالتهم بقوة ، وهكذا في مثل قوله سبحانه : ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١].

ورفع الصوت وخفضه في القراءة شائع اليوم ، ولا يزال الأئمة في صلواتهم على ذلك ، وأكثرهم لا يراعون في خفضهم ورفعهم معنى ولا لفظا ، ولا حرج في ذلك ، ولا لوم على من لم يرفع صوته أصْلا ، فليس معنا دليل على وجوب ذلك ، بل ولا استحبابه ، وكل ذلك متروك إلى القارئ وطريقته ، إلا أننا لا نوافق من يقرأ بصوت هادئ حتى إذا جاء إلى الآيات التي تشتمل على الدعاء رفع عقيرته ، وقرأ بأعلى صوته ، فإذا كان ذلك في محض الدعاء ، كدعاء القنوت تأكد الزجر عنه .

ومن جملة ما فسِّر به الاعتداء في الدعاء في قوله تعالى : ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥] رفع الصوت

به ، وسؤال ما لا يليق ، أو ما لا يكون ، ورفع الصوت بالدعاء إذا كان الداعي وحده .

والمبالغة في رفعه إذا كان إماما مناف لنصوص الكتاب والسنة القاضية بالزجرِ عن ذلك ، ومخالف لأدب مناجاة الملك الجبار وتعظيمه ، فإن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم ، والله ملك الملوك ، وله المثل الأعلى ، ثم إنّ الذي يسأل مسألة مسكين ، والمسكين الذليل لا يرفع صوته حين يسأل ، ورفعه له ينافي فقره ومسكنته ، ثم إنّ من يرفع صوته في الدعاء ذاهل عن قرب الله منه قربًا خاصًا وسمعه له لو أخفاه أو خفض صوته به ..

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة ذكرها ابن تيمية في أول الجزء الخامس عشر من " مجموع فتاوى " . وقد وَلع أئمة المساجد اليوم بالمبالغة في رفع الصوت في دعاء القنوت حتى صار سببًا من أسباب البكاء ، وظهور الخشية ، كمثل الذي لا يخشع حين سماع القرآن إلا إذا صاحبه تحزين أو تلحين وترنيم ، فهو يخشع لورود أمر آخر ، ومؤثرات خارجية ، لا لذات القرآن ..

ومما جرت به عادة كثير من الدّاعين في قنوت الوتر التزام رفع الصوت عند قولهم : « اللهم اغفر لنا في ليلتنا هذه أجمعين » ولا يحلو الدعاء إلا بذلك ، سنّة تلقّفها الآخر تقليدا عن من سبقه اتفاقًا .. فيا أيها الأئمة : «ارْبَعوا على أنفسكم ؛ فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا » .

ونقول أيضًا : إن من يلفظ بالجمل القرآنية لفظا مناسبا دون تكلف ، ويفرّق في صوته بين الاستفهام والخبر ، والخبر والنهي ، والنداء والحث ، والوعد والوعيد ، هو بمنزلة من يقرأ ويفسر ، ويتلو ويشرح ، فلا جرم أن مثل هذا أنفع للسامع ، وأكبر تأثيرا ، وأشد وطأ وأقوم قيلا ..

وكان شيخنا محمود سيبويه - رحمه الله - يرى أن من كمال الأداء مراعاة العبارات وتفاوتها ، هو رأي موروث عن أشياخه ، لاسيما الألفاظ التي يحسبها الجاهل كلمة واحدة ، نحو : ﴿ فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] بالضغط على مخرج القاف ، وتوضيح الأمرية فيه ؛ لأن أصله « قعُوا » من « قع » فعل أمر من « وقع » ، ويقولون : هو من الوقوع لا من الفقْع ، ونحو قوله تعالى : ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[الحديد: ١٦] هو من القسوة لا من الفَقْس ونحو : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٦] يفصل بين الفاء وما بعدها بنبرة الصوت ؛ لأنه من الروغان ، لا من الفراغ .

وبالغ بعضهم في ذلك ، وظن أنه من الحذق العظيم في الأداء والقراءة، ولا أعرف ذلك عن شيخ معتبر ، وإنما ينقله الطّلاب عن بعض من قرءوا عليهم ، فأخبرني بعض الطلاب أن مِن أولئك مَن يقول : « لا بدّ من قراءة نحو : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾ [المائدة: ٢٣] ونحو : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧] بفصل الواو من « وعلى » عن « على » في نبرة الصوت لا بالسكت ، حتى لا يُتوهم أنه من الوُعولة .

فانظر إلى هذه الفطنة المنبعثة من وسواس أزْعر ، وكيف أوقع نفسه في التشبيه ، والتكلف المذموم ، وتالله إنه لم يخطر ببالي ، ولا أظن أنه خطر ببال أحد من خلق الله هذا المعنى ، وليس في المقام ما يخاف منه من أن يفهم أحد أن المراد وَعِلٌ ، أو تيس ، ولا أعلم من أين جاء بلفظ الوعولة ، والعرب لم يسمع عنها ذلك ، ومن أين أخذه ، وفي أي كتاب وجده .

وسمعت أحدهم يقول : لابد من مراعاة النطق في نحو قوله سبحانه : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] في كلمة « لَمَعَ » للفرق بين معناه وبين « لَمَعَ » من اللَّمعان ، فقلت له : من الذي سيذهب باله إلى اللمعان هنا ؟ وهل يأتي « لمع » متعدّيا ؟ ثم ما معنى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] حينئذ، إذا كان من اللمعان ؟

فهذا ومثله يبدأ بالفطانة ، وينتهي بالوسواس الملازم ، والعبث بأوقات الطلاب ، وهنالك ألفاظ كثيرة في القرآن ، هي من الألفاظ المشتركة ، أو الألفاظ التي إذا ركبت مع ألفاظ أخرى صارت في النطق على طريقة واحدة ، لو تكلف ذلك المتكلف مراعاة التفريق بينها لصار واحدا من المجانين الذين لا نجد حيلة في شفائهم ورفع الوسواس عنهم ، ولا نهتدي سبيلا إلى نزع الوسواس من صدورهم .

ومما نقل عن السلف في رفع الصوت ببعض الآيات : ما نقله أبو عبيد في أنهم كانوا يستحبون للقارئ ، إذا أتى على هذه الآية ، أو على هؤلاء الآيات ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ – ١٠٠] أن يرفع بها صوته[١] .

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (١٧٥) وهو في حلية الأولياء : ١ / ٤٣٤ .

ورفع الصوت في هذه الآيات وأمثالها للإيقاظ وتنبيه الغافل والوسنان ، ليتعظ بآيات القرآن ، ويسارع إلى الجنان والرضوان ، وأن لا يغترّ برغد الحياة ورخاء العيش ، وأن لا يحمله الطغيان على الفساد وظلم العباد ، فمن غاب عن اعتباره وإحساسه ، أمن من مكر الله وبأسه ، وذهل عن العظة والاعتبار ، وكان من الخاسرين ، وما يريد الله للناس بذلك التحذير في القرآن أن يعيشوا مفزعين قلقين ؛ يرتجفون من الهلاك والدمار أن يأخذهم في لحظة من ليل ونهار . فالفزع الدائم من المجهول ، والقلق الدائم من المستقبل ، وتوقع الدمار في كل لحظة .. قد تشلّ طاقة البشر وتشتتها ؛ وقد تنتهي بهم إلى اليأس من العمل ، والنتاج ، وتنمية الحياة ، وعمارة الأرض .. إنما يريد الله منهم اليقظة والإحساس والتقوى ، ومراقبة النفس ، والعظة بتجارب البشر ، ورؤية محركات التاريخ الإنساني ، وإدامة الاتصال بالله ، وعدم الاغترار بطراوة العيش ، ورخاء الحياة .

والله يعد الناس الأمن ، والطمأنينة ، والرضوان ، والفلاح في الدنيا والآخرة ، إذا هم أرهفوا حساسيتهم به ، وإذا هم أخلصوا العبودية له ؛ وإذا هم اتقوه ، فاتقوا كل ما يلوث الحياة . فهو يدعوهم إلى الأمن في جوار الله لا في جوار النعيم المادي المغري ، وإلى الثقة بقوة الله لا بقوتهم المادية الزائلة ، وإلى الركون إلى ما عند الله لا إلى ما يملكون من عرض الحياة [1] .

(١) ينظر : ظلال القرآن : ٣ / ١٣٤١

هل الأفضل : الترتيل وقلة القراءة أم الحدر والإسراع مع كثرة القراءة ؟

اتفق العلماء على أن من قرأ حرفا من القرآن فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ؛ لقول النبي ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[1] ، واتفقوا على أن القارئ بترتيل وبتدبر لسورة أو آية أو آيات أعظم أجرًا ممن قرأ تلك السورة بعينها ، أو الآية ، أو الآيات بعينها بإسراع ، ولكنهم اختلفوا فيمن قرأ كثيرا بإسراع ، هل هو أفضل أم الذي قرأ قليلاً بتدبر ؟ والاختلاف في ذلك قديم ، وكان ابن مسعود وابن عباس ، ﷺ ، يذهبان إلى أن الترتيل مع قلة القراءة وبتدبر أفضل ؛ لأن ذلك هو المقصود من القراءة ، وروي عن ابن عباس ﷺ : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما ، وأتدبرهما ، أحبُّ إلي من أن أقرأ القرآن هَذْرمةً ، وقال أيضًا : لأن أقرأ « إذا زلزلت » و « القارعة » أتدبرهما أحبُّ إلي من أن أقرأ البقرة ، وآل عمران تهذيرًا ، وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحدًا ، إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط ، والآخر القرآن كلّه فقال : هما في الأجر سواء ، وقد أمر الله بالترتيل وبقراءته على مكث ، وجعل الغاية من إنزاله التدبر والتذكر ، قال سبحانه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] وإنما كانت تلاوته وسيلة للعمل به ، قال ابن القيم : ثم كان أهل القرآن هم العالمين به ، العاملين به ، وأما من حفظه ، ولم يفهمه ،

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) عن عبد الله بن مسعود .

ولم يعمل به فليس من أهله ، وإن أقام حروفه إقامة السهم ، ولأن التدبر يثمر الإيمان ، ومجرد التلاوة بلا فهم يفعلها البَرُّ والفاجر ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر »[1] ، ويرى الإمام الغزالي أن الترتيل ليس مجرد التدبر ؛ لأن العجمي الذي لا يفهم القرآن يستحب له في القراءة الترتيل أيضا ؛ لأنه أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهَذْرمة والاستعجال[2] .

وفي هذا الاستدلال بما آل إليه من النظر نظر ؛ لأن الكلام في القارئ البرّ ، لا القارئ الفاجر ، فإن الفاجر لا تنفعه قراءته المرتلة ، ولو تدبّر .

ومما يستدل به أيضًا: أن النبي ﷺ كان يرتل سورة حتى تكون أطول من أطول منها .

وأما من قال : كثرة القراءة أفضل فاحتج بالحديث السابق فيمن قرأ حرفًا من كتاب الله ، وبآثار وردت عن السلف كثيرة في كثرة القراءة والختم في يوم أو يومين ، وبما روي أن عثمان ختم القرآن في ركعة .

وجُمع بين القولين بجمع حسن :

وهو أن قراءة الترتيل والتدبر أعظم أجرا وأرفع قدرًا ، كمن تصدَّق بجوهرة عظيمة ، وكثرة القراءة أكثر عددًا ، كمن تصدق بدراهم كثيرة .

---

(١) أخرجه البخاري في باب فضل القرآن على سائر الكلام برقم (٤٦٣٢) ومسلم (١٣٢٨) باب فضيلة حافظ القرآن ، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٧ وأصل الكلام السابق لابن القيم ، نقلته بتصرف كبير .

(٢) إحياء علوم الدين : ٣٤٧.

وهذا الجمع لابن القيم رحمه الله[1] .. غير أنه قد يصعب تصور الفرق بينهما ؛ لأن الأجر الكبير قد يتساوى مع الكثير ، وتكون الدراهم الكثيرة تساوي قيمة جوهرة عظيمة ، غير أننا ندرك بما عرفناه من البرِّ الذي ندبنا الله إليه ، وبما تتحرك له قلوبنا : أن المبادر إلى نفيس المال وعزيزه أعلى وأجلّ ولو قلّ ، وأن المنفق بما دون ذلك هو دون ذلك .

وإنما كانت القراءة بتدبر أجلَّ وأعظمَ ؛ لأن القارئ على هذه الحال يؤجر على نطقه بحروف القرآن ، ويؤجر على ترتيله ، ويؤجر على تدبره ، فيبلغ ذلك مبلغًا عظيما ، وفرق بين من يشرب الماء على قطرات كثيرة ، وبين من يترشَّفه جُرَعا جُرعًا .

---

(١) انظر : زاد المعاد: ١/ ٣٣٩.

هل تكره قراءة القرآن آخر النهار ؟

أورد المستغفري في كتابه « فضائل القرآن » أثرا عن أبي بكر بن أبي مريم الحمصي ، قال : سمعت ضَمْرة ، وحبيَب بن عُبيد ، وحكيم بن عمير يكرهون الدراسة من آخر النهار بالقرآن ، ويقولون : هي دراسة اليهود(١) .

وهذا الأثر مع ضعفه لا مستند له ، ولا خطام له ، ولا زمام ، وابن أبي مريم ضعيف .. وكان النبي ﷺ وأصحابه يقرءونه في كل حين ، وفي الحديث الصحيح : « ورجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار » ، ومن آناء النهار آخره ، فالأثر ضعيف سندا ومتنا .

وفي ذلك أقول :

دعْ عنك تبريح الجـوى وتَعفَّفِ .·. ودع المُدَامَ وكـلَّ قدٍّ أهيفِ

واجعل كتابَ الله صوبك لا تحِدْ .·. عنه فما شيء كمثل المصحفِ

رتله أطـراف النهـار وفي الدّجى .·. واقـرأ وقل: يا ما أحيـلاهُ بفي

بتلاوة القـرآن يرقى القـارئ الـ .·.ـمرضيُّ يوم الحشرِ أعظم موقفِ

ويكـون منـزله بآخـر آيـةٍ .·. تتلى ، وعند الله ما لم يوصفِ

وقال النووي : « وأما ما رواه ابن أبي داوود عن معاذ بن رفاعة عن مشايخه أنهم كرهوا القراءة بعد العصر - وقالوا هو دراسة يهود - فغير مقبول ، ولا أصل له »(٢) .

---

(١) فضائل القرآن لأبي العباس المستغفري : ١ / ١٩٣ .

(٢) نقله عنه السيوطي في الإتقان : ١ / ٣١٠ .

التحلّق لقراءة القرآن الكريم وقراءته جماعة

كلُّ تحلّق واجتماع لتلاوة كتاب الله ومدارسته ، سواء كان بقراءة واحدٍ والباقون يستمعون ، أو قراءة واحد بعد واحدٍ ، أو قراءة عدد منهم ، أو كلّهم بصوت واحدٍ لتقوية الأداء وللتثبيت ، أو كان ذلك بالبحث عن معانيه وتفسيره وأحكامه وحكمه ودقائق معانيه ما لم يفض إلى الجدل المذموم ، والمراء ، والرجم بالغيب ، فهو تحلّق محمود يثاب عليه أهله ، فإن كان التحلّق في بيت من بيوت الله غشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السَّكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده . وكان النبي ﷺ وأصحابه يتحلقون ، ولم يكونوا يتفرقون ، ورد في ذلك أحاديث صحاح ، بل كان ينهاهم حين يراهم أوزاعا ، وقال لهم مرة : « مالي أراكم عزين »[1] وروي عنه النهي عن التحلق قبل صلاة الجمعة[2] .

وللتحلّق للقرآن ومدارسته - لاسيما في المسجد- فوائد عظيمة ، منها: سكون في النفس ، وراحة في القلب يجدها الجالس بردا على كبده ، وينجلي به همّه ويزحزح كربه .

ومنها : تصحيح القراءة وتثبيت الحفظ ، وانكشاف المعاني بالمدارسة والمباحثة .

---

(1) صحيح مسلم (٩٩٦) عن جابر بن سمرة .

(٢) رواه ابن خزيمة (١٣٠٦) وأبو داوود (١٠٨١) والنسائي (٧٢٢) : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وحسنه الألباني.

ومنها : تقوية الهمّة والعزم ، ونشاط يجده المرء في نفسه مع إخوانه ؛ لأنه إن كان فائقا فرح بذلك ودعاه إلى المزيد ، وإن كان دون ذلك حرَّك همته إلى إدراك إخوانه ومرافقتهم .

ومنها - وهو الأعظم - : الجزاء الكبير عند الله سبحانه ، من غشيان الرحمة وغيرها .

قال ابن بطال : « أجمع العلماء على جواز التحلق والجلوس في المسجد لذكر الله وللعلم »[1].

(١) شرح ابن بطال على البخاري : ٢ / ٥٠.

بيان ما ورد من الأخبار في فضائل بعض السور

لكل سورة من القران فضل ، وفي قراءة كل حرف من حروف القران ثواب ، ولكن ليس لنا أن نحدد فضلا زائدا لسورة ، ولا لآية ، ولا لكلمة في القرآن إلا بدليل ؛ لأن كل ما يتعلق بأجر ، أو فضل لا يملك أحد من الناس أن يضيف إليه ذلك ، فالأجر و الثواب لا يعطيه إلا من يعمل العامِل من أجله ، وهو الله سبحانه .. وفي بعض كتب التفسير كتفسير ، " الكشاف " للزمخشري ، وتفسير الثعلبي ، والواحدي ، وضع مصنفوها حديثًا عند كل سورة يبين فضلا خاصا لها ، كحديث « من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة » وحديث « من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب» وحديث « من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة» وحديث « من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ » وكلها أحاديث موضوعة وضعها نوح بن أبي مريم أسندها إلى أبي بن كعب عن النبي ﷺ ، حمله جهله على وضعها ترغيبًا للناس في قراءة القران محتسبًا في ذالك الأجر والثواب ، وغفل عن جريمة تعمده الكذب على رسول الله ﷺ الذي قال : « لا تكذبوا عليَّ فإنه من كذب علي فليلِج النار »[1] وأصح ما ورد في ذلك عن النبي ﷺ في فضائل السور هو ما ورد في سورة الفاتحة ، والبقرة ، وآل عمران ، والإخلاص ، والفلق ، والناس ، والكافرون .

وإليك تفصيلاً لما ورد في فضل هذه السور :

- **فضل سورة الفاتحة :**

(١) البخاري : ١/ ١٨٥ .

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - وقرأ عليه أبيّ بن كعب أمّ القرآن - فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ، إنها السبع من المثاني - أو قال : السبع المثاني - والقرآن العظيم الذي أعطيته »[1] .

- **فضل السبع الطُّول :**

- عن واثلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ قال : « أعطيت السّبع الطُّول مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضلت بالمفصّل » .

- عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « من أخذ السبع الأول فهو حَبْر »[2].

- **فضل سورة البقرة وخواتيمها وآية الكرسي وآل عمران :**

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « صلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبورًا ، وزيّنوا أصواتكم بالقرآن ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة القرآن »[3].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٧٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٧٣ ، ٨٢) ، وقال : الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٢) رواه البزار ورجال الصحيح غير حبيب بن هند الأسلمي وهو ثقة ، والسبع الأول : (البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف) واختلف في السابعة هل هي الأنفال وحدها أم هي مع سورة التوبة ؟ أم هي سورة يونس ، ويظهر الخلاف في رواية ((السبع الطول)) .

(٣) رواه مسلم رقم (٧٨٠) ، والترمذي (٢٨٨٠) ، وأبو داوود (٢٠٤٢) .

- عن أبي أمامة الباهلي ، عن النبي ﷺ قال : « اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة »[1] .

- عن عبد الله بن رباح ، أن رسول الله ﷺ قال لأبيّ بن كعب : « أبا المنذر ! أي آية في القرآن أعظم ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : «أبا المنذر ! أي آية في القرآن أعظم ؟ » فقال : الله ورسوله أعلم . قال : « أبا المنذر ! أي آية في القرآن أعظم ؟ » فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] قال : فضرب صدره وقال : « ليَهْنِك العلمُ أبا المنذر ، [والذي نفسي بيده ، إن لها لَلِسانًا وشفتين تقدِّس الملك عند ساق العرش] »[2].

- عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام فأنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرءان في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان »[3].

- عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلّموها ، وعلّموهما نساءكم وأبناءكم ، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء »[4] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .
(٢) رواه مسلم رقم (٨١٠) في صلاة المسافرين ، وأبو داوود رقم (١٤٦٠) .
(٣) رواه الترمذي رقم (٢٢٨٥) ، والحاكم (١ / ٥٦٢) وصححه ، ووافقه الذهبي .
(٤) رواه الحاكم (٢٠٦٦) .

– عن أبي مسعود الأنصاري ، عن النبي ﷺ قال : « الآيتان من أخر سورة البقرة ، من قرأهما في ليلته كَفَتاه »[1] .

– عن أبي أمامة الباهليّ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لصاحبه ، اقرؤوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غيايتان ، أو كأنهما غمامتان ، أو كأنهما فِرْقان من طير صوافّ تحاجّان عن صاحبهما »[2] .

- **فضل سورة الإسراء والكهف ومريم وطه :**

– عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ العشر الأواخر من الكهف عُصم من فتنة الدجال »[3] .

– عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ، ثم أدرك الدّجّال لم يضرَّه ، ومن حفظ خواتيم سورة الكهف كانت له نورًا يوم القيامة »[4] .

– عن عَبْدة بن أبي لبابة قال : سمعت زِرّ بن حُبَيْش يقول : « من قرأ آخر سورة الكهف لساعةٍ يريد أن يقومها من الليل قامها ».

قال عبدة : فجربناه فوجدناه كذلك / وقال محمد بن كثير : وقد جربناه أيضا في السرايا غير مرة ، فأقوم في الساعة التي أريد . قال : وأبتدئ من

(١) صحيح البخاري (٥٠٠٩) ومسلم (١٩١٤) .
(٢) رواه مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين .
(٣) رواه مسلم (١٩١٩) وفي رواية ((من أول سورة الكهف)) .
(٤) رواه مسلم (٨٠٩) .

قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧] إلى آخرها[١] .

- وقال عبد الله بن مسعود : إن بني إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادي وهن من العِتاق الأول[٢] .

- **فضل سورة ((الم)) السجدة**

- عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ﴾ و ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾[٣].

- **ما ذكر في فضل السور المفتتحة بـ((حم)) :**

- عن ابن عباس قال : إن لكل شيء لُبابًا ، وإن لُباب القرآن آل حم ، أو قال الحواميم .

- **ما ورد في فضل { تبارك الذي بيده الملك ... } :**

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي تبارك الذي بيده الملك »[٤] .

- **فضل سورتي الزلزلة والعاديات :**

---

(١) سنن الدارمي (٣٤٠٦) وفي سنده ضعف .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري (٨٤٢) ، رواه مسلم عن ابن عباس رقم (٨٧٩) في الجمعة ، والترمذي (٥٢٠) ، وأبو داوود رقم (٩٠٨) .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٣) ، وأبو داوود رقم (١٤٠٠) ، وأحمد في المسند والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم (١ / ٥٦٥) وصححه ، ووافقه الذهبي .

– عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أقرئني شيئا من القرآن . فقال له رسول الله ﷺ : « أقرئُك من ذوات ﴿ الٓر ﴾؟ فقال : يا رسول الله إني قد كبرت سني ، واشتد قلبي ، وغلظ لساني . فقال له رسول الله ﷺ : « اقرأ من المسبحات»، فقال الرجل مثل مقالته الأولى ، وقال : يا رسول الله أقرئني سورة فاذّة جامعة . قال : فقرأ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ حتى فرغ من آخرها ، فأدبر الرجل وهو يقول : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدًا ، ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرُّويجل » مرتين[1].

– عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : «﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تعدل نصف القرآن »[2] .

- **فضل (قل يا أيها الكافرون) :**

– عن فروة بن نوفل ، عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقال : «مجيءُ ما جاء بك » قال : قلت : جئت لتعلمني كلمات أقولهن عند منامي ، فقال : « اقرأ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك »[3] .

(١) رواه أبو داوود رقم (١٣٩٩) ، وأحمد في المسند (٢ / ٦٩) ، والحاكم في المستدرك (٣ / ٥٣٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٦) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٦٦) .

(٣) رواه أبو داوود رقم (٥٠٥٥) ، والترمذي رقم (٣٤٠٠) ، وأحمد في المسند (٥ / ٤٥٦) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٦٥) وصححه ووافقه الذهبي .

– عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ تعدل بربع القرآن »[1] .

- **فضل { قل هو الله أحد ... }**

– عن أبي هريرة قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١- ٤]، فقال النبي ﷺ: « وَجَبَتْ » فسألته ماذا يا رسول الله ؟ قال : « الجنة » . قال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل ، فأبشِّره ، ثم فَرِقْتُ أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ ، فآثرت الغداء معه ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب[2] .

– عن أبي سعيد الخدري ، أن رجلا قال : يا رسول الله ! إن لي جارًا يقوم الليل فما يقرأ إلا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كأنه يقلِّلها . فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن »[3] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٥ و ٢٨٩٦) .

(٢) رواه مالك في الموطأ (١ / ٢٠٨) ، والترمذي (٢٨٩٩) في ثواب القرآن ، والنسائي (٢ / ١٧١) .

(٣) رواه البخاري (٥٠١٣) وأحمد (١١٤١٠) ومالك الموطأ (١ / ٢٠٨) ، وأبو داوود (١٤٦١) ، والنسائي (٢ / ١٧١) .

- عن أبي مسعود الأنصاري ، عن النبي ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ الله الواحد الصمد »[1] .

- **فضل المعوذتين**

- عن عقبة بن عامر الجهني قال : اتَّبعْتُ رسول الله ﷺ ، وهو راكب ، فوضعت يدي على قدمه ، فقلت : أقرئني من سورة هود ، أو من سورة يوسف . فقال : « لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ »[2] .

- عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : «أنزلت عليّ آياتٌ لم تُنزَل عليّ مثلهن قط : المعوّذتان »[3] .

(١) رواه البخاري (٥٠١٥) .

(٢) أخرجه النسائي (٩٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٤) ، والترمذي (٢٩٠٤ و ٢٩٠٥) ، وأبو داوود (١٤٦٢) ، والنسائي (٢ / ١٥٨) .

القُـرّاء من الصحـابة ﷺ

القراء من صحابة الرسول ﷺ كثير ، وهم متفاضلون فيما بينهم ، وقد أوصى النبي ﷺ صحابته أن يأخذوا القرآن من أربعة ، فقال : « خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب »(١) .

الأولان من المهاجرين ، والآخران من الأنصار .

وخطب عبد الله بن مسعود يومًا ، فقال : والله لقد أخذت من في الرسول ﷺ بضعا وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم ، قال شقيق بن سلمة " راوي الأثر " : فجلست في الحلقة أسمع ما يقولون ، فما سمعت رادًا يقول غير ذلك(٢) .

وقال أيضا عن نفسه : « والذي لا إله إلا غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه »(٣) .

وثناء ابن مسعود ﷺ على نفسه بكلامه هذا إخبارٌ بالحق تحدثا بنعمة الله ، ولا يسمّى تزكية ، ومن هذا الباب قول يوسف ﷺ للملك : ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٥].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٥٢٤) ومسلم برقم (٤٥٠٤) بلفظ " خذوا القرآن من أربعة ، من ابن أم عبد،فبدأ به ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة ".

(٢) ذكر البخاري صحيحه في الفضائل برقم (٤٦١٦) .

(٣) البخاري برقم (٤٦١٨).

وفي الصحيحين عن قتادة : « سألت أنس ابن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ قال أربعة ، كلهم من الأنصار ، أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد »(١) .

وفي البخاري عن أنس : « مات النبي ﷺ ، ولم يجمع القرآن غير أربعة، أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قال : ونحن ورثناه »(٢).

وهؤلاء الأربعة كلهم من الأنصار ، وقد جمعه عدد من المهاجرين ، بلا شك ، وأبو زيد المذكور في الحديث ، لم يكن مشهورا ، ولم يعرف إلا في هذا الحديث ، واسمه قيس بن السَّكَن ، من بني النجّار ، من الخزرج ، قتل على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة (٣) .

وللعلماء أجوبة في قول أنس : « لم يجمع القرآن سوى أربعة » أقربها: أنه أراد الذين جمعوه من الأنصار ، وقيل : جمعوه بأحرفه السبعة ، وقيل : جمعوه تلقِّيا عن النبي ﷺ ، وإلا فقد كان في المهاجرين من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا ، كعليٍ ، وابن مسعود ، وعثمان .

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره : « قال أبو الحسن الأشعري ، رحمه الله : قد علم بالاضطرار أن رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكر في مرض الموت ليصلي

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦١٩) ومسلم برقم (٢٤٦٥).

(٢) انفرد به البخاري في الصحيح (٤٦٢٠).

(٣) انظر : فضائل القرآن لابن كثير : ١٦٠.

بالناس ، وقد ثبت في الخبر المتواتر أن رسول الله ﷺ قال : « ليؤم القوم أقرؤهم .»[1] ، فلو لم يكن الصدّيق أقرأهم لما قدَّمه عليهم »[2].

وكلام أبي الحسن كلام حسن ، على معنى واحد فقط ، وهو أن يكون معنى « أقرأهم » أجمعهم للقرآن حفظا ، وهذا يقوله كثير من العلماء . والذي يظهر لي أن المراد به جملة أمور يتضمنها هذا اللفظ :

منها : الحفظ .

ومنها : حسن القراءة والضبط والإتقان ، وسلامة الأداء ، وحسن الصوت ، وما يلزم ذلك من العلم بمعاني القرآن والعمل به ، وسيأتي شرح ذلك وتفصيله .

وممن جمع القرآن علي بن أبي طالب ﷺ ، وهو الذي قرأ عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، وقال عنه : ما رأيت أحدا أقرأ من علي ، وقراءة عاصم تنتهي إليه ؛ لأن عاصما قرأ على أبي عبد الرحمن السُّلَمي .

وممن قرأ القرآن من الصحابة ، وعرضه على كبار قراء الصحابة : عبد الله بن عباس ، قرأ على أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت .

ومنهم عبد الله بن السائب ، قرأ على أبيٍّ بن كعب.

ومن أراد معرفة القراء كلِّهم من الصحابة ومن بعدهم فعليه بكتاب :

« معرفة القراء الكبار » للذهبي ، و « غاية النهاية في طبقات القراء » لابن الجزري ، وكتبت بعدها كتب أخرى عامة وخاصة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، برقم (١٥٦٦) عن أبي مسعود الأنصاري .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٢٤.

وللأستاذ الدكتور سيد محمد الشنقيطي كتاب « حملة القرآن من الصحابة الكرام » .

المحافظة على الحزب بالليل والنهار

أكثر ما يشق على المرء في ما يلزم به نفسه البدايات ، فالخطوة الأولى هي الحَجَرُ الأول ، فإذا ألزم الإنسان نفسه بحزب يقرأه في صلاة ، أو في غير صلاة ، وأخذ أمره بقوة ، وكان مستحضرا للأجر الذي يحصل عليه ، وتيقَّن من آثار ذلك عليه في نفسه وحياته الأولى والآخرة قوي عزمه ، وساقته همته إلى المضيّ فيما قصد ، فألِفَتْه نفسه ، فخف عليه ؛ لأنه صار لها عادة وديدنا وهِجّيرَى ، بل يصير كَلِفًا به يشتاق إليه كما يشتاق الزرع إلى ماء الغمام .. ومما يعين على الاستدامة أن يقرأ المرء حزبه مرّة واحدة ، ولا يقطِّعه بين اللّيل والنّهار ، وكانت تلك عادة السلف الصالح ومَن قبلهم رسول الله ﷺ يقول : الصحابي أوس الثقفي : « كنا مستضعفين بمكة فلما قدمنا المدينة انتصفنا من القوم وكانت الحرب بيننا سجالا ، علينا ولنا ، قال : فاحتبس عنا ليلة ، فقلنا : يارسول الله ، لبثت عنا اللّيلة أكثر مما كنت تلبث ! فقال : « نعم ، طرأ عليّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه »[1] . وقال عبد الرحمن بن عبد القاري : استأذنت على عمر بالهاجرة فحبسني طويلا ، ثم أذن لي ، وقال : كنت في قضاء وردي[2] .

وكان الحسن بن علي يقرأ ورد كلّه من أول الليل ، وكان الحسين يقرأه من آخر الليل .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) انظر: فضائل القرآن لابن سلام : ١٨٥.

وقال عقبة بن عامر : ما تركت حزبي من القرآن منذ أن قرأت القرآن .. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وابن عمر : أنهما كانا يقرآن أجزاءهما بعدما يخرجان من الخلاء قبل أن يتوضآ .

وقالت عائشة : إني لأقرأ جزئي - أو قالت : سُبُعي - وأنا جالسة على فراشي ، أو على سريري .

وفي الصحيح : أن معاذا قال لأبي موسى : كيف تقرأ القرآن ؟قال : «قائِمًا وقاعِدًا وعلى رَاحِلتي وأتفوَّقُهُ تفوُّقًا قالَ أمَّا أنا فأنام وأقُوم فأَحْتَسِب نومتي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»[1] ، وأما إذا حيل بين الإنسان وبين قراءة حزبه فقد بينت ذلك في « باب من نسي حزبه » وأنه إذا فاته بالليل قرأه بالنهار ، قال : إبراهيم النخعي : كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه شيء ، فنشط قرأه بالنهار ، أو قرأه من ليلة أخرى ، وربما زاد أحدهم[2] .

ولا أرى لمن فاته ورد يوم أن يتركه وينتقل إلى ورد اليوم الذي بعده ليقضيه فيما بعد ، بل يقرأ ما فاته بالأمس في يومه الجديد ويزيد عليه إن شاء يومه ذلك أو يوما آخر حين يتيسر له .

ولا أرى أن يدع سورة الكهف يوم الجمعة إلا أن يصادف يوم الجمعة ، وكانت سورة الكهف من ورده وأراد أن يقرأها ، ولم يكن قرأ ما قبلها ، أعني سورتي النحل والإسراء ، فحسن .

---

(١) أخرجه البخاري ، حديث (٣٩٩٨).

(٢) هذا الأثر والآثار السابقة أوردها ابن سلام في الفضائل : ١٨٦- ١٨٧.

هل يؤجر من يتلو القرآن مخافة النسيان ؟

القارئ مأجور على كلّ حال ، له بكل حرف حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، فمن يقرأ القرآن تعبّدا ورِقّا فله أجر ، ومن تلاه تعلّما فله أجر ، ومن قرأه تعليما فله أجر ، ومن قرأه خوف النسيان ولكيلا يتفلت منه فله أجر ؛ لأن كلّ ذلك طاعة .

وسئل ابن تيمية عن رجل يتلو القرآن مخافة النسيان ورجاء الثواب ، فهل يؤجر على قراءته للدراسة ومخافة النسيان أم لا ؟ وقد ذكر رجل ممن ينسب إلى العلم أن القارئ إذا قرأ للدراسة مخافة النسيان أنه لا يؤجر ، فهل قوله صحيح أم لا ؟

فأجاب : بل إذا قرأ القرآن لله تعالى ، فإنه يثاب على ذلك بكلِّ حال ، ولو قصد بقراءته أنه يقرؤه لئلا ينساه ، فإن نسيان القرآن من الذنوب ، فإذا قصد أداء الواجب عليه من دوام حفظه للقرآن واجتناب ما نُهي عنه من إهماله حتى ينساه فقد قصد طاعة الله ، فكيف لا يثاب ؟ ! وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : ((استذكروا القرآن فَلَهُوَ أشدُّ تفلُّتًا من صدور الرِّجال من النَّعم من عُقُلِها))[1] ، وقال ﷺ : ((عُرِضت عليَّ سيئات أُمتي ، فرأيت من مساوئ أعمالها الرجل يؤتيه الله آية من القرآن فينام عنها حتى ينساها))[2] .

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٤٤) ومسلم برقم (١٣١٤) وفي لفظ : ((تعاهدوا)).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، وفي سنن أبي داوود والترمذي عن أنس مرفوعا : ((عرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة في القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها)) وتقدم تخريجه.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا غشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبُهُ))[1] . والله أعلم .

(١) مجموع الفتاوى : ١٣

القرآن في شهر رمضان

اختار الله سبحانه شهر رمضان ، فأنزل فيه القرآن ، وبه فضَّله ، قال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة:١٨٥]، فالصلة وثيقة بين القرآن وشهر رمضان ، والذي يجلّي ذلك فعل النبي ﷺ الذي كان خلقه القرآن ، فقد كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام في كل ليلة ، يعرض رسول الله عليه القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة .. فانظر إلى آثار القرآن في هذا النبي الكريم – وهو أجود الناس – كيف كانت تتألق ويزداد وهجها وهو يقرأ القرآن الذي يحث على الإنفاق وفعل الخير والبر والتقوى وتزكية النفس وتطهيرها .

وقد فهم السلف شرف قراءة القرآن في شهر رمضان ، فاتخذوه مؤنسا وأحيوا لياليه بقراءته ، والترنم بآياته ، واتخذوه جليسا وصاحبا واطرحوا الدنيا جانبا .

قيل لأحدهم : لم لا تنام ؟ قال : عجائب القرآن قد أطرن نومي .

وقال آخر : ((إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية فيحار عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن ، كيف يهنيهم النوم ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ؟ والله لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حقه وتلذذوا به ،

واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا)) ، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١].

فلم تك تسمع في مساكنهم إلا آيات الله تتلى آناء الليل وآناء النهار يتلونها حق تلاوتها ، يصدحون بها ويترنمون ، ويتلونها وهم خاشعون ، فامتلأت بيوتهم نورا وضياء ، وعمروها بالصلوات والدعوات ، وما كان في بيوتهم صخب هذه القنوات الفضائية ولغطها ، ولهوها وغلطها ، وما تحدثه في النفس من تخليط وعبث وتشويش ، وضياع للوقت في معظم ما تبثه للناس ، وقد صارت بلوى عامة توجب على أهل الخير أن يجعلوا منها وسيلة للخير والدلالة عليه وتعليم الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .

والقصد أنّ أصحاب خير القرون لما عرفوا فضل قراءة القرآن في شهر رمضان خاصّة ، عرفوا ذلك من خلال فهمهم للسر في تنزيل القرآن في شهر رمضان ومن السيرة العملية للنبي ﷺ ، لما عرفوا ذلك تجافت جنوبهم عن المضاجع وأحيوا ليلهم ، وملئوا أوقاتهم بقراءة القرآن واجتهد كثير منهم في ذلك حتى أن بعضهم كان يختم القرآن في ثلاث ، وبعضهم في يومين ، وآخرون في يوم ، ومنهم من كان يختم القرآن مرتين في اليوم الواحد ، وقد ذكرنا في ثنايا هذا الكتاب عددا منهم ، كعثمان بن عفان ، وتميم الداري ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وممن بعدهم ، سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيّب ، وعطاء بن السائب ، والأسود بن يزيد ، ومجاهد ، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ، والشافعي ، والنخعي ، ويحي بن سعيد القطان ، ويذكر عن ابن عباس أنه كان يختم في رمضان مئة ختمة ، فقد

كانوا ﷺ حراصا على الخير ، مسارعين إلى الخيرات ، يعلمون فضل هذا الشهر، وفضل تلاوة القرآن فيه ، والعارف بالله هو العالم بمحابّه ، وأي العمل خير وهو العالم بتفاضل الأزمنة ، والأمكنة ، والأعمال .

كان النبي ﷺ أجود الناس ولكنه كان أجود في رمضان بالخير من الريح المرسلة ؛ لأن في القرآن لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ذكرى وموعظة ، وبيان وتبصرة ، تجعل المرء يتخلّى عن دنياه هذه ، وتسمو به نفسه ، فلا يرى مكانا ولا مكانة لهذه الدنيا وزخارفها ، ولا يبصر أمامه إلا الدار الآخرة ، يراها خيرا وأبقى ، ويؤثرها على كل شيء ، كيف لا يكون كذلك وهو يقرأ قوله سبحانه : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة: ١٧٧].

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة: ١٩٥].

وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله سبحانه : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾.

وقوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقوله سبحانه : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وقوله سبحانه : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقوله سبحانه : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقوله سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وكل هذه الآيات في سورة البقرة ، فهل يجد من يقرأ أو يسمع كلام الله هذا مكانا للإقتار والبخل ؟ وهل يبقى له في الدنيا أمل يجنح به إلى متاع الدنيا وزخرفها ولهوها ولعبها وزينتها وتفاخرها وتكاثرها ؟.

إننا نقول لمن أراد التجارة مع الله تعالى : إنها تجارة رابحة لا خسارة فيها ، وإن شهر رمضان يطرح أسهمه بثمن قليل ، وعمل يسير ، بتلاوة أجلّ كلام وأحلاه ، وهو كلام الله لتأخذوا من الأرباح ما لا تحتسبون وما لا

تقدِّرون، إنها مساهمة لا خسارة فيها ولا غبن ، ولا غرر ولا ضرر ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

عجبتُ من جسمٍ ومن صحة ∴ ومن فتى نام إلى الفجرِ

والموت لا يؤمَن من خَطفِه ∴ في ظلم الليلِ إذا يسرِ

هجر القرآن

هذا الباب هو أهم باب يجب على صاحب القرآن أن يعيَ ما في سطوره .

اعلم يا صاحب القرآن (حامله وقارئه) أن من هجر صاحبه الذي يعينه على الخير ويدله عليه ، ولا يأمره إلا بما ينفعه ، ولا ينهاه إلا عن ما يضرّ به ، وهو أنيسه في كل وقت ، وجليسه حين يشاء ، ورَوحه وريحانه ، ونوره وشفاؤه، فهو ضعيف العقل ، سيء الملكة ، قليل الوفاء ، جاحد للنعم ، يحكم بذلك كل عاقل سويّ النفس والفطرة .. فهل يليق بك أن تهجر كلام ربك الذي كان أنيسك في وحشتك ، وجليسك في وحدتك ، وآمرك وناهيك ، وزاجرك وواعدك بالجنة والرضوان ، والروح والريحان ، وفسيح الجنان ورؤية الرحمن؟ هل يليق بك أن تتجافى من هذا الكتاب المبين الذي كان نعمة على سمعك ، ونعمة على بصرك ، ونعمة على قلبك ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ؟ ما الذي تبدّلت به ، هل استبدلت به معزوفات القيان ومزمار الشيطان ؟ وكلام فلان بن فلان ، من أباطيل وأسمار ، وماجن الأشعار ؟ أتتبدل الخبيث بالطيب؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ إنك إن هجرته وأعرضت عن قراءته كان لك نصيب ممن قال الله فيهم : ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

وقال : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ

أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

وقد جعل بعض المفسرين هذه الآيات في من نسي القرآن بعد حفظه ، وإن كنا لا نرى هذا القول من التفسير ، غير أننا نرى أن من تعمد هجر القرآن حتى نسيه يمسّه من هذه الآية وهذا الوعيد حظ ، وقد بحثنا هذه المسألة ومعنى هذه الآية في مبحث مستقل من هذا الكتاب .

وقريب من هذا قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] ، ومن أنواع هجره هجر لفظه وقراءته ، وكذلك هجر تدبّره ، وهجر العمل به ، وهجر الإيمان به ، ومعنى الآية أول ما ينصب على هؤلاء ، ثم يتدرج إلى أن يشمل من هجره بالكليّة .

وقد نقل الآلوسي استدلال ابن الفرَس بهذه الآية على كراهة هجر المصحف ، وعدم تعاهده بالقراءة فيه ، وقال : وكان ذلك لئلا يندرج من لم يتعاهد القراءة فيه تحت ظاهر النظم الكريم ، فإن ظاهره ذم الهجر مطلقا وإن كان المراد به عدم القبول لا عدم الاشتغال مع القبول ولا ما يعمهما ، فإن كان مثل هذا يكفي في الاستدلال فذاك ، وإلا فليطلب دليل آخر للكراهة .

ثم قال : وأورد بعضهم في ذلك خبرا وهو ((من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول : يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه)) ، وقد تعقب هذا الخبر العراقي بأنه روى عن أبي هدبة وهو كذاب ، والحق أنه متى كان ذلك مخلا باحترام القرآن والاعتناء به كره بل حرم ، وإلا فلا .

وإنَّ كتـــابَ اللهِ أوثـقُ شـافـعٍ　　وأغـنـى غَـنَاءٍ واهـبًا مُتفضِّلا

وخـيـرُ جليـسٍ لا يُـمَـلُّ حديثُهُ　　وتـردادُهُ يـزدادُ فـيـه تـجـمُّلا

وحيـثُ الـفـتى يـرتـاعُ في ظُلُماتِه　　مِنَ القبرِ يلـقـاهُ سـنًا مُتهـلِّلا

هُـنـالِكَ يـهـنـيـه مقِيـلاً وروضـةً　　ومن أجله في ذِروَةِ الـعِزِّ يُجتلا

يُـنـاشِـدُ فـي إرضـائِه لـحـبيبه　　وأجدِرْ به سُـؤلاً إليه مُوصَّـلا

فـيا أيُّهـا الـقـاري بـه مُـتـمسِّكا　　مُجِلاً لَـهُ في كُلِّ حالٍ مُبجِّلا

هـنـيـئًا مـريـئًا والِدَاكَ عـلـيـهـمـا　　ملابسُ أنوارٍ مِـن التَّاجِ والحُلا

فما ظنُّكمْ بالنَّجْلِ عـنـد جـزائـه　　أولئكَ أهلُ اللهِ و الصَّفْـوةُ الْمَلا

أُولُو البرِّ والإحسانِ والصَّبر والتُّقى　　حُلاهُم بـهـا الـقُـرآنُ مُـفَـصِّلا

عليك بـهـا مـا عِـشْـتَ فيها مُنافِسًا　　وبِعْ نفسك الدُّنيا بأنفاسها العُلا[1]

---

(١) حرز الأماني (الشاطبية) من البيت (٩-١٨).

التفاسير المقترحة للقراءة مع التحزيب

التفاسير في الدنيا لا تحصى ، وقد قال الزمخشري :

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها - لعمري - مثل كَشَّافي

وفيها المختصر الذي لا يتجاوز مئة صفحة ، وفيها المطوّل الذي يبلغ ثلاثين جزءا ، أو أكثر .

والمناسب للتحزيب الشهري الذي يختم فيه القارئ في شهر ما كان منها متوسطا أو مختصرا ، وكلّما كان حزب اليوم أكبر كان الأنسبُ اختيارَ تفسيرٍ مختصر ، والأمر في جميع الأحوال يرجع إلى وقت القارئ وأهليته وعزمه ، ومن التفاسير ما لا يصلح إلا للعلماء .

ومن التفاسير السهلة الميسَّرة التي تشمل مفردات القرآن وآياته : ((أيسر التفاسير)) للشيخ أبي بكر الجزائري .

ومن التفاسير الميسرة لآيات القرآن : ((التفسير الميسر)) الذي كتبه عدد من أساتذة التفسير ، وطبع بمجمع الملك فهد .

و ((التفسير الوجيز)) لوهبة الزحيلي ، و ((المنتخب)) لنخبة من علماء التفسير ، وهي تفاسير متقاربة وعلى نهج واحد ، وتفسّر كل آية على حدة ، وتقتصر على معنى الآية بلا مزيد ، وهي صالحة للمبتدئ ، والعامي .

ومنها ما هو أوسع من ذلك ، مع خروج إلى بيان بعض الأحكام والفوائد والاستنباطات دون توسع ولا استطراد :

كتفسير السعدي المسمى : ((تيسير الكريم المنان إلى تفسير كلام الرحمن)) و((تفسير ابن كثير)) وتفسير ابن جزيّ الكلبي المسمَّى ((التسهيل)).

ومنها تفاسير لمفردات القرآن : كتفسير ((كلمات القرآن)) ، وكتاب ((وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار)) ذكرت فيه غريب الألفاظ والجمل مع شيء من الفوائد والاستنباطات والدقائق ، وكذلك تفسير ((الجلالين)) فهو تفسير جامع لغريب القرآن خاصة ما يتعلق بحروفه ، يفسر الكلمات والأدوات في كل سورة ، ولو تكررت ، لم يهمل مصنفاه ((الجلال المحلي والجلال السيوطي)) شيئا مما التزما بتفسيره ، ولم يحيلا على شيء سبق بيانه ، وهو صالح لطالب العلم ، ولا يصلح للعامِّي ، وقد أهمل أقوالاً مشهورة في معنى بعض الألفاظ .

وأما التفاسير المبسوطة فكثيرة ، وطالب العلم لا يخفى عليه المشهور منها .

ومن أجمعها : تفسير الآلوسي المسمى : ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني)) و تفسير الطاهر بن عاشور المسمى : ((التحرير والتنوير)) و تفسير القاسمي المسمى : ((محاسن التأويل)) ، وتفسير القرطبي المسمى : ((الجامع لأحكام القرآن)) وتفسير الفخر الرازي .

ومن أوسطها : تفسير النسفي ، وزاد الميسر لابن الجوزي ، و ((فتح القدير)) للشوكاني .

وهذه التفاسير يجد المطّلع فيها بغيته في الغريب ، والمأثور ، والبيان ، والنحو ، واللّغة ، وأحكام الفقه ، وغير ذلك .

وأصول هذه التفاسير ومصادرها : تفسير ابن جرير الطبري ، والكشاف للزمخشري ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والثعلبي ، فلا تجد تفسيرا بعدهم إلاّ وهو مستقى من هذه التفاسير ، مقتبس منها إلا ما ندر .

ومعظم ما اشتمل عليه تفسير الطاهر ابن عاشور من حواشي الكشاف ، ولكنه انتقى منها انتقاء العالم القائم على كل جملة بما تحمله من معنى .. وأما تفسير الشوكاني فقسم منه منتزع من الدر المنثور ، وقسم آخر من تفسير القرطبي ، والقرطبي يأخذ من الكشاف ، ومن أحكام القرآن لابن العربي .

ولو اعتنى طالب العلم باللّغة العربية ، لفظا ، ومعنى ، ودلالة ، وإعرابا ، لكفاه ذلك ثلثي مؤنة ما يبذله من جهد في استيعاب التفسير .

من أخبار وأحوال وأقوال أهل القرآن

هذا موضع استراحة ، يجد القارئ فيه بعضا من لطائف القراء وأخبارهم في ختمهم ، وتلاواتهم ، وشيء مما يتعلّق بذلك .

-١-

- كان مسلم بن ميمون الخواص يقول : كنت أقرأ القرآن ، فلا أجد له حلاوة ، فقلت لنفسي : اقرئيه ، كأنك تسمعينه من رسول الله ﷺ فجاءت حلاوته ، ثم أردت زيادة ، فقلت : اقرئيه ، كأنك تسمعينه من جبريل ينزل به على النبي ﷺ فزادت حلاوته ، ثم قلت : اقرئيه ، كأنك تسمعينه من رب العالمين ، فجاءت حلاوته كلُّها[(١)] .

-٢-

- وروى القاسم بن سلاَّم أن سُليم بن عِتر التجيبي ، كان يختم القرآن في الليلة ثلاث مرات ، ويدنو من أهله ثلاث مرات ، فلما مات ، قالت امرأته : رحمك الله ! إنك كنت لترضي ربك وترضي أهلك ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قالت : كان يقوم من الليل ، فيختم القرآن ، ثم يلمّ بأهله ، ثم يغتسل ويعود ، فيقرأ حتى يختم ، ثم يلمّ بأهله ، ثم يغتسل ، ثم يعود فيقرأ حتى يختم ، ثم يلمّ بأهله ، ثم يغتسل فيخرج لصلاة الصبح [(٢)].

-٣-

(١) طبقات الشعراني ١ / ٦٠ .

(٢) فضائل القرآن لابن سلام : ١٨٣ .

- اشتهر في كتب الأحلام أن من رأى في المنام أنه باع حنطة ، واشترى بها شعيرا ، فإنه رجل نسي القرآن واشتغل بالشِّعر[١] .

-٤-

- كان أبو حنيفة له في رمضان إحدى وستون ختمة ، في كل يوم ختمة وفي كل ليلة ختمة ، وفي كل التراويح ختمة[٢] .

-٥-

- قال أبو بكر بن عياش راوي عاصم بن أبي النجود (ت ١٩٤هـ) مخاطبا لابنه إبراهيم : إن أباك لم يأت فاحشة قط ، وإنه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كلّ يوم مرَّة .

-٦-

- وختم آدم بن أبي إياس (ت ٢٢٠ هـ) القرآن ، وهو مسجًّى للموت ، ثم قال : بحبِّي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع ، كنت أؤمِّلكَ لهذا اليوم ، كنت أرجوك .. لا إله إلا الله ، ثم قضى[٣] .

-٧-

- وعن علقمة : أنه كان بمكة في ليلة ، فطاف فقرأ السبع الطّول ، ثم طاف طوافًا آخر ، فقرأ بالمثاني ، ثم طاف طوافا آخر ، فقرأ ما بقي في ليلة واحدة .

---

(١) انظر : تعطير الأنام في تعبير المنام : ١ / ١٨٤ .

(٢) انظر : تبيين الحقائق ، شرح كنز الدقائق : ٢ / ٣٥٥ .

(٣) جامع العلوم والحكم ، شرح الحديث التاسع عشر .

-٨-

- أحمد بن محمد بن خلف القاضي ، العلامة ، نجم الدين أبو العباس المقدسي الحنبلي الشافعي (٦٣٨هـ) من جملة محفوظاته الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وكان يقرأ كل ليلة ثلث القرآن[1] .

-٩-

- لما نزلت بابن إدريس الوفاة بكت ابنته ، فقال : لا تبكي يا بنية ، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف مرّة [2] .

-١٠-

- قال إبراهيم بن أبي عبلة : قال لي الوليد بن عبد الملك : ((في كم تختم القرآن ؟ قلت : ((في كذا وكذا)) فقال : أمير المؤمنين ، على شغله يختم في كل سبع ، أو في كل ثلاث))[3] .

-١١-

- كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلّى الصبح قرأ المصحف حتى تطلع الشمس ، وكان ثابت البُناني يفعل ذلك أيضا [4] .

-١٢-

(١) الوافي بالوفيات ٣ / ٣٨ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٩ / ٤٤ .
(٣) مسند الشاميين للطبراني ص٦ .
(٤) سنن الدارمي (٣٤١٤) .

- عن الأعمش ، عن خثيمة ، قال لامرأته : إياك أن تدخلي بيتي من يشرب الخمر بعد أن كان يقرأ فيه القرآن كل ثلاث [1] .

-١٣-

- وكان أبو هريرة يقول : إن البيت ليتسع على أهله ، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين ، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن ، وإن البيت ليضيق على أهله ، وتهجره الملائكة ، وتحضره الشياطين ، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن[2] .

-١٤-

- كان أبو بكر بن الزهراء كثير التلاوة ، أعدّ لنفسه قبرا إلى جنب بِشر الحافي ، يذهب إليه في كل أسبوع يقرأ فيه القرآن كلَّه وينام .

-١٥-

- وكذلك العابد الصالح الرَّباني : أحمد بن محمد المحضار ، قال ابن عبيدَ الله السّقاف : ((كان آية في العبادة وتلاوة القرآن ، وسلامة الصدر ، وعدم المبالاة بالدنيا وصدق التوكل على الله ، وكمال الاعتماد عليه .. أعدّ لنفسه قبرا يخرج إليه في كلّ يوم يقرأ فيه القرآن))[3].

-١٦-

(١) سنن الدارمي (٣٣٩٨).

(٢) سنن الدارمي (٣٣٧٢) .

(٣) إدام القوت : ٣٢٩ – ٣٢٨ .

- لما وقع طاعون جارف احتفر بشير بن كعب لنفسه قبرا ، فقرأ فيه القرآن حتى ختمه ، فلمّا مات - رضي الله عنه - دفن فيه[1] .

-١٧-

- ضرار بن مرَّة ، أبو سنان الشيباني ، كان من البكائين ، حفر لنفسه قبرا قبل موته بخمس عشرة سنة ، وكان يأتيه يختم فيه القرآن [2] .

(١) المطالب العالية لابن حجر : ٣ / ٩ .

(٢) المنتظم : ٢ / ٤٤٦ .

أخلاق قارئ القرآن الكريم[1]

يا من علمه الله القرآن ، وفضّله على كثير من النّاس ، ورفعه به ، تذكر أنّ الله جعل لك نورا تهتدي به وتهدي ، وتمشي به في الناس ، وتسلك به سُبل السلام ، وترشد به الأنام ، واعرف قدر ما تحمله ، وعظمة ما تتلوه .. والله لو علمت ما حواه صدرك لكنت في الناس مثلا من الأمثال ، في صفاء سريرتك ، وزكاء علانيتك ، وطهارة بدنك ، ونقاء حجزتك ، وعفة نفسك ، ونفاذ بصيرتك ، وصدق وجهتك ، وشريف قصدك ، ودوام إخباتك ، وخفض جناحك ، وقوة عزيمتك ، وحسن عملك ، وجميل صبرك ، ولطف مأخذك ، ولكانت حركتك في الحياة بعلم ، وسكونك بعلم ، الحلم من أخلاقك ، والعفو من شمائلك ، تمقت الكبر ، وتتحلى بالتواضع لله ، تقنع بالقليل ، وتخشى من الجليل ، وتتزود ليوم الرحيل ، بما علمته من التنزيل ، تخفض للمؤمنين جناحك ، وترفق بهم ، وتلين في أيديهم ، فإن أسأت أو قصرت في حقهم أدبت نفسك بالكتاب والسنة ، وكان القرآن دليلك إلى كل خير ، تؤدب به جوارحك ، وتربي به نفسك ، ويحفظ به قلبك من الزيغ ، فتكون من الذاكرين ، الشاكرين ، الصابرين ، الخاشعين ، المتصدقين ، المتوكلين ، يقشعر جلدك حين تتلوه ، ثم يلين جلدك وقلبك إلى ذكر الله ، تقرعك زواجره ، وتسوقك أوامره ، تنصح لله ، وتخلص لله ، وتحب لله ، وتبغض لله ، وتصِل لله ، وتهجر لله ، ويكون عملك كلّه لله .

---

(١) اقتبست بعض ألفاظ هذا الباب وبعض معانيه من كتاب ((أخلاق حملة القرآن)) للآجري .

حامل القرآن يعرض عمن تولى عن ذكر ربِّه ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، لا يهمه أن يكون في أعين الناس حقيرا ، إن كان عند الله وجيها ، ليس على قرآنه متأكِّلاً ، ولا في صلاته متكاسلا ، بصيرٌ بزمانه و فساد أهله ، فهو يحذرهم على دينه ، مقبلٌ على شأنه ، مهموم بإصلاح ما فسد من أمره ، حافظٌ للسانه ، مميزٌ لكلامه . إن تكلم : تكلم بعلم ، إذا رأى الكلام صوابًا . وإذا سكت : سكت بعلم ، إذا كان السكوت صوابًا ، قليل الخوض فيما لا يعنيه ، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه . يحبس لسانه كحبسه لعدوه : ليأمن من شره وشر عاقبته . قليل الضحك مما يضحك منه الناس لسوء عاقبة الضحك ، إن مر بشيء مما يوافق الحق تبسم .

يكره المزاح خوفًا من اللعب ، فإن مزح : قال حقًّا ، ونطق صدقا ، باسط الوجه ، طيب الكلام ، لا يمدح نفسه بما فيه ، فكيف بما ليس فيه ، يحذر نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه ، لا يغتاب أحدًا ، ولا يحقر أحدًا ، ولا يسب أحدًا ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يبغي على أحد ، ولا يحسده ، ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن يستحق ، قد جعل القرآن والسنة والفقه دليله إلى كل خلق ، بعيد من الكبر وأهله ، قريب من التواضع وأهله ، خافض الجناح ، كثير السماح ، يحب الرفق في أمره كله ، يحفظ نفسه في السر كما يحفظها في العلانية ، صادق النية ، قويّ العزيمة ، عالي الهمة ، نافذ البصيرة ، كل مصيبة عنده إذا لم تكن في الدين صغيرة ، قويّ في الحق ، غير خوّار ولا جبان ، نفسه مطمئنة بوعد الله ، لوَّامة له في كل حين على تقصيره ، يتجافى جنبه عن مضجعه ، يخاف مقام ربه ، ويخشاه بالغيب والشهادة ، يحاسب نفسه على توانيه وتقصيره في دِقاق أموره وجلالها ، محمود السيرة ، نقي السريرة ، لا يهمه أن يعرف الناس عمله في الخير ، يرتقي في مدارج السالكين ، وينزل

في منازل السائرين ، في عبادة ربّ العالمين ، مدركا حقيقة العبودية وسرها وغايتها وحكمها ، يعبد الله بقلبه ولسانه وجوارحه ، دائم اليقظة ، دائم التوبة ، أوّاه أواب ، كثير الاستغفار ، معتصم بالله ، متذكر لنعمه ، بين منازل العبودية ، من الفرار إلى الإخبات ، ومن الخوف إلى الرجاء ، ومن الرغبة إلى الرهبة ، ومن الخشوع والحزن إلى الطمأنينة والرضا ، ثابت الإخلاص ، صادق التوكل ، الثقة عنده أزكى أمل ، والتوكل على الله أوفى عمل ، يستحيي من الله حق الحياء ، موقنا بوعد الله ، يأنس بكلام الله ، ويستوحش إذا هجره ، يتغذى بالذكر كما يتغذى بالطعام والشراب ، وهو سروره وفرحه ، ولذته وابتهاجه ، عليه تاج الوقار ، وسكينة الأبرار ، قاهرٌ لنفسه والهوى والشيطان ، يسألها كل يوم ، ويخاطبها كل حين ! متى الاستعداد ليوم المعاد ؟ متى أتوبُ ؟ ومتى أنيب ؟ إلى متى هذا التمادي ؟ وإلى متى هذه الغفلة ؟ مالي لا أحفظ سمعي وبصري وأصون لساني ، وأكفّ يدي ورجلي ، متى يكون خلقي القرآن ، وخوفي من الديان ؟

فهذه النار - يا حملة القرآن - حذرها الله المؤمنين في غير موضع من كتابه ، فقال عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦] وقال عز وجل : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣١] وقال عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨].

ثم حذر المؤمنين أن يَغفُلوا عما فرض عليهم وما عهده إليهم أن لا يضيعوه وأن يحفظوا ما استرعاهم من حدوده ، ولا يكونوا كغيرهم ممن فسق عن أمره فعذبه بأنواع العذاب .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩] ، ثم أعلم المؤمنين أنه لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة فقال عز وجل : ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠] ، فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن نظر فيه، فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح فيه ، فما حذَّره مولاه حَذِره ، وما خوفه به من عقابه خافه ، وما رغب فيه مولاه رغب فيه ورجاه .

فمن كانت هذه صفتَه أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ، ورعاه حق رعايته ، وكان له القرآن شاهدًا و شفيعًا و أنيسًا و حرزًا ، ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ، ونفع أهله ، وعاد على والديه وعلى ولده كل خير في الدنيا والآخرة .

وأما من قرأ القرآن للدنيا ، أو لأَبناء الدنيا ، فإنَّ من أخلاقه أن يكون حافظًا لحروف القرآن ، مضيعًا لحدوده ، متعظمًا في نفسه ، متكبرًا على غيره ، قد اتخذ القرآن بضاعة يتأكَّل به الأغنياء ، ويستقضي به الحوائج ، يعظم أبناء الدنيا ، ويحقر الفقراء ، إن علَّم الغنيَّ رفق به طمعًا في دنياه ، وإن علَّم الفقير زجره وعنفه ؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها يستخدم به الفقراء ويتيه به على الأغنياء، إن كان حسن الصوت أحب أن يقرأ للعظماء ، ويصلي بهم طمعًا في دنياهم ، وإن سأله الفقراء الصلاة بهم ثقل ذلك عليه لقلة الدنيا في أيديهم ،

إنما طلبُه الدنيا ، حيث كانت ربَض عندها ، يفخر على الناس بالقرآن ، ويحتج على من دونه في الحفظ بفضل ما معه من القرآن ، وزيادة المعرفة بالغرائب من القرآن التي لو عقل لعلم أنه يجب عليه أن لا يقرأ بها ، فتراه تائهًا متكبرًا ، كثير الكلام بغير تمييز ، يعيب كل من لم يحفظ كحفظه ، ومن علم أنه يحفظ كحفظه طلب عيبه ، متكبرًا في جلسته ، متعاظمًا في تعليمه لغيره ، ليس للخشوع في قلبه موضع ، كثير الضحك والخوض فيما لا يعنيه ، يشتغل عمن يأخذ عليه بحديث من جالسه ، هو إلى استماع حديث جليسه أصغى منه إلى استماع من يجب عليه أن يستمع له ، فهو إلى كلام الناس أشهى منه إلى كلام الرب عز وجل ، لا يخشع عند استماع القرآن ، ولا يبكي ولا يحزن ، ولا يأخذ نفسه بالفكر فيما يتلى عليه ، وقد ندب إلى ذلك ، راغب في الدنيا وما قرب منها لها ، يغضب ويرضى ، إن قصَّر رجل في حقه قال : أهلُ القرآن لا يقصر في حقوقهم ، وأهل القرآن تقضى حوائجهم ، يستقضي من الناس حق نفسه ، ولا يستقضي من نفسه حق الله عليها ، يغضب على غيره - زعم - لله ، ولا يغضب على نفسه لله ، لا يبالي من أين اكتسب من حرام أو من حلال ، قد عظمت الدنيا في قلبه ، إن فاته شيء لا يحل له أخذه حزن على فوته ، لا يتأدب بأدب القرآن ، ولا يزجر نفسه عند الوعد والوعيد ، لاهٍ غافل عما يتلو أو يتلى عليه ، همته حفظ الحروف ، إن أخطأ في حرف ساءه ذلك لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين فتنقص رتبته عندهم ، فتراه محزونًا مهمومًا بذلك ، وما قد ضيعه فيما بينه وبين الله مما أمر به في القرآن أو نهي عنه ، غير مكترث به ، أخلاقُه في كثير من أموره أخلاقُ الجهال الذين لا يعلمون ، لا يأخذ نفسه بالعمل بما أوجب عليه القرآن إذا سمع الله عز وجل قال : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] ، فكان الواجب عليه أن يلزم نفسه طلب العلم لمعرفة ما نهى عنه الرسول ﷺ فينتهي عنه ، قليل النظر في العلم الذي هو واجب عليه فيما بينه وبين الله عز وجل ، كثير النظر في العلم الذي يتزين به عند أهل الدنيا ليكرموه بذلك ، قليل المعرفة بالحلال والحرام الذي ندب الله إليه ثم رسوله ليأخذ الحلال بعلم ويترك الحرام بعلم ، تلاوته للقرآن تدل على كره في نفسه وتزين عند السامعين منه ، ليس له خشوع فيظهر على جوارحه ، إذا درس القرآن أو درسه عليه غيره كانت همته متى ينتهي ، لا متى يفهم ، لا يتفكر عند التلاوة بضروب أمثال القرآن ، ولا يقف عند الوعد والوعيد ، يأخذ نفسه برضى المخلوقين ، ولا يبالي بسخط رب العالمين ، يحب أن يعرف بكثرة الدرس ، ويظهر ختمه للقرآن ليحظى عندهم ، قد فتنه حسن ثناء الجهلة ، من جهله يفرح بمدح الباطل وأعماله أعمال أهل الجهل ، يتبع هواه فيما تحب نفسه ، غير متصفح لما زجره القرآن عنه ، إن كان مما يُقرئ غضب على من قرأ على غيره ، إن ذكر عنده رجل من أهل القرآن بالصلاح كره ذلك ، وإن ذكر عنده بمكروه سره ذلك ، يسخر بمن دونه ، يهمز من فوقه ، يتتبع عيوب أهل القرآن ليضع منهم ويرفع من نفسه ، يتمنى أن يخطئ غيره ، ويكون هو المصيب .

ومن كانت هذه صفته فقد تعرض لسخط مولاه الكريم ، وأعظم من ذلك أن أظهر على نفسه شعار الصالحين بتلاوة القرآن ، وقد ضيع في الباطن ما يجب لله ، وركب ما نهاه عنه مولاه ، كل ذلك بحب الرياسة والميل إلى الدنيا ، قد فتنه العجب بحفظ القرآن والإشارة إليه بالأصابع ، يحفظ القرآن ، ويتلوه بلسانه ، وقد ضيع الكثير من أحكامه ، أفعاله خالية من نور العلم .

دعاء الختم

استحبّ كثير من العلماء إذا ختم القارئ القرآن أن يدعو ، وصحّ عن أنس بن مالك أنه كان يفعله وأنه كان يجمع أهله إذا ختم القرآن ويدعو .

ولم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين فعله في الصّلاة ، وسئل عنه الإمام أحمد فلم ينكره ، بل صرّح باستحبابه ، ولكنه لم يجعله سنة يجتمع لها النّاس كلّ حين كما يجتمعون لصلاة الجمعة ، وسئل الإمام مالك عن ختم القرآن في التراويح فقال : ليس من السنة ، وقد صار اليوم سنّة يرحل إليها ، حتّى ظنها كثير من الناس من آكد السنن ، أو من الواجبات ، ولو تركه الإمام لزجروه ومقتوه ، ورأوا أنهم قد ضلوا ، وقذفوه باللوم من مكان قريب ، ولتجدنّهم أحرصَ على هذه الصلاة النافلة من حرصهم على الصلاة المفروضة ، ومن الصلاة الوسطى، وما بنا من عتَبٍ على إقبال الناس على الخير والعمل الصالح، ولكننا نحبّ أن يفقهوا دينهم ويعلموا نهج سلفهم؛ لهذا نرى لمن وافق الختم أن يجعله دعاءه في وتره وأن لا يطيل، وأن يختار من جوامع الدعاء ما شاء، ويجتنب التكلف، والتسجيع، ومن جوامع الأدعية ما جاء في القرآن، ومن ذلك: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١] ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل عمران:٨-٩] ،

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦] ، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران : ١٤٧] ، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٢-١٩٣-١٩٤] ، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] ، ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] ، ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٤] ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر:٧-٨] ، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥] ، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] ، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة:٤-٥] .

المصادر والمراجع

- الإتقان ، للسيوطي .
- إحياء علوم الدين ، للغزالي .
- أخلاق حملة القرآن ، للآجريّ .
- إدام القوت ، لابن عبيد الله السقاف .
- الأذكار ، للنووي .
- البداية والنهاية ، لابن كثير .
- البدر الطالع ، للشوكاني .
- تاريخ الإسلام ، للذهبي .
- التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي .
- التذكار ، للقرطبي .
- تذكرة الحفاظ ، للذهبي .
- تفسير ابن كثير .
- تفسير إسماعيل حقي .
- تفسير الألوسي .
- تفسير القرطبي .
- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب .
- جمال القراء ، للسخاوي .
- حرز الأماني (الشاطبية) للشاطبي .
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم .
- خلاصة الأثر ، للمحبّي .

- الدرر الكامنة ، للسخاوي .
- ديوان السَّريّ الرفاء .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة .
- الرسالة ، للقيرواني .
- زاد المعاد ، لابن القيم .
- الزهد ، للإمام أحمد .
- الزهد والرقائق ، لابن المبارك .
- السنن الأربعة .
- سير أعلام النبلاء ، للذهبي .
- شرح ابن بطال على البخاري .
- شرح صحيح مسلم ، للنووي .
- شعب الإيمان ، للبيهقي .
- الصحيحان .
- طبقات الشعراني .
- طرح التثريب ، لأبي زرعة العراقي .
- ظلال القرآن ، لسيد قطب .
- عظمة القرآن الكريم ، لمحمود الدوسري .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري .
- فتاوى الرّملي .
- الفتاوى الفقهية الكبرى ، لابن حجر الشافعي .
- فتح الباري ، لابن حجر .

- فضائل القرآن ، لابن الضرِّيس .
- فضائل القرآن ، لابن سلام .
- فضائل القرآن ، لابن كثير .
- فضائل القرآن ، للمستغفري .
- الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة ، للشوشاري .
- فيض القدير ، للمناوي .
- القرآن الكريم .
- قوت القلوب ، لأبي طالب المكي .
- لسان الميزان ، لابن حجر .
- المبسوط ، للسرخس .
- المجالسة وجواهر العلم ، للدينوري .
- مجمع الزوائد للهيثمي .
- مجموع فتاوى ابن تيمية .
- المحلّى ، لابن حزم .
- مدارج السالكين ، لابن القيم .
- المرشد الوجيز ، لأبي شامة .
- مستدرك الحاكم .
- مسند أحمد .
- المصاحف ، لابن أبي داوود .
- المطالب العالية ، لابن حجر .
- المعجم الوسيط ، للطبراني .

- المغني عن حمل الأسفار (تخريج أحاديث الإحياء) للعراقي .
- المنتظم ، لابن الجوزي .
- الموطأ .
- الوافي بالوفيات ، للصفدي .

الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة